بسم الله الرحمن الرحيم

جامعة أم درمان الإسلامية

كلية الدراسات العليا

كلية اللغة العربية

قسم الأدب والنقد

المديح في شعر ابن نَّباتة المصري

بحث مقدم لنيل درجة الماجستير في الدراسات الأدبية والنقدية

إعداد الطالبة :

مها محمد الأمين الحاج

إشراف الدكتور :

عبد الرحمن عطا المنان

١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى: ((لِئَلَّا يَعلم أهلُ الكتَابِ ألَّا يَقدِرُونَ على شَيءٍ مِنْ فضلِ الله وأَنَّ الفضلَ بيَدِ اللهِ يؤُتيهِ مِنْ يَشاءُ واللَّهُ ذُو الفضِلِ العظيمْ)

صدق الله العظيم

(سورة الحديد الآية: ٢٩)

الإهـــداء

أهدي هذا البحث إلى، والدّ ي الكريمين .

وإلى إخواني وأخواتي وإلى كل الأهل والأصدقاء

وإلى حملة مشاعل العلم والمعرفة

تقديرا وعرفانا لهم وإلى كل هؤلاء أهدي جهدي

الباحثة

كلمة الشكر

قال تعالى : (لئن شكرتم لأزيدنكم)

يقصر الشكر على ما أحمل من تقدير وعرفان بالجميل ، قد أكون عاجزة عن تصوير إحساسي واحترامي لأستاذي الجليل الدكتور/ بابكر الجز ولي ، الذي منحني الكثير من الإرشادات والتوجيه خلال الفترة السابقة، والشكر للدكتور /عبدالرحمن عطا المنان المشرف الحالي، رئيس/ قسم الدراسات الأدبية والنقدية .

والشكر لكل أساتذة جامعة أم درمان الإسلامية والتقدير لهم بما لا يسع المجال لإثبات فضلهم علي ، فلهم علي أيادٍ بيضاء وانهار فياضة ينهل منها طلاب العلم.

والشكر موصول للدكتور /عبدالله بريمة بجامعة القرآن الكريم أيضا اخص بالشكر الأستاذ / صديق الخضر عبدالله الشكر لأسرة مكتبة جامعة أم درمان الإسلامية وأسرة جامعة القرآن الكريم ،وكل من مد يد العون والمساعدة إلي في إنجاز وإخراج هذا البحث ٠

المقـــــدمة

الحمد لله الحميد المجيد المحصي المبدئي المعيد مع كل جبار عنيد فاصم أرباب البغي والفساد الجميل الفضل والإحسان الجزيل الخير والامتنان الجليل الذي يفعل ما يريد سبحانه لا يقع في ملكوته إلا ما أراد.

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله وحبيبه وخليله المستمد من فيض وافره المديد جزيل المواهب التي لا يحصرها قلم ولا مداد.

فهذا بحث بعنوان : المديح في شعر ابن نباته المصري.

أهمية الموضوع :

تتمثل أهمية الموضوع في جمال الأسلوب ورصانة الكلمات وتناسبها في شعر ابن نباته وخاصة في شعر المديح الذي يمثل جل شعره ومنها المديح النبوي والتزامه بمنهج القدماء مع التجديد في الأسلوب وأيضا لما حدث من اضطراب في الأحوال السياسية في تلك الفترة وضعف الشعر فيه وهو أصبح أمير عصره وأيضا تفوقه على العامة.

أسباب اختيار البحث :

ومن أسباب اختياري للبحث قلة الدراسات لذلك العصر مقارنة بالدراسات في العصور الأخرى معظمها يتركز في العصر العباسي والجاهلي وأيضا من دوافع اختياري ولفت نظري وجذب انتباهي أسلوبه الجزل ورقة وسهولة ألفاظ الشاعر خاصة شعر المديح بما يحويه من معاني رصينة وبليغة أما الدراسات السابقة في هذا العصر فهي قليلة إذا ما قورنت بالعصور الأخرى وكذلك عن الشاعر حيث كتب عن حياته وشعره في مجمل العموم وليس التخصيص عن أغراض شعره المختلفة فإن شعره حافل وواسع وله ديوان شعر وعدة مؤلفات.

المنهج المتبع :

منهج البحث تحليلي وصفي

الصعوبات التي واجهت البحث :

عدم توفر المصادر والمراجع للشاعر وكذلك خلو الدراسات عنه وخاصة أن ديوان شعره لم يشرح ويحلل ولم يحقق بعد واتساع أدبه وشعره.

المصادر والمراجع التي اعتمد عيها الباحث :

وقد استعنت في كتابة هذا البحث بعدة مصادر ومراجع أهمها ديوان شعره وكتاب عصر المماليك تأليف الدكتور محمد زغلول سلام والمدائح النبوية تأليف د. يوسف إسماعيل النبهاني وأمير شعراء المشرق تأليف عمر موسى باشا.

فهرس الموضوعات

الفصل الأول عصر الشاعر

المبحث الأول الحياة السياسية

ينقسم العصر المملوكي في مصر إلي عصريين أو دولتين وهما:

أولاً: دولة المماليك البحرية:

والتي كانت نهايتها في عام أربع وثمانين وسبعمائة هجرية الموافق عام اثنين وثمانين وثلاثمائة وألف ميلادية (٧٨٤هـ-١٣٨٢م)[١].

وملوكها في الأصل من الترك وهم مماليك الصالح نجم الدين أيوب وجعلهم أمراء دولته وقوادها وحرسه الخاص وأسكنهم معه في قلعة الروضة وسماهم البحرية وأول من نازع الأيوبيين منهم الملك عز الدين أيبك في عام ثمانية وأربعين وستمائة للهجرة (٦٤٨)هـ وكذلك من ملوكها بيبرس والأشراف خليل الذي قضي علي إمارات الصليبيين بالشام والناصر قلاوون وقد عني بنشر العلوم والمعارف وبناء المساجد والمباني الضخمة.

ثانياً دولة المماليك الشراكسة: ([٢])

أو البرجية والتي انتهت عام ثلاثة وثلاثين وتسعمائة للهجرة (٩٣٣)هـ ومعظمهم من الشراكسة ... وبلغ عدد ملوكها ثلاثة وعشرين وأولهم وأشعرهم يزمون ومنهم المؤيد ([٣]) وكانوا يسمون بالبرجية لأنهم سكنوا أبراج قلعة المقطم.

وقد كان لدولة المماليك أثر ضخم في العالم الإسلامي بحكمهم وقضائهم في سواحل الشام ونتج من إحيائهم للخلافة الإسلامية انتشار نفوذ مصر وسلطانها في كل مكان وكانت تخضع لهم بلاد الحجاز واليمن وشرق أفريقيا وليبيا وبعض جزر البحر الأبيض والشام وكثير من أراضي العراق وبلاد النوبة وشمال السودان. حيث كان نفوذهم الديني والروحي والسلطان الحقيقي بأيدي المماليك.

---

(١) الحياة الأدبية في مصر العصر المملوكي والعثماني تأليف محمد عبد المنعم خفاجي ص (١٨-٢٣) القاهرة ١٠٤٤هـ-١٩٨٤م.

(٢)دولة المماليك الشركسية : هي الدولة الثانية من دولتي المماليك وأصل ملوكها من الجنس الجركسي (عصر سلاطين المماليك ج٣ محمد رزق سليم ص٤١)

(٣) الملك المؤيد : هو إسماعيل بن على بن محمد بن عمر بن شأهشاه بن أيواب عماد الدين الأيوبي ولد سنة ٦٧٢هـ -١٢٧٣م بدمشق وهو من سليل فروع الدولة الأيوبية بمصر وأمير حماه فى ذلك الحين كان عالماً وأديباً له عدة مؤلفاته أولها المختصر فى تاريخ البشر توفي ابو الفداء سنة ٧٣٢ هـ - ٢٧ أكتوبر ١٣٣١م بمديمة حماه عصر سلاطين المماليك ج٣ ص ٢١٥

يعود نسب الأيوبيين إلي شادي بن مروان وقد أختلف المؤرخون في أصلهم قال المؤرخ الموصلي عز الدين ابن الأثير أن أصلهم من الأكراد الرداذية وهي جزء من الهزيانية.

وقد أنكر بعض الأيوبيين نسبهم إلي الأكراد وادعوا النسب إلي بني أمية ولكن الراجح كلام ابن الأثير.

عرف الأيوبيون بالشجاعة وبذلك تمكنوا من إقامة ملك عظيم ولكنه مع الأسف لم يدم طويلاً وذلك بسبب الخلاف بين ملوكهم وانشغالهم بالخطر الخارجي الذي هدم صرح الدولة العربية الكبرى التي أقامها صلاح الدين.

أقام صلاح الدين دولته في مصر والشام والحجاز واليمن والموصل وغيرها من المدن والدول. واستطاع أن يجمع شتات سائر البلاد العربية وذلك استعداداً لخوض المعركة الفاصلة مع الغزاة الطامعين وهم التتار في الشرق والصليبيون في الغرب وذلك لنهاية دولته ولكن باتحاد العرب تحت زعامته تم لهم النصر وكان ذلك يعد شرفاً وفخراً للأمة الإسلامية والعربية معاً.

ولقد اعتبر بعض المؤرخين أن الحركة الأيوبية حركة تطهير ضد الملحدين والباطنيين بالإضافة إلي التحرر السياسي[١].

ولقد خطط البطل الأيوبي إلي فتح مناطق أخرى خلال رحلته مع أخيه العادل لفتح بلاد العجم في أذربيجان ولكن المنية لم تدعه يحقق ما خطط ونوي له وقضي نحبه مأسوفاً عليه سنة (٥٨٩)هـ وكان ذلك إيذاناً بانقسام المملكة وحدوث الفرقة والخلاف علي الملك والسلطة بين إخوانه وأبنائهم ولقد اشتد الخلاف بين الأمراء فأدي إلي ضعف الدولة بعد قوتها ولقد رشحوا الملك العادل ولكن أولاد العادل يتفقوا فيما بينهم مما أدي إلي قتل بعضهم البعض وكان ذلك فرصة نجاح للفرنجه مما زاد أطماعها في الدولة العربية وبدأ ناقوس الخطر يدق مرة أخرى علي المملكة الأيوبية.

أوشكت الدولة علي الانهيار ولكن شاء الله أن تحفظ من الطامعين وكان ذلك علي يد المماليك الذين وقفوا بكل شجاعة وجلد أمام الخطر ودافعوا عن أرضهم.

---

(١) ابن نباته المصري عمر موسى باشا ص (١٦-٤٠) .

وقبل أن تتعرض لذكر سلاطين المماليك – علينا أن نذكر أهم ملوك حماه الذين حكموها فترة من الزمن ولا سيما أن شاعرنا (أبن نباته) عاش الشطر الأول من حياته في كنف الملك المؤيد وابنه الأفضل.

ولقد دخلت حماه القاهرة – كما يطلق عليها أبن نباته في حوزة صلاح الدين سنة (٧٥٠هـ) في مستهل جمادى الأخر بعد أن هددها الفرنج عدة مرات ولكن استطاعت القاهرة أن تقهر الفرنجة.

أما بالنسبة لعدد سلاطين البحرية من تلك الفترة فبلغ عددهم أربعة وعشرين سلطاناً أولهم الملك (المعز أبيك) زوج شجرة الدر بآمر أخرهم الملك الصالح جاجي بن شعبان وفي وراية أخرى خمسة وعشرون سلطاناً[١].ولقد كان عصر الدولة الأولي يقترب من قرن ونصف تولي الحكم فيها في فترة السلطة قصيرة لم تتعد يضعه أيام أو بضعة شهور ومنهم من طالت مدة سلطته واستقرت سنوات ومنهم من تولي الحكم صبياً أو طفلاً لم يبلغ الحلم وكان يقوم بأمرهم أتا بك أو نائب السلطنة أو كبير الأمراء قائد الجيش وأمير السلاح

واتسعت هذه الدولة فى عهد الملك العادل وامتدت من أقصى مصر والشام واليمن وشعر الفرنجية بالخطر وخاف التتار من قيام هذه الوحدة الكبرى وحالوا تحطمها بكل السبل وذهب عهد الأيوبيون وخلقهم سلاطين المماليك الذين استطاعوا إبلاغهم من اختلافهم أن يحددوا الفتوحات الأعداء فى معظم المعارك التي خاضوها استطاعوا وقف زحف التتار بعد معركة عين جالوت على السلطان المملوكي (سيف الدين قطر) امتد اتساع الدولة العربية فى عهد السلطان الظاهر بيبرس وعم الأمن شتى أنحاء البلاد ولم تقف الدولة العربية الكبرى على هذا الحال بل شملت بلاد برقة والنوبة وكانت القاهرة عاصمة لكل هذه الأقاليم ونقطة إطلاق للجيوش لتحررها وتنير أمامها سبل المجد والخلود[٢]

---

(١) ابن نباته المصري عمر موسي باشا.

(١) الأدب فى العصر المملوكي – ج(١) د- محمد زغلول سلام ص (٢٩).

المطلب الثاني

الحياة الثقافية

أن مصر أصبحت فى عصر السلاطين والمماليك ميداناً للنشاط العلمي والمؤلفات الأدبية والعلوم الدينية وقد ربط الإمام السيوطي [١] بين هذا النشاط العلمي الواسع وبين إحياء الخلافة العباسية فى القاهرة بعد فترة قصيرة من سقوط بغداد ٠ وازدهر النشاط العلمي أيضاً بتشجيع بعض السلاطين للعلم والعلماء وقد ساعد عدد منهم فى أنشاء المدارس و دور العلم ٠

نبغ العلماء في مجال الحديث والقراءات واللغة والنحو والصرفمن أشهر المؤرخين والنابهين من الشعراء والأدباء وكذلك كثر التأليف في المذاهب السنية الأربعة وفي اختصار الشروح نذكر منهم الشيخ عز الدين بن عبد السلام سلطان العلماء والشيخ شهاب الدين القرافي مؤلف كتاب (الذخيرة) والشيخ تقي الدين ابن تيمية[٢] مؤلف كتاب الفتاوي وهؤلاء نفر منهم وغيرهم كثر.

ويتسم أسلوبهم بالروح المنطقية وكثر الاحتجاج بالمعارضة والدليل والقياس بالإضافة إلي النقد المبني علي أسس من العقل والاعتدال والمنطق وهذا ما نراه في الحديث النبوي.

لقد اهتم العلماء بعلوم الدين من فقه وحديث وقراءات وألفوا فيها الكثير وساعدهم علي ذلك سلاطين المماليك وبلغوا بعلوم الشريعة قمة عظمتها وأيضاً تناول العلماء المتون القديمة وقاموا بشرحها وتوضيحها واختصارها.

وكذلك عني المسلمون بالقراءات القرآنية وحسن أداءها ورسمها وحافظوا علي ما وضع عليه [٣].

---

(١) السيوطي: وهو الإمام محمد أبو على الحسن بن ضر بن عبدالله السيوطي توفي سنة ٣١٦هـ أعلام النبلاء ج٢ص: ١٥٠

(٢)ابن تيميه: هو محممد بن الخضر بن محمد بن على بن تيمية الحارمي الحنبلي ولد سنة ٥٤٢هـ توفي سنة ٦٢٢هـ من مولفاته(التفسير الكبير) يتكون من عدة مجلدات الأعلام ج٦ ص: ٢٤٦ ٠

(٣)عصر سلاطين المماليك ج٣ ص ١٥٧ تأليف محمود رزق سليم بتاريخ ١٣٧٤هـ- ١٩٥٥م.

أهم مظاهر الحركة الأدبية

ومن أهم مظاهر الحركة الأدبية الخطابة الدينية حيث حافظت على الطابع التقليدي ولم يكن هنالك شئ يبتكر وخير مثال على ذلك كتاب أديبنا ابن نباته (ديوان خطب جمعية) يظهر فيها الطابع الديني.

ومن المظاهر الأدبية كتابة الأنشاء الديوانية خاصة في دواوين سلاطين المماليك وهي تدور حول الرسائل السلطانية وكتابة التوقعيات وكان ابن نباته أحد الموقعين في مصر والشام وكانت تكتب باسم الخليفة العباسي أو الملك الأيوبي أو السلطان المملوكي بشان الحكم أو تعيين وزير أو أمير وتمتاز الرّسائل الديوانية بأسلوب خاص فهي تبدأ بالبسملة والحمدلة ثم يعرض الموضوع الأساسي وتختم بالحمد والدعاء[١].

ومن كتاب هذا القاضي فخر الدين بن لقمان صاحب ديوان الإنشاء) وكان ذلك في سنة ٦٥٩هـ وامتازت بأنها تحتوي على السجع والتنسيق في الأفكار بأسلوب جيد وأيضا تكمن أهميتها في توجيه الدراسات الدين والرجوع إلى الله والصراط المستقيم.

وكثرت المؤلفات في ذلك وكانت ميدانا للسباق يتنافس فيه الكتبة والمنشئون فكثرت المؤلفات حتى بلغت مجلدات مروان القاضي الفاضل مائة مجلدة[٢].

ومن الكتابات الإنشائية المشهورة كتاب (صبح الأعشى في صناعة الإنشاء) الذي ألفه القلقشندي وهو يدل على تطور الإنشاء في ذلك العصر

---

(١) حسن المحاضرة ج(١) ص ٢٣٣ تأليف علاء الدين علي بن أبي الحزم القرشي

(٢) ابن نباتة المصري عمر موسى باشا ص (٩٩-١٠٢).

المدارس الشعرية :

ساعد تطور الحياة على إنشاء العديد من المدارس الشعرية ولكن هيكل الشعر العام ما زال معدا لدى الشعراء مما جعل شعراء العرب بالمشرق محافظون في معظم الأحيان وترك ذلك في بعض الأشياء منها والتجديد ومن تلك المدارس (مدرسة الأغراض التقليدية) وقد حافظ شعراء المشرق على القالب القديم وأهملوا أمور النحو في كثير من الأحيان ولكن القول الراجح أن بعض معانيه قد تطورت مع الزمن لتباين الأحوال وتفاوت الأقاليم(١).

ومن الأغراض المستحدثة التي تطورت في ذلك العصر المدائح النبوية وهي فن قائم بذاته ظهر في أواخر العصر الأيوبي وأوائل عصر المماليك.

أيضا من الأغراض الأخرى التي تطورت الغزل و ذكر الخمر وأخذت معاني الغزل تتجه نحو وصف النساء التركيات والتحدث عن عيونهن الضيقة الشئ الذي لم نألفه من قبل في الشعر. ولقد كتب شاعرنا ابن نباته عن ذلك الغرض بل تعداه إلى شئ خبيث وهو الاستعاضة بالحشيش بدلاً عن الخمر وتفضيله عليها في معظم الأحايين(٢).

وتعدى تطور الشعر استخدام البديع بصورة لم نعهدها من قبل بل وتجاوزه إلى التوريان حصره فيها ولقد طبع وكثر مذهب الطباق والجناس في القرن السادس الهجري(٣)٠

أثر في المذهب الرمزي وقد قال الزمخشري في ذلك (ولا نرى بابا في البيان أدق ولا ألطف من هذا الباب ولا أنفع ولا أعون على تعاطي تأويل المشتبهات في كتابه خزانة الأدب)(٤).

---

(١) ابن نباتة المصري : عمر موسي باشا ص : (١٠٢– ١٠٥)

(٢) حسن المحاضرة ج١ للسيوطي ص ٢٤٢ ٠

(٣) البداية والنهاية : لابن كثير ج١٣ ص ١٠٣ ٠

(٤) خزانة الأدب : ابن حجة ص(٤٦٩ – ٤٧١)

كان القدماء لا يهتمون بالتورية كثيراً في شعرهم منهم النابغة وعمر بن أبي ربيعة[١] وعنترة بن شداد[٢] وكذلك وكثر من استخدم التورية من شعراء العصر العباسي كأبي نواس [٣]والبحتري وغيرهم ولكنهم لم يجعلوها مذهبا خاصا بذاته.

أما في هذا العصر فقد اتخذ الشعراء فقد اتخذها الشعراء مذهبا الرمزية شعراً خاصا وأصبح على كل شاعر أن يتحلى به وألا يعد مقصرا عن بقية أقرانه.

وظهر لهذه المدرسة مذهبان الأول في مصر على يد القاضي الفاضل والمذهب الثاني في الشام على يد شيخ الشيوخ الصاحبي شرف الدين الغريز.

وانحصر مجال المدرسة في الشعر والنثر في فن التورية والجناس وقد قال ابن حجة عن القاضي الفاضل إنه يمثل عصر سلافة التورية وتقدم وأبدع فيها. ومن رواد هذه المدرسة القاضي هبة الله بن سناء الملك[٤] والاسعد بن مماتى والسراج الوارسي وغيرهم كثر. وقد تطورت التورية على يد الشاعر ابن نباته المصري وذلك لأنه حاول انشاء مذهب جديد يضم المذهبين المصري والشامي

المذهب الشامي :

كان رائده الشيخ شرف الدين عبد العزيز الأنصاري وأعجب ابن حجة بمذهبه ومن شعراء هذا المذهب الأمير مجيد الدين بن تميم وبدر الدين بن لؤلؤ الذهب ومحي الدين بن قرناص الحموي شمس الدين بن العقيق الملقب (بالشاب الظريف) وسيف الدين بن المشد والوادعي كل هؤلاء من روائد المذهب الشامي [٥].

---

(١) عمر بن ابي ربيعة : هو ابو الخطاب عمر بن عبد الله بن ابي ربيعة ابن المغيرة ج(٣) الشاعر المجزومي المشهور له ديوان شعر ولد سنة ٢٣هـ توفى سنة ٩٣ وفيات الاعيان.

(٢) عنترة : هو عنترة بن شداد بن عمرو بن معاوية بن قراد من شعراء الطبقة الأولى شهد حرب داحس والقبراء عاش طويلا ينسب اليه ديوان شعر الاعلام للزلكلي ص ٩١.

(٣) ابي نواس : هو الحسن بن هاني عبد الاول ولد سنة ١٤٥هـ وتوفى سنة ١٩٩هـ. الأعلام للزركلي جـ٢ ص ٢٠٤.

(٤) سناء الملك : لم يعرف بالضبط تاريخ مولده ولم يحدده الشاعر دقيقا وتضاربت أقوال العلماء وراه بن خلكان سنة ٥٥ وتوفى سنة ٥٩٢هـ.

(١) خزانة الأدب للزمشخري ص ٢٥٠

مدرسة الفنون الشعبية المستحدثة :

الاندلسيون هم أول من اخترع الموشحات وقد ازدهرت على يد عبادة الغزاز ومنها انتقلت إلى المشرق وألف القاضي السعيد ابن سناء الملك (دار الطراز) وشرح فيه طريق الموشحات.

أما الزَّجل فقد نشأ ايضا بالاندلس والفرق بين الموشح والزجل أن كل ما أعرب يسمى موشحا وكل ما خلا من الإعراب يكون زجلا.

ومن شعراء الازجال الشيخ علاء الدين بن مقاتل وهو يعتبر إمام الزجالين في ذلك العصر كما توجد فنون اخرى تتمثل في فن المولدين وهي الروبين والقوما والكانكان والمواليا وغيرها من الفنون الشعبية التي استحدثت.

ومن الفنون الحديثة فن البلاليق الذي ظهر في مصر والشام واشتق اسمه من طائر يجمع في ريشه بين اللونين الأبيض والأسود كان يستخدم هذا النوع من شعر في المسرح وهو يوضح الفن الشعري ومن أصحاب البلاليق نفي الاستنائي تدل هذه الدراسة الفنية على أنه عصر إحياء للتراث العربي وتجديده وليس عصر جمود كما يزعمون.

الحياة العلمية والمؤلفات :

قامت في عصر المماليك حركة علمية كان من مظهرها كثرة العلماء في كل فرع من فروع الثقافة الإسلامية العربية وممن نبغ في هذا العصر الفيروز أبادي صاحب القاموس المحيط (٨١٧هـ) والقلقشندى[١] صاحب صبح الأعشى والنويري صاحب نهاية الأرب والأموي صاحب خزانة الأدب وصلاح الدين الصفدي [٢] وصفي الدين الحلي [٣] وابن نباته المصري وابن دقاق[٤] (٨٠٩ هـ) مؤرخ مصر

---

(٢) القلقشندي هو العباس أحمد القلقشندي ولد سنة ٨٢١م ومن مؤلفاته صبح الأعشى الأعلام للزركلي ج٢ص١٥٤

(١) صلاح الدين الصفدي هو خليل بن أبيك بن عبد الله الصفدي أديب ومؤرخ كثير التصانيف منها الوافي بالوفيات ولد سنه ٦٩٦هـ وتوفي سنة ٧٦٤هـ

(٢) صفي الدين الحلي هو ابو المحاسن عبدالعزيز بن سرايا ولد بالحلة فى العراق له ديوان شعر توفي سنة ٧٥٠هـ

(٣) ابن دقاق هو على بن عقبة بن مطرق أبو الحسن اللخمي الشاعر المعروف اشتهر بمدح الأكابر توف دون الأربعين سنة ٥٢١هـ

والمقريزي (٨٤٥ هـ) ومحمد جمال الدين الواطواط (٧١٨ هـ) والدميري صاحب حياة الحيوان (٨٠٨هـ).

ومن أشهر العلماء : ابن مكرم صاحب لسان العرب وأبو حيان والرضي والسيوطي وغيرهم أما من ناحية المدارس فقد كثرت المدارس كثرة ملحوظة في هذا العصر ومن أشهرها المدرسة المنصورية والمدرسة المؤيدية وذلك عدا الأزهر وجامع عمرو وكان لهذه المدارس أثر كبير في نهضة العلم وازدهار الثقافة وكثرة العلماء وكذلك وجود خزائن حافلة بالكتب القيمة في مختلف العلوم والمعارف. وتتميز المؤلفات في العصر بالجمع والرواية والتحقيق العلمي وكان يقصد بها سد الفراغ الذي حدث في ميدان الثقافة الإسلامية والعربية بتأثير نكبة بغداد وانتهاء حكم العرب في أسبانيا وهي اشبه بالموسوعات والمجاميع.

ومن مصادر الثقافة الأدبية في هذا العصر : نهاية الأرب في فنون الأدب ويتألف النويري وهو يتكون من ثلاثين مجلدا وكتاب صبح الأعشى في صناعة الإنشاء للقلقشندي ومالك الأبصار لابن فضل الله العمري ويتكون من بضعة وعشرين مجلدا ولسان العرب لابن منظور[١] ومقدمة ابن خلدون وحسن المحاضرة للسيوطي وخزانة الأدب لابن حجة الحموي[٢] وغيرها من المؤلفات.

أما عن مواطن الثقافة في هذا العصر كانت في مصر والاسكندرية وقوصي ودمشق وحلب وحمص وحماه وبيت المقدس وسواها[٣].

الحياة الأدبية في عصر المماليك :

لا يقتصر الأدب في العصر المملوكي على مصر وحدها وإنما في الشام أيضا فقد كانتا آنذاك تكونان وحدة أساسية ويخضعان لظروف متشابهة أو وحدة سياسية واجتماعية وثقافية وأدبية.

---

(٤) ابن منظور هو جمال الدين ابو الفضل محمد بن منظور الأفريقي من أهم مؤلفاته لسان العرب توفى سنة ٧١١هـ

(٥) ابن حجة الحموي هو تقي الدين بن أبي بكر بن على رأس أدباء عصرهم الف كثير من المصنفات الأدبية توفي سنة ٨٣٧هـ

(٦) ابن نباته المصري عمر موسي باشا ص (٨٩-١٠٥)

وازدهرت الثقافة الإسلامية والعربية في عصر المماليك وكان لها أثر كبير في رقي الذوق الأدبي وفي استمرار الحركة الأدبية عروبتهم لم تكن أصلية ولم يجعلوا قيمة للأدب ولا يهتمون به مثل اهتمامهم بالعلوم الآخري ولم يدركوا أن له صلة بالجانب الإسلامي فلم يولوه كبير عنايتهم ومع ذلك فإن هذا لم يمنع بعضهم من التنافس على تشجيع الأدباء تنافسهم على تشجيع العلماء وعلى آية حالة فإننا نجد الحركة الأدبية تسير في الغالب بعيدة عن قصور السلاطين وتظهر في مظهرين كبيرين هما : الكتابة الفنية والشعر [١] .

ويمتاز أدب العصر المملوكي بميزتين ظاهرتين منها : شيوع العاطفة الدينية التي أشعل نارها الحرب المقدسة ضد الصليبين والتتار ولذلك وجدنا في هذا العصر ادبا نضاليا متقدما يدعو إلى الكفاح والجهاد في سبيل الله والدفاع عن الإسلام ضد خصومه وأعدائه وقد كان للمماليك فضل كبير في تطهير البلاد الإسلامية من الصليبيين نال هذا الشرف الكبير الملك الأشرف بن قلاوون عام (٦١٩هـ).

ومن أثر شيوع العاطفة الدينية : نشأ فن المدائح النبوية في الأدب المملوكي وقد نبع هذا الفن في عصر المماليك وأخذ منزلته في صدر فنون الأدب ومن أشهر أعلامه البوصيري (٦٩٥هـ)[٢].

---

(١) ابن نباته المصري عمر موسي باشا ص (١٨-٢٣)

(٢) البوصيري هو شرف الدين محمد بن عيد بن حماد بن محسن ولد سنة ٦٠٨هـ وهو شاعر من أهل الطرق الصوفية وصاحب البردة المشهورة ومن أثاره له ديوان شعر مطبوع

الحياة الفــكرية

إن نهاية الحضارة العباسية كانت على يد التتار عندما استولوا على الشرق الإسلامي والبلاد العربية وما قاموا به من أعمال تخريبية حيث أحرقت الكتب القيمة ومزقت وكذلك سرقت قصور الخلفاء وخربت.

أثرت تلك النكبة على شعور الأدباء والشعراء فنظموا القصائد الحزينة في صورة رثاء وبكاء حزين على الحضارة ومنهم الشيخ تقي الدين إسماعيل التنوخي الذي رثى بغداد في ستة وستين بيتا من الشعر بدأ العلماء يهاجرون إلى مصر وانتشر علم القاهرة الفكرة وعم كل أنحاء المدن وأصبحت تمثل أهم مركز علمي لنشر الثقافة العربية والإسلامية حلت محل بغداد بعد دمارها[١].

ومن العلماء الذين هاجروا من بطش التتار ابن خلكان المؤرخ المشهور[٢] وهكذا ساء الحال في نيسابور وغيرها من البلاد العربية والإسلامية. ومن أسباب هجرة معظم العلماء للبلدان الأخرى الحروبات وعمليات التخريب وخاصة مصر والشام الا إنها أصبحت تمثل المعقل الحصين الذي يلجئون إليه من شر الأعداء وبذلك أصبحت القاهرة المركز الوحيد الذي ازدهر وبقي مع مرور الزمن لنشر الثقافة والمعرفة.

وقد قال ابن خلدون نحو ذلك :(إنها أم العالم و أيوان الإسلام وينبوع العلم)[٣] كذلك من العوامل الداخلية التي ساعدت على نشر النهضة العلمية الكبرى منها غيرة سلاطين المماليك وأمرائهم على الدين الإسلامي واحترامهم الزائد له ولقضائه .

---

(١) ابن نباته المصري عمر موسى باشا ص ٧٧ – ٨١.

(٢) ابن خلكان : هو شمس الدين أبو العباسي أحمد بن إبراهيم الشافعي ولد سنة ٦٨١هـ من مؤلفاته وفيات الأعيان جزءان.

(٣) مقدمة ابن خلدون ٤٣٢ ص ٥٤٥ ابن خلدون : هو عبد الرحمن أبو زيد ولي الدين بن خلدون ولد بتونس سنة ٧٣٢هـ – توفي ٨٠٨هـ

المطلب الثالث
الحياة الاجتماعية

يراد بدراسة الحياة الاجتماعية جميع النشاط الإنساني من العمل والدين والتعليم والاقتصاد والأسرة وأيضاً الأعباء والأفراح والمآتم والأحزان والأمراض الاجتماعية.

اختلف العلماء في تصنيف طبقات المجتمع المملوكي ومن تقسيماتهم تقسيم المقريزي حيث جزأها إلى سبع فئات تتمثل في أهل الذمة من المماليك وأهل اليسار من التُّجار ومتوسطي الحال من السَّوقة والباعة ثم أهل الفلاحة والفقهاء وطلاب العلم وأرباب الصنائع وأصحاب المهن وأخرها ذوو الحاجة والمسكنة.

وإننا في هذا المبحث نأخذ بتقسيم المقريزي بالإضافة إلى طبقتين هامتين هما : طبقة الأعراب وطبقة أهل الذمة من أقباط ويهود وسوف نتعرض لكل طبقة بشيء من التفصيل[١].

أولاً: الطبقة الحاكمة :

إن الأيوبيون هم الذين كانوا يحكمون العالم العربي في تلك الفترة وهي تمثل فترة قصيرة وقد اختلف المؤرخون في نسبهم فبعضهم يقول :أنهم عرب أمويون ولكن الغالب يؤكد أنهم أكراد من بلدة (دوين) في أذربيجان وهو الرأي الأرجح .

يتكونون من الأتراك والجركس والروم والأرمن وغيرهم ونذكر منهم السلطان (جنكيز خان)[٢] والسلطان (قلاوون) وقد ساءت أمور المماليك وتخلوا عن كثير من صفاتهم الحربية وانقسموا في الفتن والمفاسد كذلك اعتدوا على الناس فانتشر الظلم والفساد.

---

(١) ابن نباته المصري عمر موسى باشا ص ٤١-٧٧

(٢)جنكيز خان : هو تمرجين هو ملك التتار وسلطانهم الأول توفي فى رمضان سنة ٦٢٤هـ عصر سلاطين المماليك ج٣ محمود رزق سليم ص ١٠٥

هكذا كان حالهم وبالرغم من ذلك فقد دافعوا عن البلاد بكل شجاعة ورباطة جأش كانوا يواجهون خطران هما :الحرب وأعمال الفساد في كل من الشرق والغرب وكفاهم فخرا أنهم كسروا شوكة التتار [١] .

ثانياً: طبقة رجال الدين:

وهم رجال الدين الذين لقبهم المؤرخون بأهل العمامة وهي فئة متميزة من عامة الشعب وتفقهت في أمور الدين ودرست أحكامه ونالت بالإضافة إلى ذلك حظاً وافراً من العلم والثقافة ....فاكتسبت قدرا كبيرا من الاحترام والتقدير لدى المماليك.

قسمت هذه الطبقة إلى طبقتين [١]:طبقة نالت الوظائف العامة التي لا يهتم بها كامأنة السر وكتابة الانشاء والإشراف على سائر الدواوين.

[٢] طبقة أوكل إليها وظائف التدريس والقضاء وسائر العبادات الدينية والواجبات وحافظوا على مكانتهم وقوتهم واستطاعوا برغم ذلك أن يقفوا على طريق الحق ومن أهم أدوار هذه الطبقة دفاعها عن مصالح الدولة والناس هي من الشعب وله.

ثالثاً: عامة الشعب:

وتمثلها عامة الشعب فهي تضم فئات مختلفة من الفلاحين والتجار والصناع وسائر العوام من رعاع ومتسولين وحرافيش وكان نظامهم نظام الإقطاع واستمر قائما طوال عصر المماليك[٢]

---

(١) التتار : قبائل دخلت ارض مصر من أواسط أسيا بقيادة زعيمهم هولاكو أيام صلاح الدين الأيوابي الأعلام للزركلي ج٢ ص٢١٢

(٢) سير أعلام النبلاء ج ٢٢ الإمام شمس الدين محم أحمد عثمان الذهبي حققه دكتور بشار عواد معروف محي الدين بلال سرحان ص ٢٤٣

الصراع الديني :

اتسمت الحياة الدينية بالصراع بين الدين والإلحاد وقد أشار ابن حجم إلى الذين قتلوا بسبب انشغالهم بأمور دنياهم وتماديهم في الكفر والإلحاد ويوجد صراع آخر بين رجال الدين أنفسهم وبين المذاهب المختلفة ونذكر منها على سبيل المثال ما حدث للشيخ ابن تيمية مع المتصوفة الأحمدية وقد نفى إلى الإسكندرية وحبس بقلعة الجبل وبالرغم من ذلك استمر على موقفه يناهض أعداءه من العلماء حتى زال حكم بيبرس الجاكينز وعاد الناصر محمد وطلب من الشيخ ابن تيمية الحضور إلى الاسكندرية معززا مكرما.

وننتقل من الصراع والخلاف الديني إلى الأعياد الدينية والاحتفالات التي كانت تقام كالاحتفال بعيدي الفطر والأضحى والمولد النبوي وكانت تبذل فيهم أموال كثيرة وشتى أنواع البذخ والتبذير. نضيف إليها احتفالات أخرى مثل (كسر الخليج) وما يرافقها من أعياد النيروز وغيرها من أعياد الطوائف الأخري[١]

ازدهار التصوف :

ازدهر التصوف في هذا العصر وبلغ قمة التطور ولقد ظهر ذلك جليا في أدب شاعرنا ابن نباته ووضح انتشار الموجه الصوفية التي شملت كثيرا من السلاطين والعلماء.

ولقد ساعدت عدة عوامل على انتشار الصوفية وهي تتمثل: في ثورة التتار ودخولهم مصر والشام ثم زحفهم إلى بلاد الأندلس يهددون أمنها ويدمرون مجدها ثم كان للصليبين أيضاً دور في ذلك وهو نشرهم للفساد وزعزعة أمن البيت الحرام وتخريبه.

---

(١) ابن نباته المصري عمر موسى باشا ص (٦٠ – ٦٩).

وكذلك من العوامل التي ساعدت على نشر الصوفية ما أصاب البلاد من وباء وطواعين ومجاعات كل ذلك كان دافعاً قوياً جعل الناس يلجئون فيه إلى الله يرجون رحمته وعفوه عنهم لرد البلاد.

القلندرية :

تنسب إلى عربي أندلسي يدعى "قلندر يوسف" وقد ظهر في دمشق سنة ٦١٠هـ وكانوا يحلقون شعورهم وكاحلهم وأهداب أعينهم وقد أصدر السلطان أوامره لهم وألزمهم بزي المسلمين وترك زي الأعاصم والمجوس ومن يخالف ذلك يعزر شرعا ويخلع من نظامه.

وأيضا أمروا بترك الحشيش وإقامة الحد على المدمنين وقد اشتهروا بالحشيش وكثرة تعاطيهم له وأصبح اسما يطلق عليه[١].

أما البكتاشيه :

وهي طائفة شيعية عاصرت القلندرية وقد تطرفت كثيرا في أدائها وسلوكها حتى خرجت عن الإسلام تنسب إلى مؤسسها الحاج بكتاش وهو ولي من أولياء المسلمين ظهر في النصف الأول من القرن الثامن الهجري.

لقد عرفوا ما يسمى (بالعشاء الرباني) كانوا يتناولون فيه النبيذ والخمر ويعترفون فيه لشيخهم الأكبر بخطاياهم ويطلبون منه الغفران.

أيضا من ضمن شعوذتهم (إيمانهم بالتثليث) وهو جعلهم الله أولا محمد ثانيا وعلى ثالثا كما نشأ في عقيدتهم الإيمان بتناسخ الأرواح.

أهل الذمة :

هم أهل الكتاب من نصارى ويهود ولكل منهما فئاته الخاصة ولقد ادخل صلاح الدين كثيراً من الأقباط في خدمته ولكن المماليك لم يسيروا على نفس النهج وأصبحوا يضطهدونهم والسبب في ذلك يرجع الى الحروب الصليبية وكذلك ما

---

(١) ابن نباته المصري عمر موسي باشا ص ٦٠-٦٩

يأخذه المماليك ولقد كان السلطان يفرض على أهل الذمة لبساً معيناً خاصاً بهم بل شمل حتى نساءهم لم يستمر الاضطهاد على ذلك فحسب فقد أمر بهدم ميادينهم وكنائسهم بالحرق وكان هذا في سنة ٧٢١هـ.

لقد كان لأهل الذمة دور في خدمة الدولة كسائر أفراد الشعب ولم تمنعهم كل هذه الأشياء من المشاركة مع المسلمين في أعيادهم وبالمقابل شاركهم المسلمون في أعيادهم واحتفالاتهم الدينية وكان هذا سببا في إسلام كثير من أهل الذمة رغبة في تولي المناصب العليا كما أسلم بعضهم الآخر رهبةً خلال الاضطهاد الديني وتطبقون ويعود بعدها الحياة لممارسه أعمالهم الطبيعية.

طبقة الأعراب :

تختلف هذه الطبقة عن بقية الطبقات وكانت منتشرة في معظم أنحاء البلاد وهي تمثل مصدراً خطراً على المدن والقرى والأرياف وذلك بسبب ما يقومون به من غارات فوضى (وكان هذا كله نتيجة رفضهم لحكم سلاطين المماليك وسوء معاملتهم لهم ولقد قاموا بقيادة دحض الدين تغلب بثورة جمع فيها الفرسان وبلغ عددهم عشر ألف فارس والتقى بهم السلطان المعز أبيك في معركة حامية فر على أثرها تغلب وقبض عليهم وشنقوا جميعاً(١)

يحتل الوضع الاقتصادي مكانة مرموقة في الحياة الاجتماعية وقد أجمع المؤرخون على أن كافة الشعب كان يعاني من الفقر والحرمان وإذا رجعنا لأسباب ذلك نجدها تتمثل في حدوث عدة عوامل أهمها نظام الطبقات الاجتماعية وأتباع نظام الأراضي المقولة بما عقد عليها من خراج وجباية ولقد كانت بدايته منذ العصر الأيوبي واستمر طوال هذا العصر والذي جاء بعده وعانى منه الشعب أقصي معانة وألف الشعراء في ذلك شعرا منهم ابن نباته الذي قال :

عج من العجب فهذى جلق — أصبحت منه على حال ذميم
لم تزل بالعجب حتى ضربت — نفسها منه بطاعون عظيم

(١) ابن نباته المصري عمر موسى باشا ص٤١-٥٩

كما ألف ابن حجر كتابا سماه (بذل الماعون في أخبار الطاعون) ولقد رافق كل هذه الكوارث والمصائب قلة الأمطار وانعدامها عن أرض الشام وشح مياه النيل أدى ذلك إلى جفاف الأرض وقلة الغلال وعم الغلاء وانتشرت المجاعات على البلاد من اقصاها إلى أدناها.

ولقد كانت بداية هذا الوضع السئ منذ العصر الأيوبي وبلغ أوجه في عصر السلاطين المماليك وكثرت شكوى الناس وخيم الفقر عليهم جميعا مما دفعهم إلى مداهمة قبور الصالحين ونهب بعض الأماكن المقدسة وقد حاول بعض المصلحين الاجتماعيين دراسة الوضع منهم المقريزي[١] الذي عزا أسباب ذلك بالرجوع إلى ضعف السلطان واستبداد الأمراء وجشع التجار وتلاعبهم وخبث الخبازين وهبوب الرياح الضارة بالقمح.

وكذلك من أسباب الكوارث وتدني الوضع الاقتصادي انتشار الرشوة بين طلاب الوظائف وارتفاع الأراضي الزراعية وترك الفلاحين أراضيهم مما أدى إلى الغلاء والشح.

وأيضا من أسباب التدهور الاقتصادي الضرائب الفادحة والتي كانت تؤخذ من أغنياءهم وكذلك الزلازل وتفشي وباء الطاعون وقد شمل الديار المصرية وجزءاً من الشام كتب فى ذلك المجال عدد من الكتاب والشعراء ومنهم ابن نباته[٢].

---

(١) المقريزي : هو تقي الدين أحمد المقريزي المتوفي سنة ٨٤٥هـ/١٤٤٢م من أهم مؤلفاته السلوك لمعرفة دول الملوك المواعظ والاعتبار حسن المحاضرة للإمام السيوطي ج ٢ ص ١٨٠

(٢) ابن نباته المصري عمر موسى باشا ص٥٤-٦٠

الفصل الأول
المبحث الثاني
مولده ونشأته

اسمه وكنيته ولقبه ونسبه :

اسمه محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن شرف الدين محمد بن أبي الحسن بن صالح بن علي بن يحيى بن طاهر بن محمد بن الخطاب عبد الرحيم بن محمدين إسماعيل بن نباته.

أصل اسم نباته من القاموس من مادة نبت على اختلاف الأقوال في ضبط النون من (نباته) بالضم أم بالفتح وقال صاحب القاموس في الكلام على عبد الرحيم الخطيب : (بالضم أكثر وأثبت) ونقل صاحب التاج ان بعض الائمة بالفتح لتوريته في شعره للقطر النباتي وبعد قول الزبيدي هذا من ذرية ذاك فإما الضم في كليهما أو الفتح فقد رجحوا الضم في الأول فيتبعه الثاني وقرأت نسبه في مخطوطة تاج المفرق للحيلوي وقد اجتمع به في بيت المقدس كما يأتي محمد بن محمد بن محمد الحسن بن صالح وكان يكتب اسمه محمد بن الخطيب بن نباته العبشمي أو المصري الشافعي.[١]

لقبه :

أما لقبه الذي سار به ذكره وشهر به في كتب الأدب فهو جمال الدين وقيل أيضا على قله شهاب الدين ولم يورده غير ابن بطوطة وتبعه بروكلمان في الموسوعة الإسلامية فذكره بالإضافة للقبه الأول المشهور به[٢]

---

(١) الإعلام للزركلي ج٧ ص ٣٥-٣٨

(٢)الدرر الكامنة ابن حجر العسقلاني ج٣ ص ٤٧

نسبته :

أما نسبته إلى الموطن الذي سكنه أجداده قديما وهو ميافارقين فلا خلاف فيها على الأطلاق إذ أجمع المؤرخون والأدباء ممن ترجم له على أنه فارسي الأصل نسبته إلى البلد الذي عرف به جده المشهور خطيب خطباء سيف الدولة عبد الرحيم بن نباته.

أما الموطن الذي ولد فيه وترعرع ودرج فيه وهو مصر. ولا خلاف في ذلك أيضا إذ أجمع المؤرخون والأدباء أنه مصري الدار إلابروكلمان فيذكر أنه ولد بميافارقين.

اختلف المؤرخون في تاريخ مولده فمنهم من قال انه ولد في سنة ٦٧٦هـ أو ولد سنة ٦٨٦هـ وجمهورهم يؤكد أنه ولد في السنة الأخيرة ما يوافق ١٢٧٨م.

غير أن هناك نصا عنه يؤكد من بينهم محي الدين بن عبد الظاهر المتوفي سنة ٦٩٢هـ وهذا ليس من المعقول انه تتلمذ له وأخذ عنه الأدب وهو في الخامسة أو السادسة من عمره ولذلك نرجح إنه ولد سنة ٦٧٦هـ على الأقل ان لم يكن قبل ذلك وهو من نسل ابن نباته السعدي ويذكر مترجموه ان من بين شيوخه والده وجده ولذلك نجده كان كثير الفخر والزهو بنفسه وبشعره وشاعريته ويقول في ذلك :

وما الدار دون نظم انصه　　　وما القصر إلا دون بيتٍ أشيّده[1]

وأما من قال إنه جذامي فإنه ينسبه إلى جذام وهي قبيلة من عرب الجنوب ينسبه القحطانيين ويذكر النسابون أن لخماً من كهلان أولاد عريب بن زيد بن كهلان وأن لخما وجذاما أخوان وهما ابنا عدي بن الحارث بن مرة بن زيد بن كهلان وسكنت قبيلة جذام الشام ونستبعد أن يكون منه بني حذاقه ولو أن هذه النسبة الأخيرة كانت صحيحة لكان – كما نرى – هذا النسب هو في حقيقة الأمر صفة لجده الخطيب عبد الرحيم بن نباته جذامي خارقي من أصل قحطاني وليس من

---

(١)ديوان بن نباته المصري ص ١١٤

بني جذامة كما وهم ابن خلكان ولقد عرفه القدماء باسم ابن نباته المصري ذلك لأن أرض الكنانة مصر كانت مقام أسرته ومسقط رأسه فهو إذاً مصري الدار والمولد والوفاة[١]

آراء أساتذته فيه :

تنقل في حلقات شيوخ الأدب وتفتحت موهبته الأدبية في الشعر والنثر في سن مبكرة وفي تلك الفترة هاجر كثير من العلماء في مصر إلى دمشق والشام حيث رحل أبوه من مصر إلى الشام في حوالي سنة ٧١٠هـ وأخذ الطلاب عنه الحديث ولعل ارتحال والده عن مصر هو الذي حبب إليه الرحلة إلى دمشق واتخاذها دار مقام له وتم ذلك في سنة ستة عشر وسبعمائة وظل بها مدة طويلة تقارب نصف قرن أو بعبارة أدق خمسة وأربعين عاما وقد ظل يحن إلى مصر حنينا شديدا ويهفو فؤاده إليها وإلى ترابها ونيلها ورياضها ومراتع صباه وملاعبها ويقول أيضاً إنها ديار شبابه وحبه وديار الوفاء في غيرهم ودار الأمن والسلام.[٢]

وكما ذكرنا من قبل فهو من أسرة عريقة في العلم والأدب ولقد أخذ

السيرة النبوية على عدة علماء منهم :

غازي الحلاوي اللابرقوهي التقي عبيد بهاء الدين بن النحاس عبد الرحيم بن الدميري جده شرف الدين بن نباته وغيرهم. وكان لكثرة انتقال ابن نباته في بلاد الشام أثر في اتساع مدى فكره الشعري وقد قال فيه معاصره ابن حجة الحموي في خزانه الأدب في معرض حديثه عن التورية ان ابن نباته وان تاخر في السن عن فحول المتقدمين عصرا فقد تقدم عليهم ببديعه وعربيه بيانا وسحرا ويمثل مذهبه مذهب في الرثاء ويتضح في شعره حسن الدلالة على المقصود وهكذا تبدو الصناعة اللفظية كأشد ما تكون شعراً وكاقوى ما تكون تأثيرا على فطرة الشاعر.[٣]

---

(١) الدرر الكامنة ابن حجر العسقلاني جـ (٤) ص ٣٣٤.

(٢)الأدب المصري من قيام الدولة الأيوبية الي مجي الحملة الفرنسية : عبداللطيف حمزة ص١٢٠-١٣٣

(١) الحياة الأدبية في مصر العصر المملوكي العثماني تأليف محمد عبد المنعم خفاجى ص ٥٥ – ١٦٥.

شخصية الشاعر و ثقافته الدينية :

نشأ ابن نباته في بيت ثري وبيت أسرة ظاهرة الجاه والنفوذ وفي ظل أب عطوف حنون أب ذاع صيته في العلم والفضل والأدب وكثيرا ما يردد شاعرنا الفخر بأبيه وأهله.

وكان والده الأستاذ الأول له أخذ عنه مبادئ العلوم والأدب كما أنه درس على كبار العلماء علوم الدين والحديث واللغة والأدب.

وقد شاهد شاعرنا الخلاف السياسي حول العرش بين المماليك والأمراء وقد أثرت هذه الأحداث في نفسه وفي خلقه كثيرا.

تأثرت البيئة الأدبية تأثيرا واضحا وقد أكتسب دراسة وقراءة شعر الحماسة وشعر القاضي الفاضل ورسائله فرسخت في نفسه طريقة الولوع بالتورية والطباق والتضمين وعمل على تأييدها والإشادة به وبها فكان يعد الفاضل إماماً لهذه الطريقة في النشر والنظم على سواء.

بدا ابن نباته الشعر وهو في الثالثة عشر من عمره وذلك يدل على موهبة صادقة وفطرة خالصة وإطلاع كبير فقد حدث عن نفسه أنه أخذ يقرض الشعر عقب دخوله على ابن دقيق العيد مع والده عام ٧٠٠هـ حيث ناوله ابن دقيق كتاب الحماسة وجزءا من الذخيرة لإبن هشام فأقبل عليهما ابن نباته الشاب الصغير بشغف وشغل عما حوله.

فتنبأ له الشيخ بمستقبل باهر في الأدب وبشر والده بذلك على مسمع منه

وعاش ابن نباته مطمئن النفس اقرب على الاستسلام والاستكانة منه إلى الجرأة على الحياة وكان للا حداث السياسية والاقتصادية أثر فى نفسية الشاعر فرقت نفسه فأصبح رجلا اقرب للخوف منه الى الشجاعة ورابطة الجأش وكان لذلك اثره الواضح فى شعره[1]

---

(١) الأدب المصري تأليف عبد اللطيف حمزة ص ١٢٠-١٣٣

المطلب الثاني
مراحل حياة ابن نباته

المرحلة الأولي (**٦٥٦ـ٧٠٦هـ**) :

لا نعرف الكثير عن طفولة الشاعر غير أنه بدأ حياته في أرض كنانة وعاش في جو ديني علمي وشب علي هذا السبيل الذي سلكه أجداده من قبل ونتج عن ذلك عاملان هامان: إحدهما وراثي والأخر مكتسب.

استمرت المرحلة الأولي من حياته عشرين عاماً أكتسب فيها قسطاً وافراً من الثقافة الدينية والأدبية والثقافية. ولقد تعلم الكثير من العلوم أمام الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد(١) وقد أجمع علماء عصره أنه أستاذ زمانه علماً وديناً وأدباً يضاف إلي ذلك أنه شاعر وأديب.

كان أستاذه يهتم به كل الاهتمام وقد لاحظ ذكاءه ونبوغه وكان يطلعه علي كتب الأدب القديمة فيقراؤها ويحفظها ولقد اتجه شاعرنا إلي جانب أخر من الثقافة وهو الشعر الأندلسي والموشحات وكان عمره لا يتجاوز العاشرة أو الثانية عشر ولقد أولع بالنظم منذ الصغر ولقد نظم الشعر في زيادة النيل فقال(٢)

زادت أصابع نيلنا ** وطمت فاكمدت الأعادي
وأتت بكل جميل ** هذي أصابع ذي أيادي.

يوضح هذان البيتان عبقرية الطفل الشاعر الذي لم يبلغ الحلم بعد وتبشر بثمر شهي ويرجع الفضل في ذلك إلي شيخه وأستاذه تقي الدين العبد ولقد استمرت هذه العلاقة ما بين سنة ٦٩٥هـ وسنة ٦٧٢هـ .

---

(١)تقي الدين بن دقيق العيد : هو إبراهيم الدقيق بن تقي الدين القيرواني كاتب أخباري مؤرخ شاعر قدير ولد بمصر ٣٨٨هـ ومن مؤلفاته (الروح والراح) الأعلام للزركلي ج٣ ص ١٩٨

(٢)ديوان ابن نباته المصري ص ٩٤

هذه هي المرحلة الأولي في الحياة نهل فيها من أبيه وأستاذه علوم القرآن والحديث وفنون الشعر والأدب ولم يكتف بهذه الثقافة فحسب فآخذ العلوم الدينية عن أشهر العلماء وروي الحديث النبوي عن حفاظه وقرأ السيرة النبوية وتعمق في علوم اللغة العربية وغيرها من العلوم. أخذ علوم الحديث عن علي غازي الحلاوى وسمع عنه بعض القيلانيات ويعتبر ابن نباته آخر من حدث عن غازي الحلاوي كما أخذ الحديث عن الشيخ عبد العزيز الحصري.

أما السيرة النبوية فقد سمع أديبنا عن (الأبرقوهي) وهو شهاب الدين بن عبد الظاهر كاتب الإنشاء بمصر عن هذه السيرة المباركة بقراءة الشيخ فتح الدين بن سيد الناس وقد تفرد بها هؤلاءوبعض أساتذة أبن نباته وقد تعزر عن ذكرهم جميعاً٠

المرحلة الثانية (٧٠٦-٧١٦هـ):

بدأ ابن نباته كفاحه في الحياة بعد أن انهي دراسته ولم يحظ ما بسعيه أجلها غير أنه تولي مشيخة أحد المساجدلقد كانت بضاعته الشعر وكان قليل الدخل ولم يكن محظوظاً في حياته خاصة في الكسب والمال.

رحل والده إلي دمشق وصعب علي ابن نباته أن يغادر مصر بالرغم من وطنيته وتمسكه بوطنه ترك والده يرحل وحده.

أن هذا هو القول الشائع في تلك الفترة وهذا القول الشائع وأنشأ أسرة ولكن لا نملك الدليل علي ما نقول وأن رحليه إلي الشام كان بسبب الفقر والحرمان إما زوجه كانت امرأة ولوداً ولدت له قريبا من ستة عشر ولداً ومعظمهم كان يتوفي بين الخامسة أو السادسة أو السابعة ولم يعش له إلا ولد واحد اسمه محمد[(١)].

أشهر ممدوحيه في تلك الفترة هما بدر الدين بن فضل الولي وشرف الدين فضل الله.

---

(١) ابن نباته المصري تأليف عمر موسى باشا ص ١١٤ - ١٢٦.

المرحلة الثالثة (٧١٧-٧٣٢هـ):-

تعتبر هذه المرحلة من أهم مراحل حياة الشاعر وفيها ذاع صيته وانتشر ذكره في بلاد المشرق.

سافر إلي الشام في عام سبعة عشر وسبعمائة من الهجرة في ميافارقين وهي بلاد جدهومن أهم الأسباب التي دعته للهجرة الفقر المدقع والاحتياج الشديد وكسر الحاجز الحزين والمعاناة التي تلقاها من السلاطين والأمراء.

هاجر الي حماه التي كانت كعبة الأدباء والأطباء والعلماء حيث كانوا يذهبون جميعاً إلي بلاط الملك الأيوبي لكي ينالوا من عطاياه الكثير.

استقر الشاعر في حماه مع الملك المؤيد وألف معظم مؤلفاته وكتاباته من قصائد ومقطوعات صغيرة تزيد علي اثنين وأربعين قصيدة ومقطوعة قالها في مدة لا تقل علي خمس عشرة سنة عاش فيها أجمل أيام حياته فهي تمثل له الملجأ الوحيد حيث طاب له المقام وعاش فيها أجمل أيام حياته.

ومن قصائده التي كتبها في هذه المرحلة مدحه لأسرة آل فضل وتعد أول أسرة اتصل بها شاعرنا ومدح أعيانا في دواوين السلاطين في كل من مصر والشام وأيضاً مدح ابن الأثير[١] بثلاث قصائد ٠

وتمضي الأيام وما يزال شاعرنا مع الملك المؤيد ينعم في حياته ويؤلف الكتب والقصائد الشعرية ولكن لن تدوم الأيام علي حال وتوفي الملك المؤيد ويبكيه بدمع جسار طوال حياته ويرثيه بأجمل المراثي في كل قصيده بمدح ابنه الأفضل أو غيره وحفظ له عهده وصان وده وكان وفياً له في حياته ومن بعد مماته[٢]

المرحلة الرابعة (٧٣٢-٧٤٢هـ):

تبدأ هذه المرحلة بعد وفاة المؤيد ويخلفه ابنه الملك الأفضل[٣]وترك شاعرنا حماه وزهد في الحياة وإعراض عن الشعر وهكذا تغير وضع ابن نباته وذهب ليبحث

---

(١) أبن الأثير: وهو عز الدين بن علي ولد سنة ٦٦٢هـ /١٢٣٤م من أهم مؤلفاته (المثبل السائر) الأعلام للذركلي ج٢ ص١٢٤

(٢)ابن نباته المصري عمر موسي باشا ص ١٢٦-١٥٧

(٣) الأفضل :هو أبو الحسن الملقب بالأفضل ولد سنة ٥٠٦هـ عصر سلاطين المماليك : محمود رزق سليم ص١٥٤

عن الرزق في مكان آخر وبالتأكيد تغير حاله من عيشة هنيئة ورغدة إلي حياة معاناة وفقر وحزن وبحث عن المجهول.

عرف الملك الأفضل في بداية عهده بتكريمه للشعراء واهتم بابن نباته وصار شاعر البلاط الأيوبي ومدحه شاعرنا بعدة قصائد ولكنها ليست مثل التي مدح بها والده وقد أعجب ابن حجة صاحب خزانة الأدب بقصيدة منه وجعلها من عجائب الدهر لأنه جمع بين نقيضين هما المدح والرثاء حيث مدح فيها الملك الأفضل ورثا فيها والده أيضاً فى نفس القصيدة[١].

المرحلة الخامسة (٧٤٣-٧٦١هـ) :

في هذه المرحلة نال الشاعر ما كان يسعى له من فترة حياته السابقةنيل وظيفة فى ديوان الإنشاء وقد أعانه علي ذلك شهاب الدين بن فضل(٢) وواظب علي عمله فى الديوان وكان ذلك فى عام (٧٤٣هـ) تم عزل الشهاب من رئاسة الديوان وحل محله أخوه بدر الدين و أما ابن نباته فلم يستمر في عمله وتم عزله بعد سنتين وبعد عزله تفرق لكتابة الشعر والتأليف وكثر أعداؤه وحساده في تلك الفترة وهذا شئ طبيعي لكل إنسان وانتزع لقب شاعر الشام الذي كان يقال له ثم تطور فأصبح شاعر المشرق وتغيرت طريقته المعروفة الي مطارحات شعرية حول فن جديد هو فن الشتويات (الشامية) ثم انتقل من مدح الشهاب إلي مدح أسرة آل السبكي منهم تقي الدين السبكي[٣] وابنه تاج الدين حيث كان أمير الشام فى زمانه وتولي القضاء فمدحه الشاعر ومجده وهما بعيدان عن مصر وطنهما الحبيب.

المرحلة السادسة :

في هذه المرحلة كانت عودته إلي أرض مصر ووطنه الحبيب الذي غاب عنه نصف قرن قضاه بنشر علمه وأدبه الذى أذيع في الخافقين شعره بين وأدي مصر والشام.

---

(١) ابن ثباته المصري عمر موسي باشا ص ١٥٨-١٧٧ بتاريخ ١٩٩٣م.

(٢) شهاب الدين: هو أبو البقاء محمد بن علي بن السبكي ولد في ٧٠٧ وتوفي ٧٠٧هـ عصر سلاطين المماليك ج٣ ص٢٥١.

(٣) تقي الدين السبكي: هو على بن عبدالكافي بن على بن تمام السبكي ولد سنه ٦٨٣هـ /٧٥٦م من أهم مؤلفاته الدر النظيم للتفسير (مختصر طبقات الفقهاء) الأعلام للزركلي ج٤ ص٣٠٢.

ومدح السلطان الناصر حسن واسرته واجداده فحفظ له مكانته لأنه يعتبر أديباً كبيراً في بلا المشرق فأمر أن ينسخ ديوان الشاعر ويحفظ مكرماً في المكاتب السلطانية الخاصة وأصبح فوق كل الدواوين وأمير شعره علي سائر شعراء عصره.

ومن تلك الأشعار تتفتح لنا نفسية شاعرنا التي تتسم بالحب والولاء للسلطان الذى حقق له ما تمناه في دنياه من رزق وفير ومكانه رفيعة بين الشعراء وأصبح أميرهم وقطعت عنه المعلومات وظهر ذلك فى معرض وهو الممدوح الوحيد الذي خص به بعد موت سيده ثم ينتقل إلي علاقة أخري مع علاء الدين بن فضل الله الذي تعرف عليه خلال زيارته لدمشق وكان له الفضل في أعانته وزاده من وظائفه فخامة التي عزل عنها ويعتبر علاء الدين خامس ممدوح للشاعر[١] انتقل الشاعر إلي مجال آخر في كتابه الشعر والحنين والشوق لأرض مصر والتغني لوطنه الغالي الخالد وكذلك كان شاعرنا في تلك الفترة يتحسر علي أيام شبابه ويصور شوقه لأولاده في صورة رائعة توضح الحنان الأبوي.

وفي هذه الصورة نعثر علي الثالوث الجديد وهو (مصر والنيل وحلوان) وقد رأيناه من قبل يضم مصر والنيل والأهرام ثم يخاطب بعد ذلك صاحبه علاء الدين بن الصاحب.

ولم تمض فترة قليلة وساءت العلاقة بين ابن نباته وصاحبه علاء الدين وكان ذلك بسبب الوشايات و الحسد من الناس وقال شاعرنا فى ذلك شعراً يوضح انه برئ وترك الاعتذار وأفهم الصاحب العلاء المدائح ذات مكانة رفيعة انتشرت في كل مكان.

اخذ الصليبيون التصوف من الإسلام وكان ذلك فى العصر الفاطمي الذى شجع عليه وقد ذكر ابن خلدون ذلك وقال :((أن كثير من العقائد الاساسية فى التصوف أنه هو ماخوذ من كلام الشيعة والرافدة من مذاهبهم)) .[٢]

---

(١)ابن نباته المصري عمر موسي باشا ص١٩٣-٢٠٧.

(٢) مقدمة ابن خلدون لعبد الرحمن خلدون ص ١٣٧.

لقد حاول صلاح الدين نشر التصوف السني لكي يقضي على بقايا المذهب الشيعي وهكذا تطور التصوف فى شكله المبسط فى العصر الايوبي الي اتجاه خاص ولقد كان لسلاطين المماليك دور فعال بشغلهم للشعب عن الوضع الراهن وجعله حتي رحمة السلطة وكذلك وضعهم فى جو ديني بعيداً عن السياسية وما فيها من مشاكل داخلية وقد اعترفوا بهم وجعلو منهم طائفة دينية خاصة ولكل فرقة شيخ من قبل السلطان.

انقسم الصوفية الي عدة طوائف ولكل منها شعارها الخاص بها ومن اشهر المتصوفه فى القرن السابع الهجري أبو الحسن الشاذلي والسيد أحمد البدوي وغيرهم كثير.

اعتمد المتصوفه على غيرهم في سبيل حياتهم الخاصة ولقد خصصت لهم أمكان معينة تسمى بالموانف والربط والزوايا [١]

توجد بعض الطوائف التي تطرقت فى أدائها ومذاهبها واسمتدت من المسيحية كثيرا مبادئه ونتج عن ذلك نشوء جماعات اطلق عليهم المجاذيب أو الدراويش.

(١) ابن نباته المصري عمر موسي باشا ص ٦٠-٦٩

سروات الأسرة النباتية :

قبل الحديث عن شاعرنا جمال الدين الذي أحيا اسم جده الأول نباته فكلهم من الخالدين.أما جده الخطيب الحذاقي[١] عبد الرحيم بن محمد بن إسماعيل بن نباته الفارقي المشهور الذي تحدثت عنه كتب التاريخ فهو جدير بذلك وعاش في القرن الرابع الهجري في عصر سيف الدولة ولد في بلدة ميافارقين سنة (٣٣٥هـ) اشتهر بالخطابة فلقبه بخطيب الخطباء وقد جمع خطبه التي امتازت بالقصر والسجع.

توفي ببلدته مياقارقين سنة (٣٧٤هـ) خلفة ابنه عبد الرحيم (أبو طاهر محمد) وقد عرف أيضاً بالخطابة توفي سنة (٣٩٠هـ).اشتهرت هذه الأسرة بالقضاء بالإضافة إلي الخطابة أقام والده في مصر واسمه شمس الدين محمد بن محمد بن الحسن نباته الجذامي الفارقي الأصل.

ولد بالقاهرة سنة (٦٦٦هـ) في بيت علم وأدب أشتغل بديوان بيبرس الجاشنكير ولكنه غادر مصر واتجه إلي بلاد الشام وذلك للأسباب سياسية غامضة. وتنقل في عدة مناصب واتخذ دمشق سكنا له.

يعتبر من شيوخ الحديث المشهورين تولي مشيخة المدرسة الظاهرية سنة (٧٣٠هـ) وتولي مشيخة دار الحديث النووية

وقد اشتهر ابنه جمال الدين بن نباته وذلك للأسباب الوراثية التي ورثها عن آبائه وأجداده وتتمثل في العلم والدين والشعر والخطابة[٣]

ونشير أخيرا إلي ابن الأزرق الفارقي المتوفى في النصف الثاني من القرن السادس الهجري الذي أورد في تاريخه ذكر المشاهير من الأسرة النباتية التي انتهت إلينا في شخص شاعرنا جمال الدين بن نباته المصري

---

(١)الخطيب عبدالرحيم الجذامي ابن محمد بن إسماعيل بن نباته ولد فى بلده ميافارقين سنة ٣٣٥هـ -٣٩٠هـ الاعلام للذركلي ج٣ص ١٤٥.

(٢) ابن نباته المصري : عمر موسي باشا ص١٦٣-١٦٤ ص ١٢٢ – ١٢٥

تولي مشيخة دار الحديث النورية بعد وفاة الشيخ زين الدين المربي فى سنة (٧٤٩هـ) وقد توفي بعد توليها بعام واحد٠

ولقد اشتهر ابنه جمال الدين بن نباته وذلك للأسباب الوراثية التي ورثها عن آبائه وجدوده وتتمثل فى العلم والدين والشعر والخطابة ويذكر أن آباه كان شاعراً يضاف إلى ذلك أنه خلف بعض الآثار٠

خاتمة حياته :

ولقد اشتهر ابنه جمال الدين بن نباته وذلك للأسباب الوراثية التي ورثها عن آبائه وجدوده وتتمثل في العلم والدين والشعر والخطابة ويذكر أن آباه كان شاعراً يضاف إلى ذلك أنه خلف بعض الآثار.

ونشير أخيرا إلى ابن الأزرق الفارقي المتوفى في النصف الثاني من القرن السادس الهجري الذي أورد في تاريخه ذكر المشاهير من الأسرة النباتية التي انتهت إلينا في شخص شاعرنا أمير المشرق جمال الدين بن نباته المصري.

وتوفى الشيخ الإمام الأديب البارع المفتن جمال الدين أبو بكر محمد ابن محمد بن محمد الجذامي الأصل بالقاهرة في الثامن من شهر صفر من السنة المذكورة ٧٦٨هـ سنة ثمانية وستين وسبع مائة للهجرة.

ولقد تمنى الشاعر قبل وفاته ان يرثى صديقه شيخ الشافعية تقي الدين السبكي وهو في بلاد الشام أن يعود إلى مصر لعل بطن ثراها تجمعه به وبها ولو كان ميتا وبالفعل أمهلته المنية حتى عاد إلى مصر[1]

وقد أحس الشاعر بقرب الأجل فأودع في إحدى قصائده نداءه لصاحبه

صَاحِ هَـذى أواخرُ العُمرِ قَدْ ولَّى ... وهَـذى أواخرُ الأشْعَارِ[2]

أنجمٌ قلْتُها أوانَ مَشِيبِي ... فِهيَ لا شَكَّ أنجُمُ الأسْحَارِ

---

(١) ابن نباته المصري : عمر موسي باشا ص١٢٢-١٢٥ ص ٢٣٨-٢٤٠

(٢) الديوان ص ٢٥٠.

ويذكر الشاعر أولاده الكثيرين الذين دفنهم في حياته وعددهم ستة عشر ولداً. ويظهر أنه كان يعالج في المارستان المنصوري في أواخر أيامه وكانت وفاته في يوم الثلاثاء في اليوم السابع أو الثامن من شهر صفر بزقاق القناديل الموافق لشهر تشرين أول أوكتوبر سنة ١٣٦٦م وقد شيع جثمانه ودفن بمقابر الصوفية خارج باب خانقاه سعيد السعداء فعليه الرحمة والسلام يوم ولد ويوم مات.

الفصل الثاني
المبحث الأول
المديح النبوي

ينتشر المديح النبوي فى كل مكان ويتكاثر فى كل بيئة وخاصة بيئة المتصوفة الذين جعلوا محبة الرسول(صلى الله عليه وسلم)جزءا من محبة الذات الإلهية بل أن محبتها واحدة وحقيقتها واحدة فلا فرق بين الحقيقة المحمدية والحقيقة الإلهية إذا هما جمعياً روح كل كائن وحياة كل وجود وما محمد إلا الكلمة الإلهية التي تمثلت فى الأنبياء وتتمثل فى أقطاب الصوفية من بعدهم.

ومن أثر شيوع التصوف في عصر الحروب الصليبية أو بعبارة أخرى في القرنين السادس والسابع للهجرة وتكاثرت فيها الطرق الصوفية وهي طرق كانت تهتم بالجانب النظري والعملي معاً وتتألف من إمام صوفي كبير ومن أشهر هذه الطرق الطريقة الشاذلية التي أسسها أبو الحسن الشاذلي المتوفي سنة (٦٥٦هـ) وكان من مريدي أستاذه الشاذلي البوصيري أبو عبد الله بن محمد المتوفى سنة (٦٩٨هـ) وكانت فيه نزعة إلى التقوى جعلته يتصوف على أبي الحسن الشاذلي وأخذ يصدر عن طريقهما فن شعره المديح النبوي[١]

ومن شعراء المديح في ذلك العصر ابن الساعاتي شاعر صلاح الدين وهي قصائد ظاهرها مديح للرسول الكريم وباطنها دفاع عن الإسلام وإشادة بفضائل رسوله ومعجزات رسالته الباهرة وبيان لما دخل عقيدتي اليهود والمسيحيين من الفساد والتعبير وكذلك نجد الإمام البوصيري اتجه نفس الاتجاه في مدح الرسول "عليه أفضل الصلاة والتسليم" [٢]وكان شعراء المديح النبوي من قبله قد عكفوا على لامية كعب بن زهير في المديح النبوي يحاكونها ويعارضونها وسموها "بانت سعاد".

المدائح النبوية فن من فنون الشعر العربي وعصر أصيل من المدح في الشعر العربي الذي يقدم فيه الشاعر على مدح الرسول (**صلى الله عليه وسلم**) وآل البيت

---

(١) فصول فى الشعر ونقد بقلم شوقي ضيف ص ٢٣٢-٢٣٣

(٢)جواهر الأدب تأليف أحمد الهاشمي ص ٤٦٧

ولا يطمع من وراء مدحه في مال أو جزاء ولقد ظلت دوافع المديح النبوي هذه عند الشعراء بعد أن انتقل إلى جوار ربه فمدحوا صفاته الكريمة وشمائله الطيبة ومكانته السامية وأفعاله الميمونة كأنه حي بينهم فمدح الرسول صلى الله عليه وسلم ولم ينقطع بموته فظل الشعراء يمدحونه إلى يومنا هذا ولا يسمى المدح إنشاد "وسبيل الرثاء[١] أن يكون ظاهر التفجع بين الحسرة مخلوطا بالتلهف والأسف والاستعظام" ويراد بالمدائح النبوية التقرب إلى الله بنشر محاسن الدين والثناء على شمائل الرسول (صلى الله عليه وسلم).

أطوار المدحة النبوية :

لقد مرت قصيدة المديح النبوي بأربعة مراحل أو أطوار تتمثل في الآتي :

طور الدعوة وطور السياسة وطور التعبد وأخيرا طور التفجع الذي جعلها سيدة القصيد.[٢]

أولاً : **طور الدعوة** : فقد نشأت قصيدة المديح النبوي في أحضان الدعوة المحمدية تندب عن المسلمين والإسلام وقد كانت جزءا لا يتجزأ من الشعر العربي وأقدم ما وصلنا من هذا الطور من مديح ما نسب إلى أبي طالب عم النبي (صلى الله عليه وسلم) يذكر فيه[٣] فضل النبي ويمدح من وافقه فيقول :

إذا اجْتَمَعَتْ يَوْماً قُريْشٌ مَفْخَر ... فعَبْدُ مَنَافٍ سَرَّهَا وَصَمِيمُهَا
فإن حَصَلَتْ أشرافُ عبد منافها ... فغنى هَاشِم أشرافهَا وقَدِيمُهَا
وإن فَخَرَتْ يوماً فإنَّ مُحَمَّدا ... هُو المُصْطَفَى مِنْ سِرِّها وكريمُ

وهناك من الشعراء العرب مدح الرسول (صلى الله عليه وسلم) كالأعشى الكبير الذي مدحه بقوله :

أَلمَّ تَغْتَمْض عَيْنَاكَ لَيْلَةَ أرْمَدا ... وَعَادَكَ مَا عَاد السَّلِيمُ المُسَهَّدا

---

(١)العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده لابن على حسن بن سيف القيرواني تحقيق محمد محي الدين ط ٣ ١٩٦٣م ج٢ص١٤٠.

(٢) المرشد إلى فهم أشعار العرب وصياغتها ج٤ ص ٣١-٣٦

(٣) السيرة النبوية : لابن هشام محمد بن عبد الملك بن هشام ص ٢٤٢

ووفد على الرسول صلى الله عليه وسلم جماعة من الشعراء والرجاز يمدحونه منهم كعب بن زهير الذي جاء تائبا يرجو عفوه فمدحه بقصيدته المعروفة (بانت سعاد) ومنهم أيضا حسان بن ثابت شاعر الرسول صلى الله عليه وسلم وعبد الله بن رواحة وكعب بن مالك وغيرهم.[١]

وقد كانت قصيدة المديح النبوي في هذه الفترة جزءا لا يتجزأ من قصيدة المدح الجاهلي من حيث الألفاظ والمعاني وخالطتها بعض المعاني الإسلامية وتجلى ذلك في قصيدة كعب بن زهير التي قول فيها :

بَانَتْ سُعَادُ فَقَلْبي اليَومَ مَتْبُولُ   تَيَّمٌ اثْرَهَا لَمْ يُفْدَ مَكْبُولُ
وَمَا سُعَادُ غَدَاةَ البَيْنِ إذ رَحَلُوا   إلاَّ أغَنّ غَضِيضَ الطَرْ فِ مَكْحُولُ

فقد استهلها على عادة الشعراء الجاهليين بالنسيب ثم وصف الناقة ثم تلها بالمدح فإنه يسبغ على الرسول (صلى الله عليه وسلم) وأصحابه صفات مثل التي يمدح بها الشعراء ساداتهم حيث يقول [٢]:

يمشون مشي الجمال الزهر يعصمهم   ضرب إذا غرد السود التنابيل
شم العرانين أبطال لباسهم   من نسخ داؤد في الهيجا سرابيل [٣]

تتجلى فيها المعاني الإسلامية وعلى ضوء هذه القصيدة سارت قصيدة المديح النبوي وانتهج كثير من الشعراء نهجها فعارضوها على مر العصور والأزمان..

---

(١) المرشد إلى فهم أشعار العرب عبد الله الطيب ص ٣١ – ٣٦.

(٢) العمدة لابن رشيق القيرواني ج ٢ ص ١٤٠.

(٣)ديوان الأعشي ص ٤٦

ثانياً : طور السياسة :

في القرن الثاني الهجري دخلت قصيدة المديح النبوي طورا جديدا حيث كان الصراع حول الخلافة قد بلغ أشده وكانت كل فرقة من الفرق المتصارعة تحاول أن تجد لمطالبها السياسية سندا دينيا يؤيد حقها في الخلافة وقد كان مدح الرسول (صلى الله عليه وسلم) مراد به جانب نصر ودعوة سياسية بصيغها هي دعوة آل البيت وشيعتهم[1].

الطور الثالث :فهو طور التعبد الممهد وقد كان توطئة لطور نضخ القصيدة النبوية فالمديح النبوي في العصر العباسي كان يأتي من خلال مدح الخلفاء كما في قول البحتري يمدح المتوكل :

ذكروا من برد النبي مذكرا   بالله تندر ثأره وتشرد(٢)

فالبحتري في هذا البيت مدح النبي (صلى الله عليه وسلم). وجعل مدح الخليفة المتوكل فرعا.

وأيضا نجد شعر المتنبئ في الجهاد ورفع راية الإسلام واعلاء لكلمة الشهادة كثيرا وأن لم يصرح فيه مدح النبي (صلى الله عليه وسلم) وكذلك ابو تمام رغم شعرهما الكثير ورصانة مجدهما عاجزون عما يليق بالرسول الكريم من المدح فتركوا مدحه أدبا معه "صلى الله عليه وسلم".ومما جاء في مدحه عليه أفضل الصلاة والسلام في هذا العصر قول أبي العلاء المعري في لزومياته: [3]

دعاكم إلى خير الامور محمد   وليس العوالي في القنا كاسوافل
حداكم على تعظيم من خلق الضحى   وشهب الدجي من طالعات وأفل
فصلى عليه الله ماذر شارف   ومادب مسكا ذكره في المحافل

---

(١) الأدب الصوفي في مصر في القرن السابع الهجري تأليف علي صافي حسين – دار المعارف بمصر ت ١٩٦٤م ص ١٩-٢٣.

(٢) البحتري ديوانه : ص ٢٤ دار صاد – بيروت ب – ت

(٣)اللزوميات ابو العلاء المعري طبعة دار صاد ص١٣٨١هـ٣١١

البيت الأخير من صميم القصيدة النبوية إن كثير من الشعراء تحثهم قصائده بالصلاة عليه والدعاء له بالسقيا. ومن أقدم القصائد في القرن السادس الهجري رائية الزمخشري حيث ظهرت فيه كثير من قصائد المديح النبوي التي تعارض قصيدة كعب بن زهير وقد كان للتصوف أثر واضح في المديح النبوي منذ نشأته في أخريات القرن السابع الهجري حتى بلغ أوجه في القرن السابع الهجري[١].

كانوا يرون أن الإمام لا تكون في حي سواهم غضبا إذ هم أهل الحق فمدح الرسول (صلى الله عليه وسلم) يعتبر مذهب الاستنجاد بدعاء يتوسلون به ليبعدهم الله على من غضبوا حقهم وكان أيضا مذهبا يمتهن استنهاض همم المسلمين لرعاية حقه ومن حقه ان يحفظوا عهد الله إليهم في آله وذلك من قوله تعالى : " قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى [٢]

وأن يحاربوا من حاربهم وألا يروا أحدا صالحا للإمامة غيرهم فظهر مدح الرسول "صلى الله عليه وسلم" في معرض المساجلة والمفاخرة بالانتساب إليه وكذلك في الحجاج المشتد بين الأحزاب في العصر الأموي هاشميات الكميت [٣] وأن أول ما مدح به الهاشميين هو انتسابهم للرسول الكريم وهذا ما جعله يمدح الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام.ومن شعره في ذلك قوله :

أسره الحديث أبي القاسم فرع القدامى القدام
حيز حي وميت من بني آدم طرا موسهم والإمام
طيب الأصل طيب العدد في البناية والفرع يثربي تهامى

وقد حببت الهاشميات في الشعر الحزين الذي يذكر مقابل أهل البيت ما اصيبوا به من طغيان بني أمية وأيضا من شعراء ذلك العصر دعبل الخزاعي[٤] ويقول في ذلك :

---

(١) المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها ج ٢ ص ٣١ – ٥١ تأليف عبد الله الطيب.

(٢) سورة الشوري الآية (٢٣).

(٣) الكميت هو : الكميت بن زيد من بني أسد أبا المستهل شاعرا ومعلما الشعر والشعراء لابن قتيبة ص ٣٨٥ ب ديوانه ص ١٦ توفي قتيلا سنة ٢٤٦هـ الأعلام للزركلي ص ١١٢.

(٤) دعبل الخزاعي : مولده (١٤٨ هـ– ٢٤٦هـ) من الشعراء البارعين في الوصف له ديوان شعر مطبوع.

مدارس آيات خلـت مـن تلاوة	ومنزل وحي مقفر العرصات [١]
لآل رسول الله بالحيف من منى	وبالركن والتعريف والجمرات
ديار علـــي والحسين وجعفـر	وحمزة والسجاد ذي التقنات

ومن أسباب انتشار شعر المديح بين القبائل العربية قيام الحرب بين القبائل المختلفة وبين جيرانهم كأن لها الأثر الفعال في شعر المدح والحماسة وعلى سبيل المثال ثأرت حرب البسوس قبل الهجرة بنحو قرن ونصف القرن وظهر شعر كثير قيل فيها فقد كانت حياتهم يسودها رئيسا ويملكها زعيما وترفع قائدها وكذلك كان لاختلاف الأديان أثر واضح في شعرهم ويتضرعون فيه خاشعين بوجود الله ويذكرونه في شعرهم إذا فمنها الأسباب متوفرة لقول المديح وكذلك الموضوعات الدينية السياسية والاجتماعية كما توافرت عند غيرهم من الأمم ولكنا زادت عندهم بسبب الفقر المدقع وفقد الصناعات وندرة البساتين وشح المياه فكثر المحتاجون وقل الأغنياء رغم الدعاء نظرة خاصة إلى الإحسان والرفق والعون وحماية الجار ولا نراها عند غيرهم من الأمم بمثل القوة التي استولت على نفوسهم لذلك كثر القتال في سبيل الحياة وتنوعت أساليب البطولة والبسالة للخروج من الفقر وقتال الأعداء والمغيرين واللصوص وسارت في القبائل سيرة الكرماء والاجواد والسادة الزعماء والوجهاء والمصلحين.

ومن العوامل التي ساعدت على قول شعر المديح أيضا الرحيل الذي حدث قبل البعثة المحمدية إلى الشام وأطراف العراق وما راوه عند اخوانهم ملوك العرب وما يشجع على الكسب والترف والنعيم فعاش شعراؤهم على التقرب لهؤلاء الأمراء لينالوا من عطاياهم وهداياهم فكان مديح الملوك والأمراء.[٢]

وقد تفنن الشعراء في المديح وذلك بأن يصنعوا حسن خلق الإنسان ويعددوا أنواع الفضائل في قول المدح وهي تتمثل في الصفة والعقل والشجاعة والعدل ومن اقامة السماحة ويرادفها التغابن.

---

(١) المديح – تأليف سامي الدهان ص ١١ – ١٢.

(٢) المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها عبد الله الطيب ص ٣١ – ٥١.

أما ما يحدث عن العقل مع الشجاعة كالصبر على الملمات ونوازل الخطوب والوفاء بالوعد.

وجميع هذه الصفات التركيبات ذكرها الشعراء في أشعارهم وقد وصف بعض الشعراء المتقدمون هذه الصفات بالأسراف حتى زال الوصف إلى الطريق المزموم.[١]

وتنقسم مدائح الرجال بحسب الممدوحين من الناس في الارتفاع والاتضاع وضروب الصناعات والبداوة والتحضر وأقسامها تتمثل في مدح كل من الملوك وذوي الصناعات ومدح القائد والوزراء ومدح السوقة من البدو والحضاريين. إن اصابة الوجه في مدح الملوك تتمثل في قول النابغة الذبياني في النعمان بن المنذر[٢] :

ألم تر أن الله أعطاك[٣]سوره ترى كل ملك دونها يتذبذب[٤]

كذلك يكون الحال في مدح الوزير والكتاب بما يليق بالفكرة وحسن التنفيذ والسياسية مضافا إليها سرعة الوصف في إصابة الحزم والاستغناء بحضور الذهن عن الإبطاء اطلب الإصابة كان أحسن وأكمل للمدح.

ثم ننتقل إلى مدح القائد ويكون في مجالس البأس والنجدة ويدخل في باب شدة البطش والبسالة مضافا إليه الجود والسماحة والتحرق في البذل والعطية وبمتلك الصفات يكون المديح حسنا والنعت تاماً.

وعلى سبيل التحديد نشأ الأدب الصوفي من القرن الثالث واستمر نشاطه طيلة القرن الرابع الهجري وكان هذا القرن أكثر واعمق من الحقبة السابقة.

إما في القرن السادس الهجري فقد تغيرت الأوضاع السياسية والإجتماعية وأخذت العقيدة الفاطمية تضعف وتضمحل وكثر التحلل وعم الجدب والقرط البلاد وكثرت المجاعات واتقدت جذوة الحروب الصليبية ضد المسلمين والإسلام ثم

---

(١) نقد الشعر / قدامة بن جعفر ص ٩٥ – ١١٣.

(٢) النابغة الذبياني أبو اشامة من قبيلة ذبيان وهو ذبياني الأم والأب والمعلومات حول فترة طفولته وشبابه ضئيلة حيث لاقت الوصول الى رأي واضح في هذا الصدد هو زياد بن معاوية بن ضباب توفي سنة ٦٠٢م.

(٣) السورة : الرفعة والشرف والمنزلة المنجد في اللغة ص ٢٢٤.

(٤) يتذبذب : يعد طرب ويتعلق وان منازل الملوك دون كزلتك متعلقون دونك المنجد في اللغة العربية ص ٣٧٦.

حروب التتر التي اهلكت الناس وانهكتهم مما دفع الناس للبحث عن طريق للخلاص يكسبهم رحمة الله فظهرت جماعة منهم تدعو إلى تزكية النفوس وتصفية القلوب وتهذيب الأخلاق تقربا لله.

واتسعت ظاهرة التصوف في هذا العصر وتحدث المتصوفة عن الحقيقة المحمدية التي أصبحت لازمة في قصائد المديح النبوي وتحدثوا عن الغيبات ورفعوا الرسول "صلى الله عليه وسلم" فوق مراتب الخلق جميعا وجعلوه مبدأ الوجود كله[١].

وللمتصوفة شعر كثير عبروا به عن افكارهم ومشاعرهم وورد ذكر الرسول "عليه أفضل الصلاة والسلام" كثيرا في شعرهم ومدحه بعضهم في قصائد تصوفهم فكان التداخل بي الشعر الصوفي وشعر المديح فقد أكثروا عن مطالع قصائدهم من الحسين إلى الأماكن المقدمة وانتقل هذا الأمر إلى المدائح النبوية[٢].

اما عن المدائح النبوية في عصر المماليك فإننا نجد الشعراء نظموا فيه الشعر ولونوه بلون جديد وضمنوه الكثير من الحكم والأمثال التي سارت مسير الشمس وجرت على الألسنة وحلقت في سماء الروحانيات وصورت صاحبه نحو المقام الكريم مقام الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام وكل ذلك يعتبر جديدا ولم يطرقه قبل البوصيري ذلك الشاعر المبدع الذي في هذا اللون من المدح الأمين وقد أحسن في شعره كل الإحسان [٣] وأصاب الشعراء بعده موجة التقليد فأخذوا ينظمون في مدائح الرسول الكريم تقليدا لقصيدة البوصيري المسماة بالبردة ٠
ولكنهم لم يأتوا فيها بدليل على تأثرهم بصفات الرسول عليه أفضل الصلاة والتسليم وشهد نحو مقامه الكريم ذلك الشعر الذي لا يدع للشاعر مشوهة لقصيدة البوصيري [٤] وأول من نظم في ذلك صفي الدين الحلي[٥] فأنشا قصيدته التي قال مطلعها :
إن جئت سلها فسل عن جبره العلم   واقر السلام على عرب بذي سلم

---

(١) الأدب الصوفي في مصر تأليف علي صافي حسين ص ١٩٢ – ١٩٦.

(٢) التصوف الإسلامي نصوص جمعها وقدمها د/ البير نصري نادر المطبعة الكاثوليكية بيروت ص ١٢٦،

(٣) الحياة الأدبية في مصر العصر المملوكي والعثماني تأليف محمد عبد المنعم خفاجى ص ١٤٦ – ١٤٩.

(١) الإمام البوصيري : هو محمد بن سعيد بن حماد صاحب البلات الشعيرة توفي سنة (٦٩٥هـ) الأعلام للزركلي جـ٢ ص ١٢٢.

(٢) صفي الدين الحلي : أبو المحاسن عبد العزيز بن سرايا ولد في الحلة بالعراق وتوفي بها سنة (٧٥٠هـ). الأعلام للزركلي جـ ٥ ص ٩٦.

ومن بديعيات ابن نباته في قوله :

صحا القلب لولا نسمة تتخطر　　　　ولمعـــــة برق بالغضا تتسعر

واستمر هذا الفن في العصر المملوكي حيث راينا كيف كانت النزعة الدينية به طاغية وكان لها آثارها الضخمة في الحياة السياسية وكيف غذتها العوامل الثقافية وأثرها على دعامة المجتمع في تقويتها وكيف كانت العناية بارزة بدراسة حديث الرسول "عليه الصلاة والسلام" وبردانية وشرحه اضف إلى ذلك حياة الشغف والضنك والحرمات والكبت التي عاناها هذا الشعب العربي من مرتزقة ومعاشة مما يدعو بعض الناس للزهد والجنوح والى حالة من التصوف الديني ويجد فيه ملجأ وراحة وتفسير يخدع به نفسه عن حقيقة الحرمان ويبعدها عن آلامه.

ومن الأغراض الشائعة في ذلك العصر في مصر الوصف للأشياء البسيطة مثل سبحه (ومروحة) أو سجادة أو مروحة أو ما شابه ذلك.

الفصل الثاني
المبحث الأول
المدائح النبوية

وقال ابن نباته يمدح سيدنا محمداً صلي الله عليه وسلم وقد استهل قصيدته بالنسيب سار علي نهج القدماء وذلك من العصر الجاهلي والإسلامي ومن الذين مدحوا الرسول (صلى الله عليه وسلم) مثل كعب بن زهير وحسان بن ثابت وغيرهم وشاعرنا سار علي نفس طريقهم في بدء مدحته بالنسيب ثم التخلص منها إلي المدح ونذكر منها عدة أبيات وذلك في قوله:

شجون نحوها العشاق فاوا　　وصب ما له في الصبر راء
وصحب أن غروا بملام مثلي　　فرب أصاحب بالآثم باؤا
وعين دمعها في الحب طهر　　كأن دموع عيني بيرحاء

واستمر علي النسيب في أربعة عشر بيتاً ثم تخلص مادحاً الرسول صلى الله عليه وسلم في قصيدة طويلة عدد أبياتها خمسة وخمسون وقد قال في مطلعها:

لفكرته سرى في كل واد　　كأن حنينه فيها حداء
ذكت أشواقه فمتى تراها　　قباب قبا كما لمعت ذكاء
بحيث الأفق يشرق مطلعاه　　وحيث سنا النبوة والسناء
وباب محمد المرجو يروي　　لقاصده نجاح أو نجاء

يتحدث عن أشواقه وحنينه للرسول عليه أفضل الصلاة والسلام وأن أشواقه طهرت عندما وصلت قباب قبا وأضاءت ولمعت هي ومن حولها من الأفق وذلك لإشراق مطلعه ومحياه وحيث سنا النبوة وضوؤها وبريقها[١].

وذهب قاصداً باب محمد وراجياً اياه وهو يروي للذي يقصده نجاح أو نجاء من الشرور والآفات ووصف نفسه بأنه لا يستطيع الصبر علي البعد والفراق للرسول الكريم وحتى لو تعرض للؤم أصحابه فإنهم في ذلك يكونوا قد دخلوا في إثم وذنب وكذلك وصف الشاعر دموع عينه بكثرة البكاء وأنه لا تتوقف مثل الأرض الواسعة التي لا حدود لها وهذا تشبيه من الشاعر.

صفات ومعجزات الرسول صلوات الله وسلامه عليه:-

كما كان الغمام عليه ظلا　　عليه الآن يسفح ما يشاء[١]

---

(١) الديوان ص (١-٣) .

ألا يا حبذا في الرسل شافي قلوب شفها للعشق داء
فمرسلة لها سحب العوافي يعفي الداء بادره الدواء

يتحدث عن معجزة النبوة بأن الغمام كان يظلله وهو الآن ينتقل معه كما شاء وأينما شاء وترحل ومن صفاته أيضاً أنه شاف للقلوب المؤمنة التي أضعفها وأنهكها العشق الذي يعتبر داء وعلة ومنها في قول الشاعر:

فيشهد نجم تلك ونجـم هـذى ويجري من يديه ندي ومـاء
علي ساق سعت شجر وقامت حروب النصر وازدحم الظماء
ففي الدنـيا لـنا بحداه سـاق وفي الآخرى لنا الحوض الرواء
وفي نـار المجوس لـنا دليـل لأنفسهم بـها ولـها انطفاء

ومن معجزاته عليه الصلاة والسلام سيلان الماء من بين أصابعه وكثرة كرمه وعطائه وكذلك سعت إليه الشجر وسلمت عليه وانتصارهم في الحروب فهو في الدنيا للمؤمنين شفيع ومؤيد وكذلك في الآخرة يشرب من حوضه ويروي وبمولده انطفأت نار المجوس وخمدت أوثانهم.

صفاته الحسية والمعنوية :

نبي تجمل الأنـباء عـنه جمال الشمس يجلوها الضحاء
وأين الشمس منه سناً ولا سناه لما ألم بـها بـهـــــاء
كان البدر صفره خشوع له الشمس ضرجها حـيـــاء
سري في حروف اللفظ سر لمنطقه وللضاد اختـــــــباء

يتحدث الشاعر عن جمال النبي(صلى الله عليه وسلم) وأن جماله مثل جمال الشمس يضئ لمن حوله ويظهر الضحى ويكشف عن الظلام ويعقب في البيت التالي ويضيف علي قوله في البيت الأول ويقول أبت الشمس منه ومن ضوئه ولولا ضوءه لما كان لها بهاء وضوء. وشبه الشاعر صفرة البدر في المساء بالخشوع للنبي وغياب الشمس واختفاءها حياءً من جماله وإشراقه ثم تحدث الشاعر عن لفظ الرسول (صلي الله عليه وسلم) ولمنطقه باللغة العربية الفصحى.

صفة الشجاعة :

ويكتب بالنصال غداة روع سطوراً ما لأحرفها هجاء
ممدحة ثلاثـتها لضـر ضراب أو طعان أو رماء
فيالك من أخي صول ونسك تقر له العدي والأولـياء
سهام دعا لــه وسهام رأي لها في كل معركة مضاء

---

(١) ديوان ابن نباته ص (١-٣).

وتحدث الشاعر عن صفة الشجاعة عند الرسول (صلي الله عليه وسلم) وكان يكتب بالسيف سطور ملت بالدموع والخوف لأعدائه ويضرب أعداءه لثلاثة أهداف إما ضرب أعناق أو طعن بالرمح أو رماية بالأسهم في جوف أعداءه وإن سهامه أيضاً لهم عندما يدعو عليهم وكذلك رأيه لأصحابه في خطة حرب أو منشورة فهي لهم في كل معركة تمضي وتنفذ(١).

صفاته المعنوية والأخلاقية :

ونعم المصطفي من معشر ما   نجوم النيرات لهــم كفاء
تقدم سؤدد وقـديم مجد   علي سعد السعود لـه حباء
صنعت حلل الثنا وضفت لديه   وآدم بعدها طيــن ومــاء
فلولا معرب الأمداح فـيه   هوي بيت القريض ولا بـناء
ولولاه لما حجت وعجت   وفود البيت ضاق بها الفضاء
فأن يتلي له في الحج حـمد   فقدماً قـد تلته الأنـبياء

تحدث الشاعر عن المصطفي ومعشره وأنهم مثل النجوم النيرات المضيئة فهو كفؤ لها وأهله كرماء كذلك فهو من أصل طيب وأن سؤدده تقدم ذكره في الإنباء ومجده قديم وعريق في الأنبياء السابقين فكلهم سعداء بوجوده وهو أضاف حلل الشكر وهذه صفة موجودة لديه فهو من أصل صاف ونقي بالرغم أنه من آدم وهو خلق من ماء وطين ثم تحدث عن صفة المدح والذين مدحوه ولولاه سقط بيت الشعر والبيان.وأيضاً تحدث الشاعر عن صفة الحج والحجيج ولولاه لما حج الحجيج وجاءوا وفوداً وجماعات ولما ضاق بهم البيت الشريف.

وأن الزائرين يحمدون الله ويصلون علي الرسول (صلى الله عليه وسلم) وأن هذا ليس بجديد فقديماً ذكره الأنبياء.وقال فيه :

وشكوى كربة فرجت وكانت   من اللاتي يمد بها العناء
ونفس ذنبها كالنـيل مداً   وما لوعود توبتها وفـاء
مشوقة متى وعدت بخـير   تقل سين وواو ثم فــاء

تحدث الشاعر عن صفات الرسول(صلى الله عليه وسلم) الحسيه وقال إنه مفرج للكروب وبالصلاة عليه يزول العناء والبلاء وكذلك الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام يغفر الذنوب إنه مسامح وحليم مهما كثرت الذنوب وعظمت.

---

(١) الديوان ص (١-٣) .

وتحدث الشاعر عن صفة النفس فهي دائماً مشتاقة وتطمع وتطلب المزيد ومتي وعدت بخير تقول سوف وهي كناية عن المزيد والاستكثار من الخير.

ويختم الشاعر قصيدته بالشفاعة بالنبي والصلاة عليه وذلك في قوله:

ويفقدنا المشفع من جحيم فلا عجب له من الولاء.

عليك من الملائك كل وقت صلاة في الجنان لها أداء
وامداح بألسنة الوري في مطالعها ارتقاء وانتقاء
إذا ختمت تعاد فكل تال له وقف عليها وأبتداء(١)

تحدث الشاعر عن صفة العتق من النار فهو شفيع لأمته رحيم بهم ويدعو له ويصلي عليه وكذلك من الملائكة في كل وقت صلاة في الجنات تؤدي له وكذلك يمدح الورى وكل البشر في بدايتها وفي نقاء وصفاء وإذا ختمت تعاد مرة أخرى وكل من يتلوه ويقف عندها يرجع إليها مرة أخرى أي لا انتهاء لها أفضل الصلاة والسلام عليه.

---

(١) الديوان ص (١-٣) .

الفصل الثاني
القصيدة الثانية

القصيدة الثانية همزية أيضاً يتكون عدد أبياتها من خمسة وعشرين بيتاً يوجد منها في الديوان سبعة أبيات (ولم يذكرها الدكتور زكي مبارك في كتابه ولا يعرف السبب).

ومطلعها يقول فيها :

مزجت بتذكار العقيق بكائي وطارحت معتل النسيم بدائي
وإن حدث العذال عني بسلوة فأني وعذالي من الضعفاء

بدأ الشاعر قصيدته بالشوق والحنين والبكاء في أسلوب شبيه بالنسيب في قصائده الأخرى وهنا تعتبر نسبياً ومدح المصطفي عليه أفضل الصلاة والتسليم يوضح الشاعر مدي شوقه وحنينه وذكرياته الحلوة للقاء الرسول الكريم وأنه يبكي حزنا وكأنه معتل يشكو ذلك المرض إلي النسيم ويخاطبه ويعلل سبب مرضه وهو شدة الشوق للقبر ويعقب الشاعر في البيت الثاني ويصف حال الضال ووصفه له وأنه مصاب ما لسلوة وشدة الوله والهيام ويضيف الشاعر قوة صبرهم وقولهم بأنهم من الضعفاء في قوة صبرهم وتحملهم لذلك الشوق والبعد عن المحبوب الغالي وهو الرسول عليه أفضل الصلاة والتسليم(١).

ثم انتقل الشاعر لوصف الدواء الشافي لعلته من ذلك المرض العضال معبراً عن ذلك في قوله:

وليس دوائي غير تربة أحمد بطيبة عال فوق كل سماء
تطوف بمسراه الملائك خشعاً مساء صباح أو صباح مساء

ذكر الشاعر بأن شفاءه ودواءه في رؤية قرية أحمد ويقصد الرسول الكريم في مكانه الذي دفن فيه وهي مدينة طيبة كما أطلق عليه ذلك فهي طيبة بوجوده وأهلها الذين أووه ورحبوا به عندما هاجر من مكة إليهم ورغم إنه دفن في أرضها فهو عالي المكانة سامٍ رفيع فوق كل الأسماء وهو أعلي شئ في الكون.

---

(١) الديوان ص (١٤-١٥) .

ثم تحدث عن ما يحدث للرسول (صلى الله عليه وسلم) ليلاً فإن الملائكة تطوف حول مسراه وتهلل خاشعة تقديراً وتعظيماً له بأمر الله وذلك يحدث في الصباح والمساء وكرر الشاعر لفظاً المساء والصباح من القول.

وما زال الشاعر يعدد في صفات طيبة مدينة الرسول عليه أفضل الصلاة والتسليم ويذكر ذلك في قوله:

فهل لي إلي أبيان طيبة مطلع به مخلص لي من أثار شقائي
أصوغ علي الدر اليتيم مدائحاً اعد بها من صاغة الشعراء
بيت زهير حيث كعب مبارك وحسان(١) مدحي ثابت ورجائي

يتمني الشاعر أن يقول المزيد والكثير من الشعر في مدينة الرسول الحبيب وتكون في مطلعها سبباً ومنجية من أثار التعب والشقاء الذي عاناه في حياته ودنياه وكذلك من أمانيه أن يؤلف ألفاظ نادرة في مدح الرسول (صلى الله عليه وسلم) يعد ويعتبر بقوله له من المؤلفين المشهورين مثل أبيات الشعر التي قالها كعب بن زهير وبورك له ذلك في عهد المصطفي وكذلك فيمني ويترجى أن يكون مثل حسان بن ثابت في القول والمدح.

(١) الديوان ص (١٤ – ١٥).

القصيدة الثالثة
المدحة الرائية

مطلعها :

صحا القلب لولا نسمة تتخطر	**	ولمعة بــرق بالغضا تتعســـــــــــــــــــر
وذكر جبين البابلية إذ بـــدا	**	هلاك الدجى والشيء بالشيء يذكر[1]

أعجب ابن حجة بهذه المدحة النبوية الرائية من قبل كما أعجب بها الدكتور ذكي مبارك من بعد فتحدث عن براعته في التورية والاستخدام من خلال بيتين منها وقف عندها طويلاً وقال: (وهذه القصيدة التي ظفرت منها بهذين الاستخدامين محاسنها غرر في حياة القصائد والأنواع البديع بها صلة ومن أبياتها عائد).

وقد بدأها كعادته في كل قصائده بالنسيب وقد أثار إلي حشمة ابن نباته في براعة الاستهلاك وحسن الاختيار في الألفاظ.

لقد استهل قصيدته بذكر الشوق وأن قلبه قد استيقظ بهبوب نسمة من منطقة الغضا وقد شرح له كثرة واشتعال شوقه وحنينه ونجد من الألفاظ (البابلية ومن ذا الذي لا يعز لا يتغير) و(صحا القلب) و(العمامة) وكل أولئك إشارات إلى معان تحدث عنها الشعراء الأقدمون[2].

وكذلك تطرد بالعذوبة في قوله بعد أبيات :

وغيداء أما جفنــها فمـــؤنث	**	كليل وأما لحظها فمذكـــــــــــــــر
يروقك جمع الحسن في لحظاتها	**	على أنه بالجفن جمع مكســــــــر
من الغيد تحتف الظبا بحجابــها	**	ولكنها كالبدر في الماء يظهـــــــر
يشف وراء المشــرفية خدهـــــا	**	كما شف من دون الزجاجة مسكــــر
ولا عيب فيها غير سحر جفونهـا	**	وأحبب بها سحارة حين تسحــــر
إذا جردت من بردها فهـــــــي	**	عبلة وان جردت الحاظها فهي عنتر
يشف وراء المشرفية خدهـــــا	**	كما شف من دون الزجاجة مسكـــر

في هذا البيت تعبير ومعنى جميل وأراد الشاعر بالمشرفية اللثام فهي لم تذكر في الشعر إلا عند ابن نباته وهي كلمة مولدة والبيت الأخير فيه تلاعب بالألفاظ

---

(١) الديوان من (١٨٠ – ١٨٣).

(٢) ابن نباته المصري / عمر موسى باشا – ص ٢٧.

ولكنه مع كل ذلك مقبول. فشاعرنا مغرم بمثل هذه الألاعيب اللفظية ونلاحظ ذلك في أبيات أخرى في نفسها القصيدة تعنيها في قوله :

إذا ما حروف العيس خطت بقفرة غدت موضع العنوان والعيس أسطر[١]

فلله حرف لا ترام كأنها لو شك السرى حرف لدى البيد مضمر

من أسماء الناقة الحرف فرأى الشاعر أن يجعل العيس أسطرا وأن يجعل ناقته موضع الصواب أما الحرف المضمر فوصف جميل وإن لم يعرفه النحاة. كم يأخذ في مدح الرسول عليه أفضل الصلاة والتسليم بمعنى ساذج وبسيط : إذ يذكر أن النبي تم مجده قبل أن يخلق آدم وذلك في قوله :

نبي اتم الله صورة فخره وآدم في فخارة يتصور

ويجعل من شرفه أن جبريل خادمه وأن عيسى بشر به فيقول :

تحزم جبريل لخدمة وحيه وأقبل عيسى بالبشارة يجهر

فمن ذا يضاهيه وجبريل خادم لمقدمة العالي وعيسى مبشر

فإن استخدامه لعبارة (تحزم لخدمتها لا تزال حية في لغة التخاطب). ومن المظاهر التي تعد من العجائب السبع التي ظهرت لقدومه صلى الله عليه وسلم تهاوي النجوم وسقوطها وضمور ونضوب بحيرة سماوه ليلة مولده وكما تحدث غيره وذلك في قوله :

تهاوى لما تأن النجوم كأنها تشافه بالخد الثري وتعفر

وينضب طام من بحيرة سادة ولم لا وقد فاضت بكفيه ابحر

وإن البحيرة تجف ولما لا فهو قد فاضت من لقبه أبحر وهذه كناية عن كرمه وجوده الفياض فهو كالبحر[٢]

ويتمثل نوره الذي تنقل بين الأصلاب الكريمة وكذلك يري في قوة إبراهيم عليه السلام وثورته علي الأصنام فيضاً من خصله وكذلك يجعله السر الذي فدي من أجله جئ الذبيحان وهما والده عبد الله وإسماعيل عليه السلام وهو الذي بقدومه ردت جيوش الفيل وذلك في قوله بقدومه ردت جيوش الفيل وذلك في قوله :

تنقل نورا بين أصلاب سادة فلله منه في سما الفضل[٣] نير

---

(١) الديوان ص (١٨٠ – ١٨٢).

(٢) المدائح النبوية تأليف د/ زكي مبارك ص (٢٣٣ – ٢٣٥).

(١) الديون ص (١٨٢ – ١٨٣).

(٢) المدائح النبوية د. زكي مبارك (ص ٢٣٣ – ٢٣٦).

به أيد الطهر الخليلي فانتحت ... يداه على الأصنام تغرو وتكسر
ومن أجله جئ الذبيحان بالفدى ... وصين دم بين الدماء مطهر
وردت جيوش الفيل من دار قومه ... فلله نصل فهل ما سل ينصر

وعرضه بصفات متعددة وذلك في قوله :

لعمري لقد سارت صفات محمد ** كذاك النجوم الزاهرات تسير[١]
أرى معجز الرسل انطوى بانطوائهم ** ومعجزة حتى القيامة ينشر
كبير فخار الذكر في الخلق كلما ** تلا قارئ أو قيل الله أكبر
هو المرتقي السبع الطباق إلى ** مدى لجبريل عنه موقف متأخر
هو الثابت العليا على كل مرسل ** بحيث له من حضرة القدس محضر

أقسم الشاعر بعمره بأن صفات محمد الرسول(صلى الله عليه وسلم) أصبحت مثل النجوم المضيئة المشرقة سارت في الأماكن وهذا تشبيه جميل.وكذلك فان معجزة كل الأنبياء قد انتهت ومضت بإمضائهم إلا معجزة الرسول محمد عليه أفضل الصلاة والتسليم ما تزال قائمة وموجودة على الأزمان حتى يوم الحساب.

وإن ذكرى الرسول (صلى الله عليه وسلم) تعتبر فخرا للخلق والبشرية ويرد ذكره كلما آذن الآذان وقال الله أكبر في كل وقت للصلاة [٢]

وكذلك تعرض لذكرى الإسراء والمعراج ومقارنة بجبريل (عليه السلام).

وهو ثابت وقوي عندما كلف من عند الله بالإسراء من البيت الحرام إلى البيت المقدس في فترة وجيزة. حيث بعد ذلك من المعجزات المحمدية.

---

(٣) مجموعة المدائح النبهانية – تأليف إسماعيل يوسف النبهاني ص٢٠٦

القصيدة الرابعة
المدحة العينية

وتقع القصيدة في ثمانية وثمانين بيتاً منها ستة وعشرون في النسيب والنسيب في هذه القصيدة يعد ضعيفاً بالنسبة لقصائده الأخرى ويمضي فيها الشاعر علي ما ألف من الإشارات[١].

يقول في مطلعها:-

يا دار جيرتنا يسفح الأجرع ذكرتك أفواه الغيوث الهمع
وكستك أنواء الربيع مطارقاً موشية بسنا البروق اللمع
تتجلب الأنواء فيك علي الربا بسحائب تحنو حنو المرضع

يتغزل الشاعر بدار جيرانه الموجود بين أسفل الجبل وكل من هطل عليه العيش الغزير وتأتي ذكراهم علي كل لسان مثل انتشار الغيث والمطر.

وتمني لمحبوبته أن تنعم وتتمتع بفصل الربيع وبما يحويه من زهور ونسيم عليل وأن تكون له كالكساء المنقوش المطرز بالحرير وكذلك تمنى لها تكون الأمطار عليها كحنو المرضع علي جنينها وفيها استعارة.

ومن استخداماته اللطيفة في البديع ذكر بعض جعل أسماء سور القرآن حفظاً وحجاباً لمحبوبته وذلك في قوله[٢]:

وبالنازعات ومهجتي عوذتها وحجبتها بالمرسلات [٣] وأدمعي

وتظهر في تقليده القدامى الشعراء مثل كعب وذلك في قوله:

بانت سعاد فليت يوم رحيلها فسح اللقا فلثمت كعب مودعي

إذ يبدأ الشاعر مدحه للرسول الكريم بذكر موضع طيبة والحج وسرعة تعجله للوصول الى موضع الرسول (صلي الله عليه وسلم) وهي المدينة وأطلق عليها طيبة وذلك في قوله.

---

(١) المجموعة النبهانية في المدائح النبوية إسماعيل النبهاني ص ٣٤ .

(٢) المدائح النبوية زكي مبارك ص (٢٣٩-٢٤١) .

(٣) الديوان ص(٢٠٩-٢٩٣)

حتى إذا شمنا لطيبة معلما　　　عجلت قبل الحج طيب تمتعي

ويواصل الشاعر مدحه للرسول(صلى الله عليه وسلم) وموضعه الشريف:

وإذا المطي بنا بلغن محمداً　　　فلها رعاية خير حق قد رعى

يقول إذا وصلت به الإبل مكان سيدنا محمدٍ فإنها سوف ترعي وتحفظ كل الحفظ والصون.

ولها بآثار المناسم في السري　　　شرف علي شرف البدور الطلع

يا زائد الأشواق زائر قبره　　　سلم علي خير البرية يسمع[1]

والجأ إلي الحرم الذي جبريل من　　　زواره في ساجدين وركع

بين الملائك والملوك تزاحم　　　من حول منهله اللذيذ المكرع

وإن الإبل التي تصل إلي موضع الرسول (صلي الله عليه وسلم) وتسير به ليلاً فإن ذلك يكسبها شرفاً علي شرفها فإنها مثل البدور الطالعة في قمرها ليلة النصف ويتحدث كذلك عن أشواقه في الزائرين لقبر النبي (صلي الله عليه وسلم) ويبلغ سلامه لخير البرية.

ويتعرض لذلك الحرم الحصين القوى وجبريل من زواره وكذلك الحجاج وهو من ذكروه ومجدوه وفي مدحه ذكر الحجاج وأن الملائكة والملوك تتزاحم للروي والشراب من منهله شوقاً وحباً للمكان ومن الصفات الحسية التي وصف بها النبي (صلي الله عليه وسلم) صفة الجمال وأنه حافظ للرسالة ناشر للفضل وبأنه شفيع الأمة وهو الذي جاء بالهدي وأن شرفه قديم ومن صفوة عدنان وذلك قوله [2]

ما البدر في كبد السماء طلعة نبوية　　　من مغرد يسمو ابن عشر واربع

حتى تقلد بالرسالة حافظاً　　　ضواع نشر الفضل غير مضيع

وتر بقال له غدا قل يستمع　　　يا خير مشفوع وخير مشفع

شرع الهدي ووصفت مشارع فضله　　　أكرم بفضلي شارع ومشرع

من سفح عدنان التي شرفت به　　　مع ذلك الشرف القديم المهيع

وذكر المعجزات النبوية وهي تتمثل في نبع الماء من بين أصابعه فهو خير منبع وأيضاً البدر انشق بقدومه والجذع حن لبعده وظلله الغمام والصفات الحسية

---

(١) الديوان ص (٢٦٠ – ٢٩٣).

(٢) المدائح النبوية د/زكي مبارك ص٢٤١.

علو مكانه وشأنه مثل الشمس وتمثيله بالفضل وانتشاره وشيوعه مثل النجوم في كل مكان[1] وذلك في قوله:

ألف الندي حتى بدأ في كفه   نبع الزلال فيا له من منبع
والبدر شق لقربه يتعلل   والجذع حن لبعده لتضجع
والشمس شاهدة بأن غمامة كانت تظلل عن سواء المطلع
والوصف ملتمع النجوم يحل أن   يحصي وأن شئت الحديث فألمع

وكذلك وصفه بأنه قوى وشجاع وأن الصحابة كانوا يحتمون به ويتغاضى عن أخطاء المذنبين ولكنه قوى وشديد كالحديد أو السيف في حدته مع الأعداء ويعطي كل محتاج بكل كرم وسخاء[2].

وهذا يتضح في قول الشاعر:

هذا وكانوا يتقون به إذا   حمي الوطيس فيتقون باشجع
باشد من شهد الوغي وارق من   وقفت عواطف حلمه في موقع
بكليل جفن عن معائب محطئ   وحديد سيف في فؤاد مدرع
بالمجتدي في يسره وخصاصة   والمجتلي في خله ومرفع

ومن معجزاته الحسية الباقية سور القرآن الكريم واللغة الفصيحة التي أنزل بها وقد عجزوا عن تقليدها وتقليد آي القرآن ولقد مدحته آي الكتاب وفواصله علي نمط واحد

وذلك في قول الشاعر :

ذو المعجزات الباقيات وحسبه   سور مسورة تصد المدعي
مديت قدوم ذوى الفصاحة قبلها   وتقاعسوا عنها لأول مفزع

قال الكلاميون صرفه خاطر   قلنا ونثره كوكب متشعشع
يا سيد الخلق الذي مدحته من   آي الكتاب فواصل لم تقطع

ولقد ختم قصيده المدح بقطعة طويلة بكي فيها أيام حياته وتألم من غفلته بعد صباه وبداية المشيب أعلن المتاب والرجوع لله وتشفع بالرسول الكريم (صلي الله عليه وسلم) وعوذها من عين الحسود وخوف العين وإن المداح حسنوا أصواتهم بالمدح علي الرسول الكريم وذكره مكارمه[3].

---

(١) الديوان ص (٢٠٩-٢٩٣)

(٢) المجموعة النبهانية في المدائح النبوية يوسف إسماعيل النبهائي ص ١٠٤.

(٣) الديوان ص (٢٩٠-٢٩٣) .

سن عـلا كبرا وسن قد هوى تلفا ولســنُ إن يؤخذ يفزع
وتشاغلي فيما يضر وحسبــــــه لو لم يضـرّ بأيه لم ينفـــــع
همان من دنيا وآخــرة فيا للحيرتين بمعضل وبمضلـــع
وبلية الإنســـان منه وإنمــــا بك يا شفيع المذنبين تشفعـــــــي

القصيدة الخامسة
المدحة اللامية

أما القصيدة اللامية فتقع في تسعة وسبعين بيتاً منها خمسة وعشرون في النسيب وهي لا تخلو من روعة وهي قصيدة نظمها الشاعر معارضة لقصيدة بانت سعاد وقد ضمن من لامية كعب شطرات كثيرة(١).

قال في مطلعها :

ما الطرف بعدكم بالنوم مكحول   هذا وكم بيننا من ربعكم ميل
يا باعثين سهاداً لي وفيض بكا   مهما بعثتم علي العينين محمول
هبكم منعتم جفوني من خيالكم   فكيف يمنع تذكار وتخييل

يتحدث الشاعر في مطلع قصيدته عن النسيب في محبوبته مقلداً في ذلك كعب بن زهير وكعادته في كل قصائده السابقة ويشكو فيها قلة النوم وبعد المسافة بينه وبين محبوبته وكذلك يفترض أن جفونه منع عنها الخيال ولكن رغم ذلك يمنع من التذاكر والخيال(٢).

ومن الأبيات التي عارض فيها كعباً نلاحظ ذلك في وله

ما يمسك الهدب دمعي حين أذكركم   إلا كما يمسك الماء الغرابيل

وهو مضمن من قول كعب: (٣)

ولا تمسك بالعهد الذي زعمت   إلا كما يمسك الماء الغرابيل

وقوله:-

باتت زخارفها بالصبر وأعدة   وما مواعيدها إلا الأباطيل
كانت مواعيد عرقوب لما مثلاً   وما مواعيدها الا الأباطيل

وقد بدأ الشاعر مديحه للرسول عليه أفضل الصلاة والتسليم بعد ذكر أبيات النسيب وعددها ستة وعشرون بيتاً وذلك في قوله :

إن لم أنل عملاً أرجو النجاة فلي   من الرسول بإذن الله تنويل(٤)
حسبي بمدحي رسول الله بابُ نجاً   يرجي إذا اعترضت تلك التهاويل

---

(١) الديوان ص (٣٧٢-٣٧٤).

(٢) الشعر والشعراء لابن فتيبة ج١ ص ١٣٧ .

(٣)شرح قصيدة كعب بن زهير تأليف جمال الدين محمد بن حسام الأنصاري ص ٢٣

(١) الديوان ص ٣٧٢ – ٣٧٤.

وذكر فيه أن يرجو عملاً به ينجو من عذاب الله ويكون فيه تقريبا للرسول (صلي الله عليه وسلم) وهو مدحه له وبه ينجو من العذاب وهي أبيات تحمل نفس المعني في القصائد السابقة[1].

وقال أيضاً مادحاً إياه:-

ماذا عسي الشعراء اليوم مادحه   من بعد ما مدحت حم تنزيل
وأفصحت بالثنا كتب مقدمة   أن جيل في الدهر توراة وأنجيل
محمد المجتبي معنى جبلته   وما لآدم طين بعد مجبول
والمجتلي تاج علياه الرفيع وما   للبدر تاج ولا للنجم إكليل
لولاه ما كان أرض لا ولا أفق   ولا زمان ولا خلق ولا جيل

لقد تعرض الشاعر للشعراء الذين مدحوا الرسول (صلي الله عليه وسلم) من قبل وقال إن محمداً نبي قبل أن يخلق آدم وقال ماذا يضعونه ويقولون بعد ما ذكرته ومدحته سورة الدخان (حم) في التنزيل والقرآن الكريم وكذلك ذكرته وشكرته الكتب الدينية السابقة وهي التوراة والأنجيل وكيف لا تذكره فهو المستحق لذلك وهو المجلي في عليائه ورفعته وهو تاج علاه ارتفع كضوء البدر والنجم.ومن الأبيات الرائعة في مدحه حين قال لولاه ما كانت الأرض ولا الأفق ولا زمان ولا خلق إنسان فكل هذه الأشياء خلقت من أجله (صلي الله عليه وسلم) ولا كان في الدنيا وحي ولا تنزيل وأن أبرهه لم ينهزم إلا بسره.

وهذا يتضح في قوله :

ولا مناسك فيها للهدي شهب   ولا ديار بها للوحي تنزيل
ذوا المعجزات التي ما اسطاع ابرهة   يغزو منازلها كلا ولا الفيل

ويعود دالي ما تحدث عنه في الرائية في خدمة جبريل فيقول:-

ما زال في الخلق ذا جاه وذا خدم   لكن خادمه المشهور جبريل

وهو يكرر أن يكون أبرهة انهزم بسر النبي قبل مولد النبي (صلي الله عليه وسلم) فعاد إليه في القصيدة نفسها[2]:

حامي حمي البيت بالرعب المقدم ما   ناواه إبرهة العادي ولا الفيل

وتحدث كما تحدث قبله ناس عن فيض الماء من أصابع النبي (صلي الله عليه وسلم) وبركة ما مست راحته من الزاد وما خاطبته به الوحوش فقال:

---

(٢) الشعر والشعراء لابن قييبه جـ(١) ص ١٣٧.

(٢) الديوان ص (٣٨٢-٣٧٤) .

فاض الزلال المهني من أصابعه　　نعم الأصابع من كفـيه والنيل
وبورك الزاد إذ مسته راحـته　　فحبذا مشرب منـها ومأكـولُ
وخاطبته وحوش البيد مقبلة　　فالرجل عاسله واللفظ معســـولُ

وفي هذه القصيدة قطعة في مدح أصحاب الرسول (صلي الله عليه وسلم) نظر فيها الشاعر إلي معاني كعب ومعاني البوصيري فليس فيها جديد ومن الشواهد علي ذلك أن البوصيري يقول[(١)]:

والكاتبون بسمر الخط ما تركت　　رماحهم حرف شرك غير منعجم

فيجئ ابن نباته فيقول :

الكاتبون من الأجسام ما اعتبرت　　سود وبيض فمنقوط ومشكـول

ومن الغرام بالإشارات الاصطلاحية قوله من وصف الرسول (صلي الله عليه وسلم) :

مجاهدا في سبيل الله مصــطبراً　　علي الجراح وبعض الجرح تعديل

يشير إلي بعض القواعد في علم مصطلح الحديث وهو مصطلح الجرح والتعديل ولقد تعرض الشاعر لمدح الصحابة وذكر سهامهم ونبالهم وأنها في الماضي والحاضر مسجلة وهم يفخرون بذلك وتعرضهم للموت وكأنهم يكملون الفضل إرضاء لله والرسول وأن فرسانهم ترقص طرباً عندما يحملون الرايات للحرب.

وذلك في قوله :

كأنما نبل ماضيهم وحاضــرهم　　لها علي من بغي سجل وسجـيل(٢)
مثل الشواطب أن صالوا أو افتخروا　　فالحد مندلق والعرض مصـقول
يطيب في اللـيل تسبيح لسامـرهم　　وما لهم عمن حياض الموت تهليل
كـأنهم لانتظار الفضل بيت ثـنا　　تخـص النبي لـه معني وتكميل
قوم إذا رقصت فرسانهم طــربا　　كـان رايات أيديــهم مناديـل

وقد ذكر الشاعر مناقب النبي(صلى الله عليه وسلم) وتعرض لقصة الإسراء والمعراج سدرة المنتهي ولقد تشفع للعفو عنه وغفران ذنوبه لكي ينال دار النعيم وأنه ملاذ له في الدنيا والآخرة. وذلك في قوله :

علي البراق لوجه البرق من خجل　　ورجل مسعاه تلوين وتشكيل
لســدرة المنتــهي طلبــي　　ما مثله يا ختام الرسل تحويل



---

(١) ديوان الأمام البوصيري ص ١٥٤.

(١) الديوان ص ٣٧٢ – ٣٧٤

صلي عليك الــذي أعطاك منزلة شفيعها في مقام الحشر مقبول
أنت المـــلاذ لنا دنيا وآخــرة قباب قصدك في الدارين مأهول.

ثم يختم الشاعر قصيدته بالصلاة علي الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام ويذكر فيها بمنزلة الرسول (عليه أفضل الصلاة والسلام) وأنه رحيم الأمة وأنه يكون شفيعاً للأمة يوم الحشر والحساب وأن الناس يتشفعون ويتقربون له ثم يذكر الشاعر وأنه هو الملاذ والملجأ بعد الله سبحانه تعالي في الدنيا والآخرة

القصيدة السادسة
المدحة الميمية

أما الحديث عن المدحة الميمية فهي أقصر مدائحه وأضعفها ولم يبتدئها بالنسيب كما فعل في أخواتها من قبل ولم يأت فيها بمعني طريف وعدد أبياتها خمسة وعشرون بيتاً[(١)]:

قال في مطلعها :

أوجز مديحك فالمقام عظــيم	من دونه المنثور والمنظوم
من كان من سور الكتاب مديـحه	ماذا تساور فكرة و تـروم
جبريل راوي نصه الأحلي وفـي	ورق الجنان كتابه مرقـوم
قل يا محمد تفصـح الأكــوان	عن حمد كأن مزاحه تســنيم
بدر تألق فالطريـق محـجة	لذوي الهداية والصراط قويم

استهل الشاعر قصيدته بالمديح للرسول عليه أفضل الصلاة والتسليم ولم يبدأها بالنسيب مثل قصائده الأخرى فهي الوحيدة التي بدأها مباشرة بالمدح وذكر مقام الرسول الكريم ويخاطب نفسه بأن يوجز ويقتصر في مديحه وذلك لعظمة مكانة الرسول (صلى الله عليه وسلم) وأن ذكره سواء في كلام النثر دون الشعر أو المنظوم شعراً[(٢)].

وأن ذكر الرسول (صلى الله عليه وسلم) قد ذكر في سور الكتاب العظيم ومدحه الله بهذه الصفات وهذا دليل علي مكانته العظيمة الرفيعة والكريمة من عند الله سبحانه وتعالي وتعرض الشاعر كذلك لجبريل الملك وأنه راوي قصته وأنه خاطبه واختاره من معشر الأنبياء وعلمه الكتاب والقرآن وهو مذكور لدي ورق الجنان.

ويعتبر الرسول عليه أفضل الصلاة والتسليم أفصح البشر ويذكره كأنما يتجرع شراب طاهر من نهر الجنة.

ووصف الشاعر الرسول (صلى الله عليه وسلم) بالبدر تلألؤاً وإضاءة حتى صار واضحاً لهداية البشر إلي الصراط المستقيم القويم الذي بنجيهم من عذاب النار ويدخلهم في الجنان.

---

(١) الديوان ص (٤٢٨-٤٢٩) .

(٢)المدائح النبوية في الأدب العربي تأليف د. زكي مبارك ص (٢٤٢).

وقال الشاعر مادحاً للرسول عليه أفضل الصلاة والتسليم ذاكراً لصفاته مناقبه الحسية ومناقيه وذلك في الأبيات التالية:

ودعاك في ذكر اليتيم وإنـما أسني الجواهر ما يقال يتيم
سبقت مناقبك السراة ومن سري فوق البراق فسبقه محتوم
أنت الإمام ورب كل رسالـة يوم الفخار وراءك المأموم
أنت الغياث إذا الصحائف نشرت وبدا جنا الجنات والزقوم

وتحدث الشاعر بعد ذلك مفتخراً وأن أجمل الجواهر وأثمنها ما يقال أو توصف بأنه يتسع وإنه أعظم وأشمل وعدد الشاعر مناقب الرسول (صلى الله عليه وسلم) من ضمنها الإسراء والمعراج وسيره علي البراق ليلاً وسبقه به في بلاد المقدس ووصفه بأنه الإمام للأمة وبالنسبة لكل الأنبياء وكذلك رب وأب ومعلم كل الرسائل النبوية وذلك يوم الفخار والبعث لكافة الناس والرسل وأنه أمنه ولاءه وهو قائد لهم.

أيضاً وصفه بالمسك الذي ختم الرسل والأنبياء جميعهم ومن طيب ذلك فليفخر الذين بعث لهم وكان رسولهم ومعلمهم وهاديهم إلي الصراط المستقيم وأيضاً مدحه الشاعر ووصفه بالمغيث الذي يغيث وينقذ الضعفاء والمحتاجين والمكروبين وذلك يكون يوم البعث والنشر للأعمال والصحائف والنار التي يحفها العذاب وكذلك الجنة والنعيم ومن ينجو من ذلك العذاب وكذلك فإن الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام فهو مغيث رحيم لأمته رؤوف رحيم بهم.

واختتم الشاعر قصيدته بالصلاة علي الرسول (صلى الله عليه وسلم) وذلك في قوله:

بمقامك المرفوع يخفض ذنبنا ال منصوب إن رجاءنا المجزوم[(١)]
يا أيها البحر المطهر أنــنا طلاب حوضك يوم تسعي الهيم
سادت بك الصلوات ما أسري بنا للصبح أشـهب والظلام بهيم

ذكر ابن نباته مقام الرسول الكريم بأن شامخ مرفوع بالصلوات ومكانته العظيمة العالية يكون جعلت منه سببا في تخفيف ذنوبه وأن جاءوه فيه وأمله في تخفيف وغفر ذلك الذنب في شفاعته له ووصفه بالبحر المطهر والطاهر الذي يروي منه وكذلك حوضه الذي يسعى كل الناس والمجيبين وكذلك تعرض الشاعر لذكر فضل عظيم كان الرسول (صلى الله عليه وسلم) سبباً فيه وهو فرض الصلوات يوم

(١) الديوان ص (٤٢٩)

أسري بـه للمسـجد الأقصـى وعرج للسـماء حين فرضـت عليـه الصـلوات لأمتـه فهو صبح وضياء للظلام[١].

خلاصـة القول أن ابن نباته كان من المولعين بالمدائح النبويـة كأهل عصـره وله في ذلك قصائد كثيرة فيها دعارة وفسق ومنها تزيين للاثم والغواية وتلك اتجاهات نفسية توحي إلي من كان في مثل رقة حسه وأن يفرغ للندم والتوبة.

وكذلك الضعف لا يرجع إلي ضـعف الشاعرية عند ابن نباته فلن نـري شـعره أصدق ولا أقوى من شعره في استغفاره وعودته للتوبـة ومدح الرسـول (صـلى الله عليـه وسلم) من حين تؤكد مثل نفسه إلى هذا الفن وتدل علـى رغبتـه من حيث رغبتـه فـي الخـلاص من أصـار الـذنوب ولا ننسـي النـص علـي أن اهتمامـه بمعارضـة كعـب بـن زهيـر والإشـارة إلـي همزيـة حسـان يـدل علـي مسيرة تلـك القصـائد وقربهـا مـن أذهـان الناس وعدها من أصول المدائح النبوية.

وأغـرب مـا لاحظنـاه أن ابـن نباتـه لـم يشـغل نفسـه بمعارضـة ميميـة البوصـيري مـع أنهـا كانـت تشـغل الشـعراء فـي ذلـك الوقـت ودل ذلـك علـي أنـه اسـتقل عـن الـروح السائد في عصره بعض الاستقلال.

ومـن أثـر المـدائح النبويـة علـي شـعر ابـن نباتـه نجـده يستشـفع بالرسـول عليـه أفضل الصـلاة والتسليم وليس إبتغـاء أن يغفر الله ذنوبـه فـي الآخرة فحسـب بل ليهـئ له أسباب الخير والراحة والوفرة في الحياة.

فهو كثير الشكوى بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ويعود ذلك لسببين هما الدنيا والآخرة وتفصيل أسبابه في الدنيا لما أصابه فيها من ذل وعيش مرير ولما عانـاه من حرمـان وعدم استقرار بـالوطن ويعود سببه فـي شفاعة الآخـرة بمـا رآه من ذنـوب وأفز ظـهره من آثـام ولمـا أصـابه عزمـه من ضـعف وعن مـا يقـوم بـه تتطلبـه الآخرة من صالح الأعمال وغيره[٢].

(١) المدائح النبوية في الأدب العربي تأليف د. زكي مبارك.

(٢) المدائح النبوية في الأدب العربي تأليف د. زكي مبارك ص ٢٤٢ .

هكذا يلجأ الشاعر إلي حمي الرسول (صلى الله عليه وسلم) وإلي قلبه الرحيم ليشفع له عند الله سبحانه وتعالي وأن يرحمه مما يعانيه حيث في اللجوء إليه راجع وأمل تستشفي بهما النفس المعذبة(١).

وأيضاً مما أثر فيه الحياة الاجتماعية ما كما ذكرنا سابقا وأن هذه العوامل وما رافقها من اهتمام السلاطين والوزراء بهذا الأمر ورغم مشاغل الحياة والاهتمام بالكسب والسعي في طلب الرزق لم يشغله مع ذلك أمور الدنيا أبدع كل الإبداع وهذا شأن معظم الشعراء في كل مصر وعصر لأنهم يعتمدون في معاشهم علي رقد الممدوحين وعطاياهم فنجد الشاعر خص الرسول الكريم ببعض مدحه وبرع فيه بالإضافة إلي مدائحه الأخوانية والقاضوية.

الخلاصة:

لاحظنا في قصائد المديح عند ابن نباته أن طريقته في المدح النبوي لا تختلف عن الشعراء القدماء فهو يستهل نبويته بالنسيب ثم ينتقل إلى مدح الرسول الكريم فيتحدث عن الكتب القديمة المقدسة التي بشرت بقدومه ويتحدث عن معجزاته وسعي الشجرة إليه وننتقل من كل ذلك إلى الحديث عن البراق واسراء الرسول الكريم من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى وتعريجه إلى السموات السبع وذكر كل الصفات الخلقية والخلقية للنبي وكذلك تأثره بمتابعة السيرة النبوية وكذلك نلاحظ عدم انشغاله بمعارضة البوصيري الميمية وهو بذلك استقل عن الروح السائد في عصره بعض الاستقلال وبلغت عدد قصائده فى الديوان بست قصائد.

---

(١) ابن نباته المصري تأليف عمر موسى باشا ص (٢٧٢-٢٨٠) الطبعة الثالثة الناشر: دار المعارف كورنيش النيل القاهرة ج.م.ع

الفصل الثاني
المبحث الثاني
المديح المؤيدية

يعتبر هذا الفن من أقدم الفنون التي عرفها الشعر وأحبها الإنسان الذي خلق وفي طبعه حب الثناء كما نما فيه حب البقاء ومنذ عرف الشعراء تلك الطبيعة في الإنسان واتخذوا سبباً إلي الأقوياء ووسيلة إلي أصحاب السلطان ليحتموا بقوتهم ويحيوا ففي ظلال نعمتهم.ويمتد حبل العطاء لهؤلاء لنشر محامدهم بين الناس فيمتد سلطانهم ويسبق ذكرهم ويطلع علي مكارمهم وتخلد مآثرهم علي ألسنة الرواة وفي بطون الكتب بعد أن يطوي الزمان صفحة أصحابها فيبقي ما بذلوا ويظل الثناء خالداً على وجه الدهر شاخصاً شاهداً.ينقسم المديح إلي ثلاثة أنواع تتمثل في مدح ذوي الصناعات وهو مدح الوزير والكاتب بما يليق بالفكره وحسن التقيد والسياسية[١].

أما النوع الثاني فيتمثل في مدح القائد ومدحه بما يجانس اليأس والنجدة ويدخل في باب شدة البطش والبسالة مضافاً إليه الجود والسماحة والتحرق في البذل والعطية والشجاعة والسخاء وأكثر هذه الأمور موجودة في أصحاب الهمم وأهل الأقدام والصولة. أما النوع الثالث فيتمثل في مدح السوقه من البادية والحاضرة وينقسمون إلي قسمين بحسب انقسام السوقة إلي المتعيشين بأصناف الحرف وضروب الكسب ينقسم إلي المماليك والأحزاب والمتصعلقة ومن جري مجراهم.تتركز مقاييس ابن قدامة في المدح في الفضائل النفسية وهي الأساس الذي يتبقى أن يبني الشعراء مدائحهم عليه واول أصولها تتمثل في العقل والشجاعه والعدل العفة وأن المادح بغيرها هو المخطئ لأن فضائل الناس من حيث أنهم بشر إنساني لا من طريق ما هم مشتركون فيه مع سائر الحيوان.([٢])

وقد نجح قدامة إلي حد كبير في الحصول علي قدر من الأمثلة نحا فيها الشعراء هذا المنحني من المدح بالفضائل النفسية ولكنه إذا لم يجد تلك الفضائل صريحة بألفاظها أخذ يكد ذهنه في إثبات معناها بالفاظ مرادفة لها.

---

(١) المدائح النبوية في الأدب العربي تأليف زكي مبارك ص ٢٤٢ – ٢٤٤

(٢)نقد الشعر /تأليف قدامه بن جعفر تحقيق كمال مصطفي ص(٩٥-١١١ ص٣١٤)

وإذا نظرنا إلي كلام أرسطو نجد أنه ليس ما يدل علي حصر الفضائل يذكر بل كل جميل يستأهل المدح لأنه يؤثر لذاته وما يؤثر لذاته يمدح والفضيلة شئ جميل يستأهل المدح ولأنها غاية وهي قوة تستطيع أن تمد الإنسانية بخبرات كثيرة بل أنه يعترف أن وراء ما ذكر فضائل لم يحددها لأنه ليس من الصعب علي الإنسان أن يعرف ما وراءها وعرف المديح المتحضرون أيضاً فامتدحوا الملوك والأمراء والعظماء من أهل الشرف المكانة العليا والمزايا المستحبة كما امتدحوا العلماء والمفكرين والمخترعين والأدباء والشعراء وذلك لعدة أسباب إما إعجاباً وتقديراً خالصاً وإما سعياً وراء مكسب وتقرباً وطلباً للرفعة(١).

ينضوي شعر المديح غالباً تحت الغنائية وإن كانت هنالك مجالات لا تمنع من أن يتخذ القالب التمثيلي أو القالب الملحمي لأنه في أساسه قائم علي مشاعر ذاتية وعلي مشاعر تتأثر بأهواء الفرد وميوله وعواطفه وتصور انفعالات الشاعر الخاصة وخواطره الوجدانية(٢).

كما أن الشعر يمكن أن يصاغ بقوالب النثر كما يمكن أن يصاغ بقوالب الشعر ولعل ما قيل من المنثور في المدائح أكثر مما قيل من منظومها ولكن التاريخ لم يحفظ لنا المنثور كما حفظ لنا المدائح المنظومة وذلك أن الشعر يفضل ما فيه من الموسيقي ومن الرشاقة وتقسيم الكلام إلي أبعاد متساوية وقواف وأوزان مستحبة وهي خاصة في شعر العرب حيث جعلوه تعبيراً عن حياتهم في أكثر من عصر وخصصوا له رواة يحفظونه ويروونه للناس ويتناقلونه خلفاً عن سلف وبفضل ذلك حفظ أكثر الشعر علي العموم وأهمل النثر.(٣)

---

(١) شعر المديح تأليف أحمد أبو حاقه ص ١٨٢-١٩٦

(٢)نقد الشعر لقدامه ابن جعفر تحقيق كمال مصطفي ص ١١١٣١٤

(٣) المديح في الأدب العربي تأليف سامي الدهان ص٢٤٢-٢٤٦

الفصل الثاني
المدح

إن شعر المديح يشغل الحيز الأكبر في الشعر فهو يعتبر فن تمجيد لزعاماتنا وبطولاتنا علي مر التاريخ مما يحصله وثائق تاريخية رائعة لا لسير زعمائنا وأبطالنا الماضين فحسب بل أيضاً لما تطلب أسلافنا فيهم من خلال إنسانية رفيعة.

ولنعود مع المديح إلي زمنه الأول في العصر الجاهلي فنري الشعراء المادحين يسجلون فيه بطولات زعماء القبائل في الحرب وآثارهم في السلم وحقن الدماء علي نحو ما هو معروف مثل زهير في مديحه لحصن بن حذيفة وهرم بن سنان وهو في مديحه لهم يصور مناقبهما تصويراً يملأ النفس العربية محبة للمثل العليا التي كانت تقدرها شيوخ القبائل وسادتها وزعمائها ولم يكن هدف الشاعر ينطوي تحت تسجيل المآثر والمفاخر فحسب وإنما كان يريد أن يدفع هؤلاء الزعماء إلي التخلق بالكرم وفضائل الأخلاق كما تدفعهم إلي حماية القبيلة من خطر الحرب أو العدو. وعلي هذا النحو كان شاعر المديح في العصر الجاهلي هو شاعر الجماعة المحددة وبحدود القبيلة وكان لسانها الذي يشير بزعمائها وأبطالها فيما يؤدونه من حقوق مجتمعها بالإضافة لما يقومون به من دفاع عنها وذود عن حماها.

إن شاعر المديح عندما يقول المدحة فإنما يمتدحها أكثر مما يكون ورغم ذلك لا يخالف الأصول الفنية أو يخرج عن مألوف الذوق والقواعد الجمالية.

ويجب أن لا يفوت علينا أن فن المديح من أقدم الفنون الأدبية التي عرفها البدائيون يوم رفعوا صلواتهم إلي أربابهم وأثنوا علي أصنامهم وتغنوا بأمجاد ألهتهم وحاولوا أن يقلدوهم في محاسن أخلاقهم وطبائعهم من نصرة أبناء قومهم وشجاعتهم والقضاء علي المخاطر التي تحيط بهم(١).

---

(١)المديح فى الأدب العربي تأليف سامي الدهان ص٢٥

المبحث الثاني
المدائح المؤيدية

مدح ابن نباته أواخر الملوك الأيوبيين فأبدع كل الإبداع ومما لا يدع للشعراء الأوائل في مديحهم شيئاً يذكر أن صح القول فكان شعره فيهم أصدق شعر قاله ومديحه فيهم من اجود المدائح ومدح أبا الفداء في ديوان مستقل سماه (منتخب الهدية في المدائح المؤيدية) وكذلك مدح ابنه الأفضل وجمعه في ديوان مستقل أيضاً وسماه (المنتخب المنصورى).

إن مطالعة المؤيديات بإمعان تدفعنا للقول بكل اطمئنان: إن الشاعر لم يحب ممدوحاً مثله ولم يصدقه المدح كالذي رأيناه بل له هذا العدد الكبير من القصائد التي خصه بها الشاعر حبا له وعظمة عليه وكيف أنه ازال شقاءه وأنساه غربته فعاش في أحسن حال وأرغد بال فلا غرابة أن رأيناه يمنحه محض شعره ويخلده علي الزمن[1].

إذا حصرنا عدد القصائد التي مدح بها الملك المؤيد[2] في ديوانه نجدها ثمان وأربعين قصيدة ويبدأ مطلعها بالنسيب وقد يطول أو يقصر حتى أنه قد تجاوز في إحداهما الثمانية والعشرين بيتاً.

كان المؤيد من أواخر الملوك الأيوبيين حيث ينظر الشاعر للمؤيد بأنه عمادهم المطمئن وهو أولهم وأخرهم وهو الذي انتهى إليه أرثهم ومجدهم فمن حقه علي الشاعر أن يخلد مجده ومن حق الشاعر عليه أن يرفعه للذروة فيصبح شاعر الشام فهو مقصر في إعطائه حق الثناء فهو ملك العلماء وعالم الملوك وفوق كل ذلك فهو شديد البأس مهيب الجانب ذو مرة فاستوي علي ملكه..

أما الحديث عن كرم الملك فهد المؤيد يدعو قاصره بالترغيب وأن تأخر عليه فيدعوه بالترهيب ولا تكاد تخلو قصيده من وصف مكارمه أو الإشادة بعلمه وأدبه ومدحه وكذلك وصفه بالشدة والبأس والبطش ولا نستطيع أن نجزئ هذه الصفات

---

(١) ابن نباته المصري عمر موسى باشا ص ٢٢.

(٢) الملك المؤيد : هو اسماعيل بن علي بن محمود بن عمر شاهنشاه بن أبوي أمير عربي ومؤرخ جغرافي ولد في عام ٦٧٢هـ

لنتحدث عنها واحدة واحدة لأن الشاعر لم يوردها إلا في ثالوثه المعهود وهو كرم وعلم وبأس.

وأيضاً يصفه الشاعر في عدة قصائد بالبحر وأنه أكثر كرماً من البحر في عطائه وأنه كعب الندي فيقول موضحاً ذلك : [١]

خل كعبا نداه ورم فما كعب   العطايا ورأسها بالسواء
وأرج وعد المني لديه باسما   عيل ما زال معدنا للوفاء
ما لكفيه في الثراء هدوء   فهو فيه كسابح في مساء
جمعت في فنائه الخيل والإبل   وفوداً أكرم بها من فناء

وقال لن يستطيع قلمي أن يوفي الشاعر الممدوح حقهما ما دام إسماعيل قد مدحته الخيل والإبل بصهيلها ورغائها.

---

(١) ديوان ابن نباته ص٤

المطلب الثاني
القصيدة الأولي

وقال في مؤيدته وقافيتها حرف الباء وبدأها بالنسيب وذلك في أربعة أبيات نذكر منها بيتين هما :

بالغت في شجني وفي تعذيبي ومع الأذي أفديك من محبوب
يا قاسياً هلا تعلم قلبه لين الصبا من جسمه المشروب

واستمر علي هذا النهج إلي أن تخلص مادحاً في قوله واستهلها مادحاً الملك المؤيد قائلاً:

فتحت بنو أيوب أبواب الرجا وأتت بحارهمو بكل عجيب [(١)]
وبملكهم رفع الهدي أعلامه وحمي سرادق بيته المنصوب

يتحدث الشاعر عن أجداده وهم بنو أيوب فتوحاتهم التي عمت كل أنحاء البلاد والتي كانت بمثابة الرجاء والأمل من نسل بني أيوب وهم أجداده وكذلك البحار التي توجد في بردهم حوت وعمت كل حبييب مما فيه من ثروات حيوانية وجواهر وحلي.

ونيلهم الملك واستيلاؤهم علي سلطان الحكم رفع الهدي أعلامه أي انتشر الدين وعمت الهداية كل أنحاء البلاد وسارت الهداية شعاراً لهم واضحاً في كل تصرفاتهم وحياتهم اليومية وكذلك كان لها الفضل في حماية عرش وسلطان البيت المشيد القوى المتين وحكامه العظماء.

وجعل الشاعر المؤيد كعماد الأمة وأجداده وهم بنو أيوب وأن عماد الشيء هو ركيزته والشيء الذي يعتمد عليه وجعل العلا انتهي عنده ولا يأتي شخص بعده سوف يكون مثله في مكانته الرفيعة السامية في اخلاقه وحكمه وعدله والحكم.

(١) ديوان ابن نباته المصري ص ٢٠.

ملك بأدنى سطوه ونواله أنسي ندي هرم وبأس شبيب
الجود ملء مطالع والعلم ملء مسامع والعز ملء قلوب
الفت بأنبوب اليراعة والقنا يمناه يوم ندي ويوم حروب [1]

ثم انتقل الشاعر لوصف الملك المؤيد وصفاته الأخلاقية التي تتمثل في جبروته وقوته في الحروب وفي حل المشاكل والكروب التي تعرض حكمه ومملكته وكذلك تحدث عن كرمه الفياض الذي فاق وزاد علي كرم هرم[2] الذي اشتهر في عصره وبين بني قومه بالكرم ومثله ايضا قوته التي زادت علي قوة وبأس وجبروت شبيب[3] التي اشتهر بالقوة والصلابة فكل هؤلاء فقد تميز عليهم فممدوحه الملك المؤيد لما يحكمه من صفات جميلة وقوة خارقه في نظر الشاعر.

وأيضاً من صفاته السمحة العلم الغزير الذي عم وملأ كل المسامع وانتشر صيطه بين الناس وكذلك عزه وثراؤه الفياض بالكرم والحلم قد عم وملأ كل القلوب أي نال حب الناس وكل عشيرته وصار جزءً من حياتهم لا يستطيعون الاستغناء عنه لما يحويه من صفات حميدة وحسنة وكذلك تحدث عن صفاته وتعلق ممدوحه بالقلم والكتابة فهو عالم كما قلنا من قبل فهو كريم لا تفارق يده العطاء والبذل عن كسب بلا توقف ولا تردد وأيضاً وصف ممدوحه بالشجاعة والقوة في الحروب والمعارك فهو قوي وشجاع يعرف بحسن التصرف في كل شئ حتى الحرب والسلم.

وقال فيه :

فاذا نظرت وجدت أرزاق الوري ودم العداه يفيض من أنبوب
كم مدحة لي صفتها وأثابها فزهت علي التفضيض والتذهيب
وتعودت من كل مصر عنده مرعي يقابل جدبها بخصيب
يا رب بشر منه طائي الندي يلقي مدائحاً لقاء حبيب
كم مدحةً لي صفتها وأثابها فزهت علي التفضيض[4] والتذهيب [5]

---

(١) الديوان ص ٢٠

(٢) هرم : هو هرم بن سنان بن أبي حارثة المري بن سعد بن ذيبان يضرب به المثل في الجود الاعلام للزركلي جـ٣ ص ٨٢.

(٣) شبيب : هو شبيب بن شيبة بن عبد الله التميمي ولد نحو ١٧٠هـ الموافق ٧٨٦م أبو معمر ادب الملوك وجليس الفقراء الأعلام للزركلي جـ ٣ ص ١٥٦.

(١) التقضيض : هو الفضة (أي مزينة بالفضة) ص ٢٢٢ المنجد في اللغة.

(٢) مذهبة : من التذهب أي محلى ومزينة بالذهب المنجد ص ٢٤٥.

وما زال الشاعر يمدح في ملكه ويعدد من صفاته السمحة وفي هذه المرة بالغ في جعله مقسم الأرزاق كبشر وجعلها تفيض من يده ومن المعروف ان الأرزاق بيد الله وكذلك شبه سيلان وتدفق دم العدآه كأنما يفيض من أنبوب لكثرته وقوة ممدوحه ولجماعته حيث أتي بصفتين معاً في بيت واحد وهما الكرم والجود الفياض والشجاعة والنصر علي الأعداء وقتلهم.

وانتقل الشاعر لوصف مدائحه التي مدح بها ملكه ودوماً ما اتفق عليه وأثابها عليها فذهبت وفاقتا علي الفضة والذهب مما ناله من أموال طائلة وهدايا ثمينة وقيمة. (١)

وأيضاً وصفه بأنه صاحب مرعي ملئ بالخضر والمياه لكي يتمتع به رعاياه وأصلح كذلك الأراضي وصارت صالحة للزراعة وتملكه علي زمام الحكم والملك صارت كل المناطق الجافة بالخصب والنماء والإصلاح حتى تصير أرضاً خصبة سهلة يمكن أن يزرع فيها كل نبات وهذا علي تعميره واهتمامه بكل ما يصلح أهله وبلاده.

وفي ختام قصيدته يقول عنه ويصفه بالبشر والترحاب في عطاء ونداه وكرم مثله حاتم الطائي وكذلك في كرمه يتلقى ويستقبل المدائح الشعرية التي تقال عنه بكل صدر رحل واستبشار.

---

(٣) الديوان ص ٢٠

الفصل الثاني
القصيدة الثانية

وقال في وصف الملك المؤيد واستهل قصيدته بالنسيب في أحد عشر بيتاً وقالها كلها في وصف الكواكب والنجوم وحنينه لبلاده وأهله ثم انتقل متخلصاً ومادحاً الملك المؤيد في قصيدة طويلة نذكر منها :

لولا معاني السحر من لحظاتها   ما طال تردادي إلي أبـياتها
ولما وقفت علي الديار منـادياً   قلبي المتيم من وراء حجراتها

واستمر علي هذا النهج إلي أن تخلص مادحاً ممدوحة الملك المؤيد قائلاً فيه:-

ولدولة الملك المـؤيد أنــها   جمعت فنون المدح بعد شتاتها
ملك ليمناه عـوائد أنـــعم   الفت نحاة الجود فيض صلاتها
ما قال إلا في مبادرة العطا   وتناول الأمـداح هاك وهاتها

يتحدث الشاعر عن ممدوحه قائلاً عن فترة حكمه وملكه في الدولة ولمع في فنون المدح لم فيه من صفات حسنة من كرم فياض وعدل وعلم وصارت مدينة حضارية بعد أن تفرقت وتشتت فله الفضل في ذلك.

وذكر وكرر الشاعر صفة ممدوحه فيما يتعلق بالكرم والعطاء والبذل من يده وصارت كالنعيم حتى إلفها الناس وصارت من فيضها وكثرتها فعمت عند الناس كأنما فيهم صلة قرابة ورحم بينهم لكثرة عطائه وكرمه مع الفقراء والمحتاجين وكذلك صارت صلته بهم من أعظم الصلات وأمتنها ليس للمال فحسب بلا علاقة حب ومودة وعشرة بينهم(١).

ما قال إلا في مبادرة العطا   وتناول الأمداح هـاك وهـاتها
شدت لساحته الرحال ففعلها   يقضي بنصر الحرف نحو جهاتها

وقال عنه أنه لا يتحدث إلا في المبادرة والإسراع بالعطاء والبذل والكرم أو في الشعر حيث يمدحونه ويقول للشعراء هاك أو خده أو العكس هات القصيدة المنسقة التي تستحق التي تقال وتنشر وهذا جدل حكمته في التصرف وأيضاً يوفي القول والحديث عندما يراه من مناسباً ومستحقاً لذلك.

---

(١) الديوان ص (٦٦-٦٧) .

وكذلك تحدث بأن الناس يأتون إليه من جهات مختلفة ويشدون الرحال إليه من مناطق بعيدة وفي فعلهم هذا تعبر الإبل التي تمتطى للذهاب في طريقه أو كانت في جهاته وهذا كله بفضل ملكه وحكمه.وقال عنه :

غذي الرجاء ونباتها نظر لـمن وشاه من مدح فم ابن نباتها
وأهرع إلي الشخص الذي قد الفت كل القلوب له علي رغباتها(١)

يتحدث الشاعر عن القصائد الشعرية التي يقولها في ممدوحه وعن نفسه وأن هذه القصائد كان لها الفضل في تغذية الأمل والرجاء في ممدوحه من قبل العطاء والكسب ويخاطبه بأن ينظر لمن وشي فيه وقال في مدحه للملك المؤيد وكثرة مدائحه وقوله عنه.

ويطالب ويدعو ابن نباته بالهرع والسرعة وطيب معاملة ولوم فياض وكل إنسان علي حسب رغبته فيما يوجهه من الملك فإن يلبيه لهم بكل استبشار وتعظيم لسانهم وحل قضاياهم ومشاكلهم.

وقال فيه:-

وإذا حلي الملك المـؤيد أشرقت فاخشع لما تمليه مـن آياتها
شرف مثال النـجم دون مـثاله ولها يضيع الغيث في قطراتها
لم يكف أن جلي الخطوب عن الوري حتى جلا بعلـومه ظلماتها

وما زال الشاعر يصف ممدوحه الملك وقال عنه أنه إذا جاء وحل في مكان أشرق المكان وعمه النور والضياء وطلب من حوله بالخشوع وذلك لما تظهر منه علامات النور والإشراق لرؤيته ومطلعه هيئته البهية المشرقة.

وأيضاً تحدث الشاعر عن شرف ممدوحه وشبهه بالنجوم المنيرة اللامعة ولا مثيل له في الشبه ولشدة ضوئه ولمعانه ينطبق فيه قول الحكمة (إذا حضرت الملائكة تذهب الشياطين).

فإن مكانة الملك المؤيد سامية رفيعة واهتم بكل صغير وضعيف وذلك لعلوه وكثرة كرمه الفياض وجوده.

(١) الديوان ص ٦٦-٦٧ .

الفصل الثاني
القصيدة الثالثة

وقال في مدح المؤيد قصيدة بلغ عدد أبياتها ستة وثلاثين نذكر منها أبيات قال فيها:

لام العذار أطالت فيك تسهيدي كأنها لغــرامي لام توكيد
وخلف وعدك خلق منك أعرفه فليت كان التجافي منك موعودي

واستمر الشاعر علي هذا القول من النسيب إلي أن تخلص مادحاً ملكه المؤيد قائلاً فيه:-

داعي المقاصد في علم وفي كرم إلي لقاء مليء الفضل مقصود
تسري سفين الأماني نحو منزله فتستوي من أياديه علي الجودى
ذاك الذي اسعدت أعمارنا يده فما نفكر في حكم الموالــيد[1]

يتحدث الشاعر عن الملك وما زال يعدد من صفاته الكريمة وطبائعه النبيلة ووصفه بالعلم والنباهة وهو راع للعلم أي يحث من هم حوله للعلم والتعلم وهذه الدعوة ليست بالشدة أو بأسلوب جاف أو عنيف وإنما استخدم الأخلاق الكريمة في الكرم والحلم وذلك لنيل الفضل وتحقيق مقصوده وهدفه الأساسي العلم والتعلم.

وكذلك شبه الشاعر تعلق آمال الناس وأمانيهم نحو الملك بالسفن الكثيرة التي تتجه نحو منزله وتنال من عطاء مده الفياض وكرمه وكأنها امتطت سفناً أخرى لتصل لبر الأمان بنيلها من جوده وكرمه.

ثم انتقل الشاعر لوصف ونقل شئ آخر هو نيل السعادة من الملك ولولاه لما سعدوا وسعدت أعمارهم وكل ذلك يعود لعطاء جده وكسبهم منه وبعطائه وسؤاله هذا أصبحوا في حكم السعداء وكتبوا كذلك منذ الصغر وولادتهم فهم معه وبقربه بعد عنهم الشقاء والبؤس.

وقال عنه مادحاً :

ووأصل الحرب حتى كل معـركة كأنها بيت ومعنى ذات تـرديد
يهوي الرماح قروداً ذات منـعطف والمرهفات خدوراً ذات توريد
إذا أنتشى من دم الأوادج[2] صارمة رمي العدي بشديد السطوعربـيد

ذكر في هذه المرة صفة الشجاعة لديه وهجومه المستمر في كل المعارك دون تردد أو تراجع وبكل همة وقوة بأس وشجاعة[1].

---

(١) ديوان ابن نباته المصري ص (١٢٦-١٢٧) .

(٢) الأوداج: الأعداء. المنجد فى اللغة ص ٤٢١.

فهو يهوى ويعشق الرماح وجعلها كامرأة ذات ميل ولها ضمير ممشق وطويل كالبانة وكذلك شبهها بالمرأة الهيفاء الطويلة الممشقة القامة فهو يهوي كل تلك الأنواع من آلات الحرب التي جعلها الشاعر كالنساء فهو يحبها بنفس القدر التي تعشق به تلك النساء وذلك لكثرة حسبه وخوضه لغمار الحرب وويلها.

ثم تحدث عن نتيجة الحرب والمنافسة في داخلها والتشابك مع الأعداء وأنه نال منهم وقتل الأعداء بسيفه الصارم القوى الحاد فإنه يرمي اعداءه بكل شدة وبسالة وكأنها مثل الأسد القوى الذي يجري ويقاتل بكل قواه وشراسة ليصل لفريسته وينتصر عليها كذلك هو حال الملك في المعركة والحرب مثل الأسد القوى المنافس المنتصر علي اعدائه بكل بسالة وقوة جاش.

(١) الديوان ص (١٢٦-١٢٧) .

الفصل الثاني
القصيدة الرابعة

اختلفت بداية الشاعر في مطلع قصيدته فقد بدأها بالخمريات والنسيب بعدها ثم انتقل إلي لب الموضوع وهو المدح في الملك المؤيد قال في الخمريات والنسيب ثمانية أبيات نختار منها الآتي قال في مطلعها:

يوم صحو فاجعله لي يوم سكر وأدر لي كأسي رضاب وخمر [١]

اسقني في منازل مثل خلقي بيدي هاجر يغني بشعري

حبذا روضة وظل ونهر كغدار علي لمى فوق ثغر

واستمر الشاعر علي هذا النهج من القول في ثمانية أبيات ثم تخلص مادحاً ملكه في ستة عشر بيتاً نختار منها عدة أبيات وقال مادحاً:-

ملك باهر المكارم يروي وجه لقياه عن عطاء وبشر

زرت أبوابه فقرب شخصي ومحا عسرتي ونوه ذكري

ونحا لي من المكارم نحواً صانني عن لقاء زيد وعمرو

يتحدث الشاعر عن ممدوحه الملك المؤيد ويصفه بأنه باهر أي وواضح المكارم ويحكي وجهه حين تلقاه بالبشر والترحاب ويدل كذلك على العطاء والكرم الفياض ثم تحدث ابن نباتة عن جزء قصته المأسوية حين لجأ للملك المؤيد وزاره في منزله وقربه إليه وصارت له مكانة رفيعة في كونه أصبح شاعراً وكذلك بإمداده له بالمال والعطاء الجزيل دون حدود أو حساب وأنه هو الذي محا عسرته ونشر ذكره أي كان له الفضل في إذاعة صيته ونشر مؤلفاته وكتاباته.

وما زال يعدد ويصف فيما فعله له الملك المؤيد من خير كثير وأنه صاحب فضل له في المكارم والعطايا بأعماله تلك مع شاعرنا قد حفظته عن لقاء الناس وضرب المساعدة منهم ولقد كني بذلك في قوله زيد وعمرو مثل عن ذلك بقوله حفظه وصانه عن لقاء زيد وعمرو من الناس ذكرهم الشاعر بل رمز لهم وهذه طبيعة شعره في الغالب بأن يأتي بالرمز مع معشره.

ثم قال فيه :

أريحي من الملوك أريب [٢] فائض البحر ذو عجائب كثر

رُ بّ خلق أرق من أدمع الخنساء وقلب يوم الوغي مثل صخر

---

(١) ديوان ابن نباته المصري ص (١٨٣-١٨٤) .

(٢) أريب: وأربيه بالشئ صار ماهراً فيه وبصيراً.

واستمر الشاعر في وصف ممدوحه الملك وقال إنه أريحي أي يمتاز بالثراء والراحة وهو علي عرشه ومكانته فهو صاحب بصيرة وأدب وعقل وفي كرمه وعطائه وإنما فائض أكثر من البحر في قامته وعطائه وكذلك يمتاز بالعجائب أي العلوم الكثيرة المنوعة التي تدل علي عبقريته ونبوغه وتفوقه علي كل الملوك.

كذلك وصفه بالدقة والأحاسيس المرهفة والحنية والعاطفة الزائدة التي جعلته أرق من أدمع الشاعرة الخنساء حين فارقت أخوها وبكت عليه زمناً طويلاً وعلي العكس من ذلك فقد أتي الشاعر بصفة عكس الصفة السابقة وهي القسوة والصلابة في المعاملة ولكن ذلك مع أعدائه وخصومه فهو مثل الصخر في القوة ورباط الجأش فهو رحيم مع قومه من هم معه في السلم والأمان ولكنه قوي شديد القسوة والقوة على اعدائه وهذا هو الذي ينطبق في الملوك العظماء.

وقال فيه أيضاً :

والفة للعلـــوم أو للعـطايا تلق ملكا يقري الضيوف ويقري[١]
طوت العسر ثم فاضت لهـاه فنعمنا بذات طـي ونــشر
يا مليك النوال والعلم لا زالت سري الثناء في كل قطــر
حملتك العلي شؤونا فالـفت آل أيوب دائماً آل صـــبر

تحتوي معاني هذه الأبيات علي الصفات السابقة التي ذكرناها في القصائد السابقة وهي تتمثل في صفة العلم وإنه صاحب علوم كثيرة صاحب عطايا عطرة وجود يكرم الضيوف وسيرته عطرة في كل مكان وازهارا بعد العسر عن الشاعر وأذهب ليسيبه وكل من معه وأزال وأبدل مكان الحزن فرحاً وأن عطاياه دائماً تكون أفضل العطايا وأجزلها لمن يحتاجها وأطلق عليه بأنه مليك النوال والعطاء والعلم الغزير وكل الأقطار يشكرونه ويقدرونه علي ما فعله معهم من أفعال كريمة وطيبه وسيرته عطره وفاضلة وهو صاحب علو ومكانة رفيعة سامية لا يطاوله أحد من الملوك وهذا هو رأيه في آل أيوب في الرفعة والصبر منذ عهد أيوب الأول وكذلك مشهد فهو من أسرة أيوب المالكة والحاكمة وهذه صفاتها منذ القدم إلي أسرته من حكم وعلم وصبر.

---

(١) الديوان ص (١٨٣-١٨٤) .

الفصل الثاني
القصيدة الخامسة

قال الشاعر في مطلع القصيدة :

هن الوجوه الناضـرة   عيني إليها ناظــرة
آها لها عيناً عـلـي   تلك الأزاهر ماطـرة
رقب الوشاة جفـونها   فإذا هــم بالساهرة

بـدأ الشـاعر قصـيدته فـي مـدح ممدوحـه بالنسـيب العفيـف والغـزل العفيـف ووصـف وجه محبوبته بالنضارة والجمال وشبه عينها بالأزاهر التي جاء عليها المطر وأن العـذال أو الوشـاة تحـدثوا عنهـا ووصـفوا عيونهـا وهـذا رمـز للعيـون وأن عينـه أصبحتا ساهرة لفراق أحبته واستمر الشاعر علي هذا النهج من الغزل العفيف في أثنين وعشرين بيتاً من الشعر إلي أن تخلص مادحاً ممدوحه الملك المؤيد في:
قال مادحاً: [1]–

يا أيها الملك الـذي   رد الحقائب [2] شاكــره
وسما بهمته علـــي   غرر النجـوم الزاهرة
حتى انتقى من زهرها   هذي الخـلال الباهرة

تحدث الشاعر عن ممدوحه ومدى كرمه الفياض وجوده كما ذكرنا ذلك سابقاً وهذه عادته في كل قصائده يصفه بصفة الجود والكرم ويقدم ذلك ويذكر دائماً أن همة المؤيد ساميه وعالية ورفيعة فوق النجوم الساطعة الزاهرة العالية وهي واضحة جليلة لكل إنسان ويقصد أن مكانته رفيعه بين كل من هم حوله وكل من بعد عنه وعند صعوده بهمته وفضائل علي غرر النجوم قد أخذ منها هذه الصفات والطباع المشرقة البهية العالية ذات المكانة الرفيعة المجيدة.

وقال فيه [3]:

---

(١) الديوان ص (١٨٦–١٨٧) .

(٢) الحقائب: جمع حقيبة وهي ما يحمل علي الفرس خلف الراكب ومقصود بها الخريطة التي يضع المسافر فيها الزاد ونحوه المنجد ص ١١٢.

(٣) الديوان ص (١٨٦–١٨٧) .

سقياً لدهـــرك أنـــه دهر الأيادي الوافره
مترادف لذوي الرجــا بهباته المـتواتره
لولاك لما أمست قريحتي حتى الكليلة شاعـره
أنت الذي روت غما ئمه رباي العاطـره

تحدث الشاعر عن ممدوحه وتمني لدهره بالسقيا والرخاء الوفير الدائم من أمطار وما يتبعه من خير كثير وقال عنه أنه دهر الأيادي الوافرة الكريمة المستحبة بالعطاء والجود لكل من هم فيه من مساكين ومحرومين.

وقال عنه أنه يعطي لذوي الحاجات والرجاء عطاء مترادفاً أي بأكثر مما يتوقعون فإن جوده فياض وعطاءه جزيل وكذلك هباته متواصلة لذوي الحاجات يرون انقطاع أو حرمان وعقب تلك الأبيات ذكرانه صاحب الفضل في قوله الشعر في كل الأغراض ووصف نفسه بأنها مريضة متعبة منهكة لا جدوى له وأن المؤيد هو الملجأ والملاذ الوحيد والبلسم الشافي لقريحتي المريضة المشاكية المحتاجة لبذله وعطائه وهو الذي رواه وإعطاءه الكثير حتى كأنه صار بحماية الري للزروع وحفظ من الضياع والدمار فهو صاحب فضل عليه في كل حياته سواء المعيشة أو الشعر وأنه لا ينسي هذا الفضل ويقر به ويحفظه له في شعره وكل قصائده وحياته.

وقال فيه :

وابحتني بحر النـــدي حتى نظمت جواهره
لا غرو وأن سلبت عـن بلدي حشاي الذاكرة

وما زال الشاعر يعدد ويصف ممدوحه بالعطاء الكثير وفضله عليه وجوده الذي صار كالبحر وبسبب ذلك في قوله الشعر وشبه الشعر بالجواهر الثمينة الغالية لإعجابه بشعره وفخره به.

الفصل الثاني
القصيدة السادسة

وقال في مدح المؤيد:

سري طيفها حيث العواذل هجـع — فنم علينا نشـره المتضـوع
وبات يعاطيني الأحاديث في دجي — كأن الثريا فيه كأس مرصع
أجيراننا حي الربـيع دياركم — وأن لم يكن فيها لطرف مربع

واستمر علي هذا المنوال في قول النسيب في أبيات بلغت أحد عشر بيتاً من الشعر ثم انتقل بعد ذلك متخلصاً مادحاً ممدوحه الملك المؤيد في واحد وعشرين بيتاً نذكر منها :

رعي الله أيـام المؤيد أنـنا — وجدنا بها أهل المقاصد قد رعوا[1]
مليك له في الجود صنع تأنقت — معانيه حـتى خلـته يتصنع
وعلياء لو انا وضـعنا حديـثها — وجدنا سناها فوق ما كان يوضع

تحدث الشاعر عن ممدوحه ودعاء له الله بأن يرعي أيامه بالخير الوفير والمال الكثير والحفظ والعون من كل سوء وتمني ودعا له بذلك لأن أصل المقاصد وذوي الحاجات قد وجدوا مقاصدهم وحاجاتهم موفرة وطلباتهم ملبية أمامهم دون تقصير أو تعطيل منه في ذلك ولأنه راعي طلبهم وأهتم به.

وتعرض الشاعر مرة أخرى لذكر جود وكرم ممدوحه فهي صارت عادة له في كل قصائده وصفة دائمة كما ذكرنا من قبل لا يتخلى عنها وقال إن جوده صار مثل الصناعة والابتكار فيه ويؤلف ويأتي بالجديد حتى قيل لشاعرنا أن يتصنع في ذلك الجود ولكنه طبيعة الممدوح وصفته لا زيف فيها.

ثم وصف الشاعر علياء ما كان ممدوحه وقارن بينها وبين الحديث عنه وجد شكره وضياء ذلك وأذاعته فوق أو لكثرة مما كان يتوقع أوما يتصور بين الناس ورعاياه.

وقال فيه:

مذآل الغني لو حاولت يد سارق — خزائنه ما كان في الشرع تقطع

---

(١) ديوان ابن تباته المصري ص ٢٩٥ .

أرانا طباق المال والمجد في الوري فــذلك مبذول وهذا ممتع
وجانس ما بين القراءة والقــري فللجــود منه والإجادة مطلع
توقد ذهناً واستفاض مكــارما فأعلم أن الشهب بالغيث تهمع

تحدث الشاعر عن الغني في عهد ممدوحه وأنه ما زال متوفراً ولو حاولت يد سارق أن تسرق وتزول هذا الغني فإنه لا يقطع يده لأنها لا تفئ حد النصاب بالشرع وذلك لعدم وجود سبب شرعي داعي للسرقة لأنه غير محتاج ولا فقير وذلك بسبب توفر المال وإعطائه لكل ذي حاجة وفقير وهذا يدل على جوده الدائم وعدم تفشي السرقة في عهده لانقطاع الأسباب.

وما زال الشاعر يعدد ويصف مدى عطاء ممدوحه وأن المال في عهده صار مبذول وأن المجد انتشر في عهده وبذله الجزيل في الورى والسابقين وذاع سيطه بين الناس وكذلك أجداده فهو صاحب مجد عريق وأثر رفيع فأن المال في عهده مبذول ومجده وافر بالرغم من أنه ممتنع عنهم بالعطاء والقرب ولكن موجودة بسيرته العطرة الرفيعة.

ولقد جمع الممدوح ما بين القراءة والنبوغ والكرم العفيف في كل وقت وحين وأيضا كرمه للمسافرين وأبناء السبيل وأن تجديده للعلم والمعرفة والنبوغ فيه صاروا متنافسين أو متشابهين في عهده وهما الظهور والذكر الحافل بين الناس.

وقال فيه :

وصان فجاج الملك عدلاً وهيبة فلا جانب الأمن الروض مـرتع(١)
عزائم وضاح المحــامد أروع إذا قيل وضاح المحـامد أروع
لا عيب في أخلاقه غيــر أنه إذا اعذلوه في الندي ليس يرجع
له كل يوم في السيادة والعلـي أحاديث تملي المادحين فتبدع

وما زال الشاعر يعدد ويمدح في صفات ممدوحه ومنها العدل وأنه حفظ كل أنحاء المملكة والملك وحفظها من الضياع وكذلك فإن هيبته عمت كل البلاد ومكانته العالية وكذلك به أصبحت كل الجوانب كأنها روضة غناء ذات أشجار كثيفة يرتاح عندها الزوار لجمالها وأمنها ويلعبون فيها ليس بها ضوضاء ولا سخب أو خوف.

وكذلك فإن ممدوحه له عزائم ومحامد كثيرة ورائعة وإذا تحدث الناس عنها فأنهم يصفونها بالروعة والجمال في كل شئ.

---

(١) ديوان ابن نباته المصري ص ٢٩٥ .

وقد شمل الشاعر وجمع كل الصفات الحميدة والحلوة عن ممدوحه ولم يترك صفة ألا وأثني بها ولم يجد فيه شئ حسن ألا وذكره والكمال لله ثم قال مراً يقضي بالندي والجود لا يرجع عنه وهذا يعد عيبه الوحيد ولكنه الوحيد ولكنه في الحقيقة لا يعد عيباً ولكنه أضافه محاسن ومآثر عن ممدوحة ولقد أتي بما يسميه البلاغيون تأكيد المدح بما يشبه الزم وذلك أكد الشاعر علي ممدوحه كل الصفات الحميدة والطباع السمحة والكرم الفياض والجود الكثير لأهله ورعيته.

وختم الشاعر قصيدته عن ممدوحه بأن له في كل يوم للحياة والعلي والرفعة أحاديث كثيرة تملي وتذاع علي المادحين ويبدعون في وصفها ونشرها بينهم وبين الناس وهذا أن دل إنما يدل علي حسن صفات الملك المؤيد وطيب معشره وتفضله علي من سبقه.

الفصل الثاني
القصيدة السابعة

قال في مطلع القصيدة :

تصرمت الأيام دون وصـــالك فمن شافعي في الحب يا ابنه مالك
فكان الكري يدني خيالك وانقضي فلا منك تنويل ولا من خيــالك
رويدك قد اوثقت بالهم مهجـتي عليـك فماذا يبتـــغي بمالك

استهل الشاعر قصيدته بالنسيب وردد ذكر الأمام مالك والمذهب الشافعي وهذا من رموز في الشعر وتأثره بالعلماء ذكر النوم وظهوره في الخيال وانقضائه وبعد محبوبته عنه حتى في الخيال لم تعد تخطر إليه فهذا بعد فراق شديدين عليه وأن الهم قد تمكن منه وظهر في عينه ويطلب منها أن ترفق به وكيف يكون حال مالك !

وأستمر الشاعر علي هذا النهج من الغزل العفيف في أثني عشر بيتاً من الشعر حتى تخلص مادحاً ممدوحه وعدد أبيات المديح إحدى وعشرين بيتاً وعدد أبياتها كلها ثلاث وثلاثين بيتاً ونذكر جزءاً من القصيدة وذلك في قوله[(١)]:

لما جـلا الملك المؤيد رأيـه جلا ظله الممدود ووهج الممالك
مهيب السطاهامي العطا سابق العلي جلي الجلا كشاف ليل المعارك
تولي بنا عجز الأكاسر الأولي وجاد فضلنا بأحياء البرامك

وتحدث الشاعر عن ممدوحه وقال ولما ظهر وتجلى واضح للعيان الممدود ووضح الظل الذي كان يحيط بهم ويعمه من كل ناحية ويقصد به الظلم والفساد وسوء الرأي وعدم العدل ولكن ممدوحه علي عكس ذلك فإن وهج والنور شع منه الممالك والحكام وانتصر الحق على يديه.

ثم تحدث عن مكانته السامية الرفيعة وإنه مهيب في رأيه وحكمه علي رعيته صاحب سطوه عليهم وكذلك عطائه وفير وخيره كثير سباق للعلي عمن سبقوه من المماليك والحكام وحلاله واضح لا يصل الحرام والكسب الغير مشروع وكذلك معاركه بارز فيها يتقدم علي الجنود بكل شجاعة وهيبة وقوة جأش.

وقال عنه[(١)] :

---

(١) الديوان ص ٣٥٩-٣٦٠ .

تولي فيا عجز الأكاسرة الأولي وجاد فقلنا بأحياء البرامك
وشاركه العافون في ذات ماله وليس له في مجده من مشارك
كريم يحيل الرأي فعلاً ومنطقاً فلا يرتضي غير الدراري السوامك [(٢)]

وما زال الشاعر يتحدث عن ممدوحه ويذكر عهده وولائه للحكم وأنه ليس له سابق في العهود السابقة وكذلك في الجود فليس له مثيل في جوده وكرمه وأنه احيا البرامك وأنهم الوحيدين الذين شاركوه وأصبح حالهم من حاله هم العافون الذين ليس لهم في الأملاك ولا الأموال شئ فإنهم أصبحوا ايشاركونه في ماله وذلك لكثرة إنفاقه عليهم وعلي العكس ليس له في مجده من مشارك فإنه فريد في مجده وعظمته ومكانته.

وتعرض الشاعر لذكر كرم الملك المؤيد وقوة رأيه وعزيمته في أفعاله ومنطقه وكل تصرفاته وهؤلاء يرضي بالانفاق بالقليل ولا الشيء الذي لا يليق به فهو بنفق أحسن ما عنده وأثمن شئ لديه ولا يقبل مادون ذلك.

وقال عنه:-

كعوب القنا عجباً براحته التي يروي نداما مشرعات طوالك
إذا هز منها الملك كعباً مثقفاً فيا لك من كعب عليه مبارك

ثم ذكر الشاعر شجاعة ممدوحه وقوة بأسه في الحرب والمعارك ويتعجب لذلك فإن يديه تكون في ساحة الحرب علي ظهرها تضرب وتقاتل بكل همة وشجاعة علي عكس في حالة الكرم والندي فإنها تكون مفتوحة علي راحيتيها وتحدث عن كرمها الظاهر المشرع الممدود لكل إنسان وفي كل وقت مثل السهام الطوال الممدودة.

---

(١) الديوان ص (٣٥٩-٣٦٠) .

(٢) السوامك: الواحدة سامة وهي السكينة من الذهب أو الفضة المسوم الحسن الخلق وجعل سعرها غاليه المنجد ص (٣٦٤) .

وقال عنه [١]

وأن فى صوب الثغور رؤسها جلت فلج الأعداء[٢] جلا المساوك
ولله من أقلام علـــم بكفه سوالب ألباب الرجـال سؤالك

وما زال الشاعر يتحدث عن شجاعة الملك المؤيد في المعارك وسهامه التي التي وجهت روؤسها ونبالها نحو الأعداء المجربين أو الذين تلطخت ثيابهم بالدماء فإنه ينتصر عليهم ويظهر الدماء بثيابهم أو بذلهم ويفروا هاربين منه.

وختم الشاعر قصيدته عن ممحدوحه بأنه صاحب أقلام علم كثير في كفة أي بحوزته وملكه في كل العلوم دينية وفي علم اللغة وكثير من الفنون كأنه جمعها في يده وكأنه بذلك سلب وخلع عقول الرجال ووضعها في عقله وهذه مبالغة من الشاعر نحو ممدوحه تدل علي كثرة علمه ونباهته عقله وافتخاره به.

---

(١) الديوان ص ٣٥٩-٣٦٠ .

(٢) فلج الأعداء: الثوب الوسخ رجل أفلج: مجرب مذلل المنجد ص ٢٢ .

الفصل الثاني
القصيدة الثامنة

استهل الشاعر قصيدته بالخمريات ومزجت الغزل في آبيات بلغ عددها عشرة أبيات في أسلوب رصين وجميل يمتاز بالموسيقي في أنغامه ورصانة كلماته في قافية واحدة وبلغ أبيات المديح التي مدح بها الملك المؤيد ثلاثة وعشرين بيتاً نختار منها عدة أبيات كنموذج.

قال في مطلعها:-

أهلاً بطيف علي الجرعاء مختلس　　والفجر في سحر كالثغر في لعس
والنجم في الأفق الغربي منحدر　　كشعله سقطت من كف مقتبس
يا حبذا زمن الجرعاء من زمن　　كل الليالي فيه ليلة العرس

واستمر الشاعر علي هذا من النسيب والخمريات في أبياته إلي أن تخلص مادحاً مليكه قوله :

ملك يقاس مجاريه بسؤدده　　إذا تقابس عبر الدار بالفرس[١]
وينتهي لضحى بشر مؤمله　　إذا أنتهي من بني الدنيا إلي عبس

يتحدث الشاعر عن ممدوحه وما زال يندد بمآربه وكرمه ومجده وحتى الذين يجارونه وينافسونه ويعترفون بوده وعظمته بينهم وعلو شأنه وشبه لذلك خير الدار وشرفه وحصنه بالفرس فهم يمتطون الجياد ويقيمون علي رعايتها والإشراف عليها كذلك حال الممدوح فإنه حام لديار أهله وعشيرته وأن ما يحدث فيها من خير يكون هو السبب في ذلك فهو حاميها وملكها.

وذكر عنه أنه صاحب بشارة ورجل خير وأن الذين ينتظرون عطاءه يأملون فيه ويرجون كل الخير ولو انتهي كل أمل البشارة عنده أو في كل الدنيا فإن البشارة لا تنتهي وتنفز وعطاؤه وطلاقة وجه من بني الدنيا ولو عبسوا ونقروا عن الناس فهو الوحيد الذي يكون مبشراً ومرحباً باشاً صبوحاً. وقال عنه:

وينشر العلم لا قول لمختلف　　إذا رواه ولا معني بملتبس
ويشبع الأمر أراء مسددة تمضي　　وتدفع صدر الحارث الشكس

تكون كالعضب أحياناً وآونة　　تكون من وقعات العضب كالترس[٢]

---

(١) الديوان ص ـ٢٦٣-٢٦٤ .

(٢) الترس ما يؤتى به في الحرب المتراس: ما يوضع في طريق العدو لعرقلته المعجم الوسيط ص (٨٤) .

وتحدث الشاعر عن علمه ممدوحه ونشره له بين الناس وأن قوله لا يختلف عليه الناس فهو صاحب رأي وبصيرة فذة وقول صائب وكذلك إذا رواه عنه فهو صحيح منتظم متفق عليه لا خلاف فيه ولا التباس في تشابه معانيه فهو واضح وصحيح.

وأيضاً تحدث عن حكمته وحنكته في تدبر الأمور فهو صاحب بصيرة وأراء مسددة وتمضي علي رعيته وتدفع وترد كل من ساء فعله وعسر في معاملته وخالفه وكذلك الأحداث المخالفة أو التي تدع الناس لفتح فجوة الخلاف والسوء بينهم فهو مانع لها وحارس لهم من وقوع مثل هذه الأشياء.

وأن أدائه وإحساسه مرهف قد يتراجع عنها في بعض الأحيان والأوقات ويرد الأشياء ويمنع وقوع الأحداث المتواترة والخلاف بين الناس وأحياناً أخرى يكون كالترس في طريق العدو يعرقل ويمنع سيره ليمنعه ويرده والتولع به عن حاجته وهذا يدل علي مرونة شخصية الممدوح وملاءمة تصرفه حسب الأحداث والمواقع التي يجب أن يوافق التصرف فيه فهو في حالة اللين والمسامحة يتراجع ويقضي للناس حوائجهم ولكن في حالة الغضب مع العدو فهو يكون في حالة شدة وغلظة وسلطة عليهم ويقف في طريقهم لينجو هو ومن معه من رعيته وأفراد دولته ومناصريه في ترابط وتماسك دون انحلال ويكونوا قبضة قوية علي أعدائهم.وقال فيه :

لو باشر الأفق يوماً يمن طلعته لما سمعت بنجم ثم منتحس(١)
ولو تولت حزون الأرض راحته لم يبق في الأرض صلد غير منجبس(٢)
من مبلغ قومي الذاكي نحارهم أني اعتريت إلي جم العلي ندس(٣)
مجدداً لي في امداحه نسباً أبر من نسبي في الترب مندرس(٤)

يتحدث الشاعر عن طلعة ممدوحه البهية المشرقة وأنه صاحب بشر وترحاب لما يلقاه في كل حين وشبه بالنجم في الإشراق والجمال وإن الذي يلقاه يكون في حالة خير وبشر ولا يأتي النحس والشؤم الذي يبصره.

---

(١) ديوان ابن نباته ص (٢٦٣-٢٦٤) .

(٢) منتجس: امنجس: انفجر – يجس: تفجر ماء بجيس سائل وتبجس: ماءه غزيرة المعجم الوسيط ص ٣٩ .

(٣) ندس: فطن وأدق النظر في امور واستمع للصوت الخفي سريعاً فهو ندس المعجم الوسيط ص ٩١١.

(٤) مندرس: من درس أي من فن ويقصد أنه مدروس ومعلوم. المعجم الوسيط ص ٤٢.

ثم يتحدث الشاعر عن أحزان الأرض وقال إنها لو توالت وذهبت عفة أو جاءت إلي يديه فإن الأرض لم يبق صخر أو صلب الا تدفق منه الماء وانفجر وفاض أي صار ذلك الحزن والألم إلي فرح وخير وذلك لكونه بين يديه.

وانتقل الشاعر لوصف ممدوحه إلي مكان آخر وهو قومه وسأل من يبلغهم بأن بلغ العلي وارتقي وعلي صيته وصار مشهوراً ذا مكانة رفيعة وذلك لقربه من الملك والكرامة الوافر له في كل حياته وصار بجانبه فطن وسابق غيره في معرفة الأشياء والعلوم.

ويختم الشاعر قصيدته عن ممدوحه بأنه بمدحه إياه صار مجدداً لحياته ووجوده لكثرة ذكره عنده في النسب والصفات العظيمة والخصال المشرفة له ولأفراد أسرته العريقة وكذلك يعتبر بذكره لأجداده كأنما جدد ذكراهم وخلدها رغم إنهم دفنوا في التراب ومضي عليهم زمن طويل ولكنا بشعره فيهم ومدحه للملك المؤيد جدد ذلك راجيا تراثهم العريق.

الفصل الثاني
القصيدة التاسعة

قال الشاعر في مطلعها :

عوذت ثغرك بالظلام وما وسق	وسناك بالقمر المنير إذا اتسـق
أهاً لها من طلعة في طــرة	لاحت فلا لاح الصباح ولا الغسق
وهلال تم طالع في سعــده	لكن نجم حشاي فيه قد احتـرق
رثا وجدت العـــذال فيه	باطلاً لما وجدت بمقلته السحر حق

استهل الشاعر قصيدته بالنسيب وهو فرع من المديح في المحبوبه وأيضاً بدأها بالتعويذة وهو تنوع من الرمزية واستخدام الألفاظ من القرآن واستمر الشاعر في غزله في اثنى عشر بيتاً من القصيدة إلي أن تخلص مادحاً ممدوحة الملك المؤيد في اثنين وعشرين بيتاً تأخذ منها عدة أبيات وقد قال فيها:

ملك خزائن ما له وعــداتـه	تشكو بأيــديه التفرق والفرق
البحر في كفيه أو في صــدره	فأنهل وأن نـاديته فاخش الفرق
ذاك الذي بالناس يفدي شخصه	ويعاذ في ظلم الحــوادث بالفلق

تحدث الشاعر عن الملك وخزائنه التي ملئت بالمال الكثير وأنها تشتكي فراق ذاك المال وبعده عنها وهذا كناية عن شدة كرم الملك وكثرة عطائه كذلك الحال لأيدية فهي تشكو فراق المال لها حيث لا يستقر فيها المال فهو في حالة عطاء وكرم لعدم استقرار المال بها.

وعبر الشاعر عن كرم الملك وجعل البحر في كفيه وبين أصابعه حيث المال يكون ويوضع عليها وأنه يفيض ويتدفق وينهل ويشرب ويأخذ الناس منه وهنا أتي يتعبر عن الكف والأيدي مختلفا عن السابق حيث كانت تشكو الأيدي ولكنها هنا كانت كالبحر الذي يعطي بلا حدود[١].

وجعل الذي يقاومه ويحاول أن يجاري هذا البحر فإنه لا يستطيع بل يعرف ويفشل لقوة ذلك البحر وفياضة القوى وهو كثير الجود والكرم.

---

(١) ديوان ابن نباته المصري ص (٣٣٧).

وكذلك تحدث الشاعر عن شجاعة الملك المؤيد وقوة بأس وشدة تحمله للصعاب وفدائه لقومه وعشيرته فهو يفديه بشخصه ويضحي من أجلهم بالغالي والنفيس ويعوذ ويحصن نفسه في المصائب وظلمات الليالي بسورة الفلق من الحسد ومن شر الناس_[١].

وقال عنه :

وروائح المعروف لا تخفي علـي حال فشموا من أناملي العبـق
يا أيها الملك المؤيد دعوة تـذر العداة يفظيها تشكو الفرق
وأصلت قصدي يا اللهي وقطعت ما بيني وبين الزمان من العلق[٢]

ما زال الشاعر يتحدث عن فضائل ممدوحه ومعروفه الذي انتشر وعم كل البلاد وصار كالعطر الذي فاح شذاه وعتقه وطيبه ولا يخفي علي أحد حتى أثر ذاك العطر فيه وبدأ ظاهراً للناس مع أنامله من طيب عطره وهذا تعبير عن كثرة عطائه للشاعر وظهور ذلك في حياته.

ويعبر الملك بعطائه وبذله هذا بمثابة دعوة للأعداء الذين يكيدون له ولا يتمنون له الخير فهي كالنار التي تحرق في نفوسهم وأجسادهم.

ويذكر الشاعر أنه واصل مقصوده وهدفه في قول الشعر عن ممدوحه وأن ما قصده فيه قد تحقق له من عطاء وندي وأن الذي كان بينه وبين الزمن الماضي وطفرة بريده قد انتهي وتقطع سبل الوصل إليه وذلك بفضل عطاء الملك المؤيد له وكان دافعاً له في تجديد الأمل والحياة وقول الشعر والتقدم في انشاده حتى صار في هذه المكانة الرفيعة.

وقال فيه:-

فلا شكرن جميل ما أوليتـني شكر الـرياض الزهـر للماء الفرق
بمدائح أهلتني لنظامــها فغذت محـررة وعنقـي مسـترق
درر خـدمي بها علال وإنما عطفت علي درر العلي عطف النسق

وتحدث الشاعر جميل وفضل الملك المؤيد عليه وعطاء الكثير الجذل له وأنه يشكو علي ذلك الجميل الحسن شكر مثل يشكره لحدائق الغناء المزهرة والزهر

---

(١) ديوان ابن نباته ص ٣٣٧ – ٣٣٨.

(٢) العلق: علاقة به تعلق بالشئ واتشبه فيه الشئ بالشئ علق المعجم الوسيط ص ٦٤٥ .

المنفتح للماء الكثير والمطر الغزير الذي كان سبباً في ثمارها وحقبها وتفتح أوراقها فهذا تمييز جميل نحو ممدوح.

وكذلك فهو السبب في قوله للشعر ونظمه للقصائد والمديح فيه وفي غيره من العلماء والأدباء حتى صار شعراء عصره وذلك بفضله ما منحه له وتحقق أماله وأن قصائده المديح أصبحت محررة أي انتشرت في كل مكان وذاعت وسمع بها إلا أن عنقه هو أصبحت مسترقة وضعيفة في يده هو وهذا تعبير جميل من الشاعر وعرفان للجميل للمؤيد.[1]

وختم الشاعر قصيدته للملك المؤيد وشبه شعره وقصائده فيه بالدرر الغالية النفيسة القيمة التي لا ثمن لها فهي كانت بمثابة خدمة للعلا والرفعة في مجده وفترة حكمه وقابله بدرر أخرى وهي عطفه عليه وتعاونه معه علي عطب الزمان وشدته وشبهها في تعلقها وتماسكها مثل عطف النسق في التابع والمتبوع.

---

[1] (١) ديوان ابن نباته المصري ص ٣٣٧ – ٣٣٨.

المطلب الثاني
القصيدة العاشرة

وهكذا عاش ابن نباته بلبلاً يغرد في روضة أبى الفداء وينال عطاياه ما لم ينله أبي نواس من الرشيد والمتنبي من سيف بن حمدان وتوفي الملك المؤيد في سنة أثنتي وثلاثين وسبعمائة للهجرة وبموته محت صحيفة مشرقة من حياته وطوي بساط أخضر من عيشة إلا أن صلته بملوك حماة لم تنقطع فلم يلبث أن تولي الملك الأفضل بعد أبيه فسار إليه وأنشد قصيدته المشهورة هنأه فيها بالملك وعزاه في أبيه الراحل قال في مطلعها:-

هناء محا ذاك العزاء المقدما	فما عبس المحزون حتى تبسما
تغورابتسام في ثغور مدامع	شبيهان في الايمتاز ذو السيف منهما
نرد مجاري الدمع والبشر واضح	كوابل غيث في ضحى شمس قد همي
ودامت يد النعمي علي الملك الذي	تدانت له الدنيا وعزبه الحمي
مليكان هذا قد بضريحه	برغمي وهذا للأسرة قد سما
ودوحه ملك شادوي تكافأت	فغضت ذوي منهما وأخر قد نما[1]

يتحدث الشاعر عن تولي الملك الأفضل للملك بعد وفاة والده إسماعيل المؤيد وكتب قصيدته مهنئاً أياه وأن هذا الهناء والترحاب بقدومه قد محا وأزال الحزن في لحظات العزاء وأن الحزين قد تبسم وفرح لقومه رغم حزنه علي فراق أبيه وفي هذه القصيدة قد أبدع الشاعر حيث جمع بين نقيضين هم الحزن والفرح والمدح والرثاء وهذا أبعد من ببديع شعره وفنونه في شعره.

واستمر الشاعر علي نهجه في التهنئة جنباً والعزاء جنباً أخر ذكر أن الابتسام ثغور ومنافذ أي عمت الفرحة والابتسام الناس بتولي الملك الأفضل للملك وفي تارة أخرى يبكون علي فراق والده الملك إسماعيل وأنه وصفهما الأثنين الأبن والوالد وأنهما شبيهان لا يمتاز منهما واحد علي الأخر وذلك في الكرم والشمائل والخصال الكريمة والفضائل.

ويعبر الشاعر عن حزنه علي فراقه المؤيد بالبكاء الكثير عليه وشبهه بالمطر الغزير الذي يملأ كل الأرض وهذا تعبير عن فرحه وألمه على فراقه ويذكر محاسن وفضائل الملك المؤيد التي عمت كل الناس في عهده وحكمه من عطايا وكرم فياض

---

(١) ديوان ابن نباته المصري ص ٤٢٩ .

وبر وغيره وتكلم الشاعر عن النعمى التي كانت دائماً في يد الملك ويده فياضة بالعطاء والبذل لهم عن كسب لا تفتر ولا يمل عن الجود والندي ولكن يد القدر والموت لم يندم دائماً ومستمر في ذلك البذل وانقطع عن الدنيا وانقطع عن عطائه.ثم تحدث الشاعر عن المليكان المؤيد وابنه الأول قد هوي وذهب عن الدنيا وهو الآن في قبره رغماً عنه والأخر وهو ابنه قد سما وارتفع وارتقي في مكانته في عرشه وذلك لتولي العرش والملك بعد وفاة أبيه وما زال الشاعر يتحدث عنهما الاثنين معاً وشبههما بالدومة الخضراء المثمرة ذات الأغصان احداهما قد ذوي وذهب وذبل والآخر منهما قد نما وتفتح واخضر وهو الملك الأفضل وجعلهما متكافان في الشكل والرونق والذي سوف يعوض أو يكون بديلاً للذي كالثوب قد ذبل وذهب وهذه مقارنة بين الممدوح الثوب المنقوض وتعبير جميل عن موت الملك إسماعيل وفقده وخلف الملك جعله المؤيد في مكانه..

وقال عنهما:-

فقدنا لا عناق البرية مالكا ... وشمنا لأنواع الجميل متمماً
إذا الأفضل الملك اعتبرت مقامة ... وجدت زمان الملك قد عاد مثلما
أعاد معاني البيت حتى حسبته ... يوزن الثنا والحمد بيتا منظماً
وناداه ملك قد تقادم أرثه ... فقام كما ترضي العلا وتقدماً(١)

تحدث الشاعر عن فقد الملك المؤيد صاحب البر والاحسان والشجاع والمقدام علي المصائب والأهواء ولكنه اشتاق وتتوق لمن تم كل أنواع الجميل الذي بدأه المؤيد وأن ابنه هو من تم ذلك الجميل الذي بدأه والده وأنه سوف يسير علي دربه.ثم تحدث عن اعتلاء وتولي الملك الأفضل للملك وتوليه مكانه فإن الناظر إليه يجده مثل أبيه الملك المؤيد لا فرق بينهما في التصرف والشمائل الكريمة.

فهو الذي أعاد للبيت بناءه حتى حسبه من كثرة شكره وحمده له مثل البيت المنظم وتم بناؤه من هذين الاثنين الحمد والثناء وهذا يعد تعبيراً مبالغاً فيه ومميزاً للأفضل وترحاباً فياضاً به وقدومه وتوليه للحكم.

وختم الشاعر قصيدته بالحديث عن والده وولده العظيم وأن ما هو فيه يعد من الإرث الذي تركه له ليصبح مثله في كل شئ فقام وتولي علي الملك بكل ما

---

(١) الديوان ص ٤٢٩ .

يرضي العلا والتطور الذي بدأه والده فهو مكمل له فهو مستحق لذلك ووضع في المكان المناسب وإنها ترضي عنه الملأ والبشر ويقوم بكل سبل العلو والتقدم والرقي لدولة الملك المؤيد.

خلاصة :

بدأ الشاعر قصائده بالنسيب ثم تخلص مادحاً ممدوحه المؤيد الذي شمل معظم شعره وذلك لكثرة تعلقه به وحبه إياه وتخلص من ذلك.

ان مؤيديات ابن نباته صورة رائعة للملك أبي الفداء الذي ظل خالداً بشعره ووصف حماه القاهرة وتحدث عن الأيوبيين عامة والمؤيد والأفضل بصفة خاصة وبرزت فيه كل معاني الدقة والتصوير الدقيق والإحساس المرهف للشاعر.

المبحث الثالث
المدائح الإخوانية

شهد الشعر الإخواني في هذا العصر فترة ذهبية ونهضة أدبية فقد انتهزت الشاعرية هذه الفرصة في العلاقات الحميمة والمودات الإخوانية التي استعاض بها الشعراء من مودة المجتمع وعرفانه تشبثت بها واتخذوها وسيلة للظهور .

والشعر الإخواني وإن بدأ شخصياً فردياً هو في مجموعه صور بارزة من أهم صور المجتمع فهو وليد العلاقات بين أفراده وكثيراً ما يجدون فيه حياة نفيسة صادقة يتبين لنا من ورائها مجموعة من أخلاق المجتمع والصفات المشتركة بين أفراده ما يسيرون عليه من عادات وتقاليد وصلات .

واتسع نطاقه وتعدد آفاقه فمن نسوق إلي غائب وإلي لوم طاهر وإلي عتاب لمخطئ وتذكر لناسي.

والشاعر يحن إلي أسرته وأولاده ويتشوق إليهم ويتلهف إلي لقائهم وذلك إذا طوحت به أيدي الزمان مرغماً فرقت شمائله وباعدت بينه وبين فلذات كبده ويحن إلي أصدقائه وخلانه إذا تركوه وحدياً أو صدوا عنه وتجافوا وقاطعوه لسبب ما كنميمة أو وشاية فيتشوق ويلوم ويذم الواشي والنمام ويعتذر وإلي غير ذلك مما تستدعيه الأخوة الأكيدة إلي المودة الكريمة.

حنى الشعراء إلي العصور الماضية وتذكروا ما كان بها من رونق الحياة وسماحة الدهر وكرمه وإمتزج شعر الإخوانيات بغيرها من كل الأغراض كالوصف وذكر الحوادث[1].

تشمل مدائحه الإخوانية كل ما قاله الشاعر من قصائد يمدح بها القضاة والعلماء وسائر إخوانه من الشعراء والكتاب والموقعين ولم تكن علاقة الشاعر بهم علاقة ضعة وذله ومسكنه بل كانت علاقة إخوانية لأن كل الذين كان يمدحهم كانوا دونه علماً وأدباً وثقافة.

كان الشاعر شديد التواضع بالرغم ما كتبه من صفات ينعت بها إخوانه وذلك يعتبر تقليداً من تقاليد العصر في آداب المجتمع.

---

(١) عصر سلاطين لمماليك – تأليف محمود رزق سليم جـ ٣ ص ٣٠٤-٣٠٦.

تتألف المدائح الإخوانيات من معظم ما قاله الشاعر وقد استدعتها دواعي المعرفة والألفة والتزلف بعض الأحيان لينال عطاءها وأن الشاعر لم يمدح إلا بعض السلاطين في أواخر حياته وكان يخص الأسرة الكبيرة بمديحه وقد استمر يمدح بعض أفراد الأسر كلما خلا منهم ممدوح قام ممدوح نشير منها إلي أسرة آل فضل وأسرة آل السبكي وغيرها من الأسر الكريمة التي عرفها الشاعر وخصها بالكثير من شعره خلال عشرات السنين.

ولم يكن الشاعر يقصد هؤلاء الممدوحين من إخوانه بل كانوا في معظم الأحيان هم الذين يقصدونه في المديح أملاً منهم كل ينوه بهم في مدحه أو يتطارح معهم الشعر.

أما الصفات التي يذكرها في قصائده فهي تتمثل في أول صفة وهي الكرم حيث يتعذر علينا أن نجد قصيدة تخلو من وصف كرم الممدوح ويبالغ كثيراً في وصف الكرم وهي صفة مشتركة لكل مدائحه ولكنها ليست في كل الأحيان صفة حقيقية للممدوح(١).

أما الصفة الثانية وهي الحديث عن الطروس والأقلام لأن معظم أصحابها من طبقة العلماء والقضاة والكتاب وغيرهم ويفيض في وصف الورقة والمداد ويرفع ممدوحه فوق عبد الحميد الكاتب والجاحظ والقاضي والكتاب وغيرهم من ثروات الكتاب. هناك صورتان للمديح الإخواني لا ثالث لهما: صورة الكرم وما يدور حوله والمبالغة فيه الصورة الثانية وصورة العلم والأدب وما يتعلق بها من أقلام ومداد وطروس.

ثم ننتقل إلي الحديث عن عاطفة المناسبات للشاعر في الإخوانيات لم تكن صادقة في كل إخوانياته لأن كثيراً من الإخوانيات والاعتبارات الخاصة كانت تدفعه لمدحهم أملاً في عطاء أو رغبة أو شئ منصب أو جاه ولا يعني هذا أن العاطفة كانت معدومة تماماً بل كانت قوية في قليل منها ومعادلة في بعضها الآخر ومعدومة أحياناً.

---

(١) ابن نباته المصري عمر موسي باشا ص (٢٤٦-٢٤٨) .

ومن دلائل هذه الصفة الأخيرة قصر نفس الشاعر في بعضها لأننا نشعر بالتكلف والتصنع وتشعر بأن ظروفاً معينة حتمت عليه هذه المدائح فقضي العمر يمدح لكنه ليس مقتنعا عن هذه الحالة كمثل قوله.

يقول فيها :

قضيت العمر مطرحاً   وهذا يا أخي الحال [1]
فقير الوجه والكف   فلا جاه ولا مال

(١) الديوان ص (١١٠)

المدائح الإخوانية

بدأ الشاعر مدائحه الإخوانية بالنسيب كعادته في كل مدائحه السابقة من المدائح النبوية أو المدائح المؤيدية وهكذا هو الحال في المدائح الإخوانية وقد كتب عدداً من الصفات وهي متنوعة في القضاة والأصدقاء والعلماء وقد كان للقضاة الضلع الأكبر في المدائح الإخوانية وأغلبهم علماء وفقهاء وكذلك كتب عن الأدباء والكتاب ونذكر عدداً منهم علي سبيل المثال لا الحصر وهذه أول قصيدة قالها شاعرنا في قاضي القضاة تقي الدين السبكي وتحدث كثيراً عن أسرة آل السبكي وأبنائهم.

قال في مطلعها :

ليلاي ليلة بالشعر ليلاء وليلة قبلها كالثغر غراء[1]

وصل وهجر فمن ظلماء تخرجني لنور عيش ومن نور لظلماء

ما أنت إلا زمان لعمر مذهبه بالثغر والشعر أصباحي وأمسائي

يتحدث الشاعر عن ليل وطوله وإن ليله كثغر أغر وواضح وفيه وصل وهجر في نفس الوقت فهي تخرجه من الظلام إلي النور ومن النور إلي الظلام وفي هذا يتحدث عن محبوبته وبعده عنها ويقول لها ما أنت إلا زمن لعمر ذاهب وانها موجودة مع في ذاكرته الثغر والشعر في صباحه ومسائه وهذا يذكرها ويدل على إنها مداومة له في كل أوقاته لا تفارقه واستمر الشاعر علي هذا النهج من القول في النسيب وبلغ عدد أبياته إثنتان وعشرون بيتاً من النسيب ثم انتقل متخلصاً في خمسة وثلاثين بيتاً من الشعر نختار منها عدة أبيات.

وقال فيه مادحاً تقي الدين السبكي :

قاضي القضاة إذا أعيا الوري فطناً ** حسيرة العين دون الباء والتاء

والمعتلي رتباً لم يفتخر بسوي ** أقدامه الراء قبل التاء والباء

والثاقب الفكر في غراء ينصبها ** لكل طالب نعمي نصب إغراء

لطالب الجود شغل من فتونه ** وطالب العلم أشغال بإفتاء

يتحدث الشاعر عن قاضي القضاة وقال أنه اجهد وأتعب الخلق بذكائه ونباهته والعين التي لم تكون متحسرة ونادمة علي عدم رؤيته وذكر الشاعر حرف

---

(١) الديوان ص (٨-١٠)

(الباء) و (التاء) فهو يتلاعب بالألفاظ والحروف أحياناً في شعره وهذه صفة غالبه عليه في بعض قصائده.

ثم انتقل الشاعر لذكر بعض صفات ومحاسن ومأرب الممدوح وأنه مؤدياً للصلاة والرواتب وهو متواضع لا يفخر بذلك بل يفخر بأقدامه مرتباً وذكرها أيضاً الشاعر في صورة حروف وهو تلاعب بالكلمة والحروف يعود أن يذكر الكلمة مع بعضها.

وأيضاً يعود الشاعر لفكر القاضي مرة أخرى ويذكر أن فكره ومتسع لكل طالب علم ويهيأ ذلك لهم في أحسن حال.

وما زال الشاعر يشيد ويؤيد بصفات القاضي ووصفه بأنه جواد وكريم وهذا الجود يعد من فنونه التي يتصف لها وتتنوع لكل من يطلب ذلك أي متعددة وكثيرة ولذلك جوده لطلاب العلم وعطائه من العلم لهم بالإفتاء والتنوير وذكر الأمثال عطائه يزيد ويعطي ويمنح مع مزيد من العطاء والمنح والفتاوى والذكر.

وقال مادحاً أياه[1]:-

قامت لنصره خير الأنبياء طراً أنها واستعاضوا خير أنباء
لو مس تهذيبه أرفعه حجراً مسته في حالتيه ألف سـراء
من بيت فضل صحيح الوزن قد رجحت به مفاخر أبنـاء

ثم انتقل الشاعر إلي ذكر أخلاق الممدوح ووصفه بأنه مهذب ولو مس هذا التهذيب حجراً جعله رفيقا مثل الحرف وهنا توجد استعارة وأيضاً تلاعب بالحروف في بيت الشعر وهذه صارت عادة لدي الشاعر.

وأنتقل الشاعر إلي ذكر أسرة الممدوح وهي أسرة عريقة وعظيمة مشهورة بالقيم والفضائل الحميدة التي ورثها من آبائه وأجداده فهم أصلاً طيبون وقد سار الابناء على هذا الدرب حيث القيم العريقة من حيث التطبع والأخلاق.

وقال مادحا للتغنى والحرية :

---

(١) الديوان ص (٨-١٠) .

مضوا وضاءت بنوهم بعدهم شهبا تحمي بنور سناها كل ظلماء
فمن هلال ومن نجم ومن قمر في أفق عز وتمجيد وعلياء
حتى تجلي تقي الدين صبح هدي يملئ وإملاؤه من فكره الرائي[1]

ويتحدث الشاعر عن فناء وموت آل القاضي وأسرته العريقة وجاء أبناؤهم من بعدهم وأضاءوا لمن حولهم لعلمهم وفكرهم وحسن الخصال الحميدة.

فهي كالشهب المضيئة وهذا تشبيه جميل أتي به الشاعر ليعبر عن قوم وآل السبكي وعراقة أصلهم وهم بنورهم هذا يمحون ويزلون كل ظلام وجهل عن الأمة وذلك ينشر العلم والتقوى.

ثم ينتقل الشاعر لوصف وتشبيه آخر لأسرة السبكي وجعلهم مثل الكواكب المختلفة من قمر ونجوم وهلال تضئ في الأفق والكون للبشر وهذا في عز وتمجيد ومجد.

فإن هذا تشبيه جميل لهم وتعبير رقيق وألفاظ منسقة علي نهج بليغ وفصيح وتعظيم للأسرة كمقدمة لقدوم القاضي تقي الدين فهو الصبح المنبنى عن وجود أسرته والذي يملأ الدنيا ومن حوله بالفكر المنير والرأي السديد القويم والعادل.

---

(١) الديوان ص (٨-١٠) .

القصيدة الثانية

وقال قصيدة في ابن شهاب محمود وأجاد:

وعدت بطيف خيالها هيـفاء أن كان يمكن مقلتي إغـفاء
يا من يوفر طيفها سهدي لقد أمن أزديارك في الدجى الرقباء
يا من يطيل أخو الهوى لقوامها شكواه وهي الصعدة السمراء[(١)]

بدأ الشاعر قصيدته بالنسيب في عشر أبيات وذكر طيف المحبوبة في خياله ووصفها بأنها تمتاز بالضمير الرفيع وأنه لا ينوم في شكل أغفاء وتضمنت في البيت الثاني من قصيدة المتنبي في قصيدته التي ذكر فيها الحمي في ضرب البيت وكذلك تعرض لقوامها الطويل الممشق العالي وشكي من ذلك وهي يتنفس الصعداء عند تذكر ذلك أو رويته.

ثم تخلص مادحاً جمال الدين بعد أبيات النسيب وعدد أبيات القصيدة كلها سبع وعشرين بيتاً ذكر عشراً منها في النسيب كما ذكرنا والأخرى في المدح نذكر عدة أبيات وهي:

وقال مادحاً ابن الشهاب :

كم من جمال عنده ضر الفتي ولكم جمال عـنده السراء
كجمال دين الله وابن شـهابه لا الظلم حيث يري ولا الظلماء

استخدم الشاعر كم الخبرية للتعجب من جمال ممدوحه وأنه هذا الجمال ضار له من شدة جماله وأنه في نفس الوقت سار للناظرين إليه ولكنه يضايقه ويتمثل هذا الجمال في جمال دين الله وفي ابن الشهاب وهذا تلاعب بالألفاظ لدي الشاعر والنزاهة وهو كثير في شعره ووصفه أيضاً بالعدل والنزاهة في الحكم ولا يوجد ظلماء في عهده ولا يرون[(٢)].

---

(١) ديوان ابن نباته المصري ص (١١-١٢) .

(٢) تضمين من شعر أبي الطيب المتنبئ ديوان المتنبي ج ١ ص (١٢٢) .

وللفـظه يـزداد رأي مريـده وحجاه وهو القهوة الصهباء[١].

غني اليراع به وأظهر طـرسة وكذا تكون الروضة الغـناء

يا راكب العزمات غايات المـني مغني شهاب الدين والشهباء

ذو المجد لا في ساعديه عن العلا قصر ولا في عزمه أعياء

والعدل يردع قادراً عـن عاجـز فالذئب هاجعة لـديه الشاء

يتحدث الشاعر عن ألفاظ ممدوحه وأنه صاحب رأي صائب وسديد حتى الذي يديره يستمع إليه ويعمل كالقهوة الصهباء التي تحدث وتخبر عن حجاه فهي مثل القهوة الصهباء التي تفيق وتريح للعقل والحجا.

وانتقل الشاعر إلي قلم ممدوحه وكتاباته فهو غني بقلمه في مجال العلم والرواية وأظهر ذلك وشبهها بالروضة الحديثة الغناء الجميلة المنوعة الأزهار والأشجار وهذا يمثل تشبيه تمثيل.

وقال إنه صاحب عزمات قويه ومجيدة ولا يتركها إلا أن يصل إلي غاياته وأهدافه وأمانيه ويحققها وكيف لا فهو مغني بشهاب الدين وعلمه ولا بد أن يصل الأعالي والشهب لتحقيق أمانيه وينالها فهو اسم سام وصاحب مكانة رفيعة.

ولا يزال الشاعر يمدح في الشهاب ويذكر مناقبه فهو صاحب مجد قديم وعريق وليس في أيديه فحسب بل هو عالي الهمة ورفيع في كل شئ ثابت وصاحب إصرار لا يعيأ ولا يفتر في الوصول لأهدافه وتحقيقها.

ثم تحدث عن عدله في حكمه ونزاهة عقله علي كل فهو قادر وليس عاجز عن نشر العدالة بين أفراد أمته وعشيرته وضرب مثلاً بالذئاب التي ظلت هاجعة وهادئة في أو كراها وعرينها ويقصد بهم الغداة والظالمين في ظل حكمه وسطوه جبروته ظلوا ساكنين وصامدين لا يستطيعوا عمل شئ في ظل حكمه

(١) الديوان ص (١٢) .

وقال فيه :

يا من مللت من المعاد له وما ملت لدي معادها النعـماء[1]
إن لم تقم بحقوق ما أوليتنى مدحي فأرجو أن يقوم دعاء
شهدت معاليك الرفيعة والندي أن الورى أرض وأنت سماء

ويتحدث الشاعر كثرة ميعاد الممدوح له من العطاء والبذل واحتمال يقصد يده بكثرة العطاء والبزل لمن يطلب ذلك وما ملت لدي الإيفاء بالوعد النعم ولا الخيرات المنفقة وهذا يدل علي كرم الممدوح وكثرة جوده للمحتاجين والفقراء.

ويذكر له الشاعر أن له حقوق عليه وشكر ممدوحه بالمدح له ويري بالرغم من ذلك أنه قصر في حقه لعطاياه إياه ويرجو منه أن يوفيه حقه بالدعاء بالخير له.

وقال في عهده ثمهد الناس الرفعة والعلو والبذل والكرم الفياض وأن البشر بالنسبة له كالأرض أي أقل منه لا يسمون لمكانته العالية الرفيعة وهو كالسماء مرتفع من علو مجده وأخلاقه وكرمه ولا يضاهيه أحد.

---

(١) الديوان ص (١٢) .

القصيدة الثالثة

وقال في كمال الدين الزملكاني[١]::

قضي وما قضيت منكم لبانات   متيم عبثت فيه الصـبابات
ما فاض من جفنه يوم الرحل دم   إلا في قلبه منكم جراحـات
غبتم فغابت مسرات القلوب فلا   أنتم بزعمي ولا تلك المسرات

بدأ الشاعر قصيدته بالنسيب وهي في عشر أبيات ثم أنتقل إلي الخمريات ووصف الخمر وهذا يعد تخلصاً جميلاً حيث جعل في قصيدة واحده عدة أغراض بدأها بالنسيب ثم تحدث عن الخمر وانتقل إلي الغرض الأساسي وهو المديح الذي قاله في كمال الدين وعدد أبياتها ستة وثمانين بيتاً من الشعر نذكر منها عدة أبيات وهي–

حبر رأينا يقين الجود من يـده   وأكثر الجود في الدنيا حكـايات[٢]
محجب العزفي أيام سؤدده   للعز محو و للامداح اثبات
سما علي الخلق فاستسقوا مواهبه   لا غرو أن تسقي الأرض السموات
واستشرق العلم مصقولاً سوالـفه   بدهره وزهت لليمن وجـنات
وأستأنف الناس للأيام طيب ثـنا   من بعد ما كثرت فيها الشـكايات

يتحدث الشاعر عن جود وكرم ممدوحه وأنه رأي ذلك علي يقين وتأكيد من يده وغزو في ذلك فإن الجود في الدنيا كلها حكايات يحكونها الناس ويرونها لما رأوه وسمعوه فهم يتناقلون ذلك.

ثم يذكر الشاعر عز ومجد ممدوحه في أيام قضائه وسلطته فهو عظيم العز والسؤدد كأنما يمحو عز من سبقه من القضاة والحكام ويمجده وبخلوده عزه هو وكذلك يثبت ذلك للذين يمدحونه بالثبات والبرهان.

وما زال الشاعر يعدد ويمدح كمال الدين وقال عنه انه سما وارتفع علي الخلق بصفاته وأخلاقه الرفيعة فأخذوا ذلك منهم وكأنما يشربونها شراباً وكذلك مواهبه وهوايته ولا عجب في قوله ان جعل الأرض تسقي السموات وان المعروف إن السموات تسقي الأرض فهو على التشبيه تمجيداً لممدوحه.

وأستشرق العلم مصقولاً سوالفه   بدهره وزهت لليمن وجـنات
وأستأنف الناس للأيام طيب ثنا   من بعد ما كثرت فيها الشكايات

---

(١) كمال الدين الزملكاني : هو محمد بن علي بن عبد الواحد ولد سنة ٦٦٧هـ توفى سنة ٧٢٣هـ تولى القضاء لفترة شهد الناس في عهده العدل والمساواة له يد في النثر والنظم والخط الأعلام للزركلي ص ٨٣.

(٢)ديوان ابن نباته المصري ص (٦٧ – ٧١

ومـا زال الشـاعر يعـدد مـن صـفات ممدوحـه فـي عهـده انتشـر العلـم محلـي ومجلي ومزين عن من سبقوه في دهره وزهت ونضرة لليمن ويقصد بها اليد اليمني وجنـات أي أزدهـر وكثـر عطائـه واحتمـال يقصـد بهـا منطقـة الـيمن فإنـه ازدهـرت وتطورت وعمت كل أنحاءه البلاد النضار والجنات.

ويذكر الشاعر مؤانسة الناس بحكمه ونزاهته ويشكرونه خير شكر في أيامه التـي حكـم فيهـا وتبـدل حـالهم بعـد أن كـان فـي السـابق يشـكون ويتـألمون ففـي عهـده تبدلت الشكوى إلي شكر وحبور.

وقال فيه :

ويا أخا الدين قائل عفـوه أمما ... أيان لا ملجأ و لامغـارات[1]

ولا يعزنك غفـران فتغمره ... فللعقار علي لين شـرارات

ويا فتي العلم أن أعيتك شكـله ... هذا حماه المرجي والهدايات

ويا أخا السعي في علم وفي كرم ... هذي الهدايا وهاتيك الهدايات

ويذكر الشـاعر مـآثر ممدوحـه بأنـه صـاحب عفـو وصـفح كـريم وتحـدثت عنـه الأمـم السـابقة وذكرتـه بـالخير وأنـه صـاحب ملجـأ يلجئـون إليـه فـي مصـائبهم وقضـاء حاجاتهم وكذلك يستعينون به في المغارات والمحن.

وما زال يذكر فضائله وأنـه صـاحب عفـو ومغفـرة ويوصـف بـأن لا يغـرو بـذلك والطـامعين يسـتقلون ذلـك فهـو لا يتسـامح مـع المخطـئ المتمـادي فـي خطـاءة ويكـون أشـد قسـوة وجبـروت مـع المجـرمين ومثـل لـذلك للعقـاب أو الخشـونة حـين يكـون لينـاً فالشرر والجبروت تكون في حكمه وهذا تحذير وتنبيه.

---

(١) ديوان بن نباته ص (٦٧-٧١) .

القصيدة الرابعة

وكتب إليه الشيخ صفي الدين الحلي قصيدة يعاتبه علي عدم مكاتبته إليه وقال في مطلعها[1]:-

من لصب أدني البعاد وفاته مذ عداه وصل الحبيب وفاته

فأجابه الشيخ جمال الدين قائلاً:-

ما لظبي الحمي إليه التفاته بعد ما كدر المشيب حياته
لهج[2] بالهدى أن نفرت أيدي دي الليالي غزاله ومهاته[3]

أستهل الشاعر قصيدته بالنسيب كعادته في كل قصائده وقال مخطاباً محبوبته وشاكيا حاله وأنه يذكر الله كثيراً بالرغم من كثرة مشاكل الزمان وأيضاً أحبابه كثر فلا مجال عنده للنساء والتشبب بهن وكذلك فأنه لا يسهر مع الغزلان ولا أنثي الغزال أي لا مجال له مهما كان الحسن والجمال والإغراء فهو مشغول عنها بالذكر.

وأستمر الشاعر علي هذا النهج من النسيب إلي أن تخلص مادحاً الشاعر وصديقه صفي الدين الحلي[4] يقوله:-

حبذا من إمام لفظ وفضل نشر الذكر في البلاد دعاته
ناظم يشتكي الوليد قصوراً حيث تتلو رواته أبياته
من أناس كانوا إذا عزم الدهر وحامي كفاته وحماته
قوضوا وابتدي فريد صفات طال أو تفرع الخطوب صفاته
ما حمدنا للدهر إلا دواه ولرقم الطروس إلا دواته

الشرح والتحليل :

ذكر الشاعر صديقه الصفي الحلي الذي كان دوماً معه في حوار شعري وتبادل بينهما للشعر والقصائد وكذلك تعرض الشاعر لذكر مناقب ممدوحه وأشاد بكثرة علمه و إنشاده للشعر والكتاب ما زالوا يذكرون أشعاره وعلومه الكثيرة ومؤلفاته وتند بعظمة الناس الذين عاشروه وكانوا معه في فترة حياته وعصره المجيد وأيضاً

---

(١) الديوان ص (٧٢-٧٣) .

(٢) لهج: مولع بالذكره أسم فاعل كثير الدعاء. المنجد في اللغة ص ١٨٢.

(٣) المها: أنثي الغزال. المنجد في اللغة ص ٢١٢.

(٤) صفي الدين الحلي: هو أبو المحاس بن عبد العزيز أبا بني نصر الطائي ولد في الحلة بالعراق سنة ٦٧٧هـ. الأعلام للزركلي جـ٠(٢) ص ١٢٥.

أشار الشاعر لصفاته الفريدة التي ما زالت معه ولازمته طيلة فترة حياته فترة وهي ما زالت خالدة رغم الصعاب والمشاكل التي واجهته في حياته أي لم تزحزح أو تنسى رغم كل هذه الظروف.

واشتملت القصيدة على عدة صفات مدحه بها وأولها اتصافه بأنه أمام للفظ والفضل الكتاب والذاكرين والفضل ينسب له في نشر الذكر والعلم والشعر في بلاده وكذلك في نشر العلم الديني والدعاة الوعاظ. ولقد تعرض للذين يأتون بعده وكانوا الناظمين للشعر والنثر فهم يعتبروا مقصرين بالنسبة له وإن الذين يرون عنه الروايات والقصص ممن شهدوا عصره فهم يرون أبيات شعره وقصائده وهذه مبالغة من الشاعر في إثبات العلم والشعر الضمني الحلي فهو عالم زمانه.

وما زال الشاعر يعدد في صفات ممدوحه فهو يعد من أناس إذا عزم الدهر أي كثرة مصائبه وحامي شقاته أي اختلفت الأمور ببعضها فهو صاحب ثناء وشكر إذا تكبر الناس به فهو أولهم والسابق لهم وهو محق لذلك وأيضاً في الفخر فهو من أصحاب الفخر والعزة والإباء والكرامة.

وقال عنه صاحب صفات فريدة ولا يشابه فيها احد فهو مهما كثرت مشاكله وهمومه فهو صاحب مبادئ وقيم ولا تزحزحها الخطوب وأن عظمت أو طالت مدتها.

وقالت فيه أيضا أنه صاحب كتابات يحمد له ذلك وان كتاباته بمثابة الدواء الشافي الذي يزيل ويهون مشاكل وهموم الناس.

وقال فيه :

سار علم القريض يطلب حجا فغدى باب فضله ميقاته [1]
تارة من حماة يدعـــى وطورا يستحث الثنا إليه حداته
يا مفيد الـــورى بحـــر يعرف الذوق عذبه وفراته
وصــل العبد من فرضك بن ستر أحبابه وساء عـداته

وما زال الشاعر يذكر في مناقب ممدوحه وكثرة علمه وجعل الفريقين من الشعر يطلب حجا فغذى باب فضله في رقته أي زاده قول الشعر على فضله وان الناس يقيلون إليه كمرة من حماه ومرة أخرى حداته ومنافسونه يشكرون له فضله وكرمهم خلافه وكثرة علمه.

وبالنسبة للسابقين له فهو أصبح كالمقيد لهم في جواهر وانعم علمهم وأيضا في الذوق يعرف ويخجل منه وان وضع في بحر سواء كان عذب أو مالح واحتمال ان علمه وكتابته غزيرة كالبحر ويخجل الذوق في جمالها وتسبقها كالدر والأنعم في البحر العذب أو المالح.

ويعود ابن نباته لقول الشعر عند ممدوحه مرة أخرى وانه عم كل البلاد من بر وبحر وعبر وستر أحبابه وأفراحهم ويعتبر نجاحه هذا إساءة لا عداءه لأنهم لا يريدون له التقدم والنجاح والخير وأصبح منافس لهم في قول الشعر وتنظم قصائده ويمتاز صفي الدين الحلي بقول الجناس وتنسيق الكلمات والعبارات الجميلة في عصره هو وابن نباته.

(١) الديوان ص ١

المبحث الثالث
القصيدة الخامسة

وقال ابن نباته يمدح علاء الدين بن الأثير صاحب ديوان الإنشاء[1]:-

رب راح بت أشربها   من يدي عذب اللما خنث
قابلت في الكأس وجنتيه   فسقا فيها علي الثلث
يأبي الساقي ولثغته   ومعاني خلقه الدمث

بدأ الشاعر قصيدته بوصف الخمر خلاف قصائده السابقة التي كانت تبدأ بالنسيب وكان أحياناً يمزج بين الاثنين معاً.

بلغ عدد أبيات القصيدة تسع وعشرين بيتاً من الخمريات والمدح منها عشر في الخمريات والتسعة عشر الأخرى في المدح لابن الأثير[2] نذكر منها عدة أبيات قال فيها مادحاً.

نافث سحر البلاغة في   عقد جلت عن النفث
قالت العليا لسؤدده   صن وقال المال قم فعث
ما علي من أم ساحته   أن عام الجدب لم يغث
جاد حتى قال لائمه   أن بعض الجود كاللوث [3]

تحدث الشاعر عن الكاتب علاء الدين بن الأثير ووصفه بأنه ساجد في علم البلاغة بصيغة المبالغة وليس بمعني السحر وإنما يقصد علمه ونبوغه وجمال أسلوبه في كتاباته فهو بارع في علم البلاغة التي تمثل جزء من علم البيان وأنه ترفع عن معني السحر والنفث الذي يوجد فيعي والعقد وتجلي علمه لمن هم حوله وزين ذكائه وتفوقه في هذا المجال فهو صاحب عليا وقيم ومثل رفيعة ومجد عريق في سياقه وذلك اتسم بالكرم الفياض والجود حتى جعل المال ينطق ويتكلم وتمني أن يفسد ودعا بعدم الخير وهو عكس العمران وذلك لتدفقه الزاد عن حده لدرجة أنه تمني إلا يبلغ الخير.

---

(١) الديوان ص (٨٣-٨٤) .

(٢) ابن الأثير: هو نصر الله محمد بن عبد الكريم الشيباني الجذري أبو الفتح المعروف بابن الأثير (٥٥٨-٦٣٧هـ) (١١٦٣-١٢٣٩م). ومن مؤلفاته المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر (البرهان في علم البيان) الأعلام للزركلي ص ١٨٥.

(٣) اللوث : مس من الجنون ويقصد بها كثرة الانفاق المنجد في اللغة ص (٧٣٨) الطبعة الثانية١٩٨٦م.

ويضرب هذا المثل والقول للرجل الذي بلغ العليا والرفعة وقال لسادته صن نفسك والملك والعلو. وأيضاً جعل للمال أم ومصدر وأمره أي توقف واحفظ بأن يوزع نفسه وماله الآخرين وعبر عن زيادة الكرم بالإتلاف وعدم الخير فكأنما يكون فساداً للمال في ظاهره ولكنه في نفس الوقت فهو فساداً للمال في ظاهره ولكنه في نفس الوقت فهو يعمرها بالأنفاق والخير.

وإن كل الذي يعيشون في كنف عهده يتمتعون بالعلو والرفعة والرفاهية وأن عام الجدب وشظف العيش والفقر في عهد لا يقدرون عليه أو بمعني أمتنع في عهده وحبس الجفاف والفقر وأنه عهده ملئ بالخير الوفير.

ثم قال فيه [1]:

أيها المستن في جدد ... للعلي والناس في وعث [2]
والذي لو لم أخـط لـه ... مدحاً للمسك لم أمـث [3]
لا تسل عن حال عبدك في ... زمن مستحكم المغث [4]

وقال عنه أنه صاحب سنن للعلي أي مبتكر ومجدد ومطور للمعاني وطرقها وهو في حالة تجديد دائم والناس يصرون عليه بأن بنشي لهم ويجده ويطور في حياتهم إلي الأحسن والأفضل والأجمل في مجال العلي والتقدم والرقي من أجلهم.

وتحدث الشاعر عن مدحه لابن الأثير وقوله عنه وأنه لو مدحه اباءه لاذع وأشتهر ونشرت كتاباته وعلمه بين الناس فهي كالمسك يفوح ويعطر من هم حوله بعطره الفواح ثم تحدث الشاعر عن نفسه ووصفها بأنه عيد آى لا يملك حريته وهذا تعبير حزين وبأس من الشاعر وهو في شعره وانغلب عليه الطبع الحزين.

---

(١) الديوان ص ١٠٨

(٢) أصلها غث وغثوثة حديث القوم ويروى فسد الغثيثة ما لا خير فيه الغث من الكلام الكثير ويضرب للرجل يريد أن يوثره ويفضله قدر عليه المجد فى اللغة ص ٤٢١.

(٣) أصلها مث الرث أي تناوله المنجد ص ٧٥

(٤) المغث : الشر والقتال والمصائب الشديدة ويقال رجل مغاث أي رجل شرير المنجد فى اللغة ص٤٩٣.

القصيدة السادسة

وقال في الأثير[1] :

لا وأجفانك المراض الصحاح ... لست أدري ماذا تقول اللواحي
لي شغل يا صاح بالنظر المنصور ... عنهم بالمدمع السفاح
لما دري من يلوم حمرة دمعي ... أن قلبي عليك دامي الجراح

بدأ الشاعر قصيدته كعادته بالنسيب في سبع أبيات وذكرنا منها ثلاث أبيات كنموذج واستمر الشاعر علي هذا النهج إلي أن تخلص مادحاً ممدوحه في تسعة عشر بيتاً وسنذكر منها عدة أبيات هي:-

وقال في ممدوحه الأثير :

خلق من اللهوي مثلما ركـ ... ـب في ابن الأثير خلق السماح
الرئيس الذي به نفق الشعـ ... ـر وراجت بضائع المداح

يتحدث الشاعر عن الهوى والحب ومدى تمسكه به وتعلقه به في حب النساء وذكر جزء منه في أبيات الغزل وأنه طبع علي ذلك حتى صار صفة ملازمة في سلوكه وهذا هو الحال في ابن الأثير الذي من خلقه طباعه السماح والعفو الجميل وجاء الشاعر بهذا البيت في شكل تشبيه بينه وبين ممدوحه.

وجعل من ابن الأثير رئيساً للشعر في نثره وقوله له ونسجه المنتظم والرصين وكذلك المداح من الشعراء الذي يقولونه فيه قد نفذ كل ما عندهم من شعر وقصائد في مدح ابن الأثير وكثرت بضائعهم ومقصود بها الشعر حيث جعله مثل البضاعة التي كثر رواجها وطالبيه وهذا تشبيه للشعر وجعله كالبضاعه التي يكثر سوقها وطلبها للناس يأخذون منها متى ما شاءوا.

---

(١) ديوان ابن نباته المصري ص (١٠٧-١٠٨) .

وقال فيه :

باذل المال بالبنان الذي قـد حفظ الملك من جميع النواحي
همة تعتلي علي شرف الشهب ورفد يدنو إلي المـــمتاح [1]
كم قصدنا له مشاهد فـضل فحصلنا علي النجا والنجاح

وتعرض الشاعر لذكر صفات أبن الأثير الأخلاقية فهو رجل كريم جواد باذل ماله للمحتاج في صفاء النفس ورضا وهو بذلك حفظ ملكه من جميع النواحي حيث لم يترك ثغرة لرعيته للغضب أو الحقد عليه كذلك أعطي كل ذي حق حقه.

وكذلك حفظ ملكه من نشر الفتن والدسائس وذلك بحكمه العادل والمساواة في نيل حقوقهم ومستحقاتهم.

وأيضاً قال عنه أنه صاحب همة ومروه وشهامة تفوق وتعلو علي شرف الشهب والسحب وهذا يدل أنه صاحب مكانة رفيعة وعالية تمتاز بالنزاهة والأمانة والأخلاق وعطاء لا يتوقف أبداً عن المحتاج والفقير فهو يبذل لهم علي كسب دون انقطاع.

وكذلك قال عن ممدوحه بأنه يسرع في قضاء احتياجاتهم بكل همة ونشاط وصاحب فضل فهم يلجئون إليه دائماً في قضاء حوائجهم ومشاكلهم ويجدون عنده الحل الأمثل أما بالنجاه من المصائب والخلاص أو بالنجاح فيما فشلوا في حله وصعب عليهم الوصول لطريق وحسن تصرفه فيه فإن يدل علي حكمة ممدوحه وحسن تصرفه في كل الأمور لشعبه ورعيته.

وقال فيه:-

ذي حسان من القصــائد تجلي وهي محتاجة لحظ القباح[2]
يشتكي الصدى لنغـبة جـاه أصبح الناس فيه كالسياح
واعني علي الحـوادث أنظـر لثوابي لديك لا لا متداحي
جل من صاغ نور بشرك في الخلق وسبحان فالق [3] الإصباح

وخاصة أنه عاني الكثير في حياته وتعرض لذكر الزمن بأنه زمن مستحكم فيه الشر والقتال والصراع الشديد علي السلطة والجاه بين الناس.

وقال فيه أيضاً[1]:-

---

(١) ديوان بن نباته ص ١٠٨

(٢)حظ قباح القبح ضد الحسن قبح الله عن الخير تجاءهم وأنكر عليه ما عمله المنجد فى اللغة ص ٩٣

(٣) فالق فلق الصباح بمعني انشق وفالق الاصبح المنجد فى اللغة ص ٨٤ قال تعالى : ((فالق الاصباح)) سورة الأنعام اية (٢٩٦)

يشتكي الصدي لنغبه جاه	أصبح الناس فيه كالسياح
وأعني على الحوادث وانظر	لثوابي لديك لا لا متداحي
جل من صاغ نور بشرك فى الخلق	وسبحان خالق الأصباح

تحدث الشاعر مرة أخرى عن قصائد ممدوحه ويصفها بأنها حسان واضحة جليلة للعيان فهي قصائد ترفع شأن الممدوح الذي تعري من صفاتك الجميلة والقيم الرفيعة التي لا تحتاج المدح التي ترفع من شانك فلذلك يعد حفظه فصيح وهو ضد مخالف لك فأنت علي عكس منه.

ثم تعرض الشاعر لذكر كرم الممدوح الفياض وأصبح الناس في عهده أغنياء وينعمون بالجاه والمال والرفاهية وكذلك تعرض لوصف الجاه فهو يشكو ويتمني أن يدل علي كثرة بذله وعطائه الفياض لرعيته وأفرد شعبه وأنهم يعيشون في هناء ورخاء في عهده.

وختم الشاعر قصيدته مخاطباً الممدوح طالباً منه الإعانة علي الحوادث والمشاكل التي توجد في حياته ومصائبه من ضائقة مالية أو غيرها وكذلك طلب منه أن ينظر لثوابه عنده ومكافآته علي ذلك بطرق أخرى وليس بالامتداح وقول الشعر فيه.

ثم تعرض الشاعر لذكر جمال ابن الأثير وبشاشة وجه وحسن مطلعه واثنى على أخلاقه الرفيعة مع البشر مثل طلوع الفجر حين تشرق شمسه في الصباح وذكر الله وسبحه لهذا المنظر الجميل الرائع.

---

(١) الديوان ص ١٠٨ .

وتحدث الشاعر مرة آخرى عن قصائد ممدوحه ووصفها بإنها حسان وواضحة جلية للعيان ولكنها محتاجة لحظ يكون قبيح بها لإظهارها لكل الناس حتى تجلو أكثر وتنشر لكل القراء ومن يطلع عليها.

وتعرض الشاعر لذكر كرم المدح الفياض واصبح الناس في عهده أغنياء ينعمون بالجاه والنزاهة علي عكس حالته هو فأن الجاه ويشكو ويتمني أن يرجع يعود لحالته الأولي في يد سلطة الممدوح وهذا يدل علي بذله وعطائه الفياض لرعيته وأفراد شعبه وأنهم يعيشون في هناء ورخاء في عهده.

ثم خاطبه الشاعر ممدوحه وطلب منه الإعانة علي الحوادث والمشاكل في دهره ومصائب في الحياة من ضائقة ماليه أو اجتماعيه وطلب منه أن ينظر لثوابه عنده ومكافأته علي ذلك بطرق أخرى وليس بامتداح وقول المدح فيه.

وختم الشاعر قصيدته في مدح ابن الأثير بذكر جمال بشرو ممدوحه وحسن طلعته واخلاقه الرفيعة مع الخلق وأنه يمتاز بحسن الطلعة وشروق وبشاشه وجه وطلاقته فهو مثل طلوع الفجر حين تشرق شمسه في الصباح فسبحان فالق الإصباح.

المبحث الثالث
القصيدة السابعة

وقال في قاضي القضاة جلال الدين :

واستهلها الشاعر بالنسيب في احدى عشر بيتاً ونذكر منها بعض الأبيات :

قال في مطلعها :

سقى حماك من الوسمي باكره   حتى تبسم من عجب أزاهره
يا دار هوى لا وأشي أكاتمه   ولا رقيب بمغناها أحاذره
حيث الشبيبه تصبي كل ذي حور   سيان أسود مرآها وناطأألره

وأستمر الشاعر علي هذا المنوال من الغزل حتى تخلص مادحاً قاضي القضاة جلال الدين في قصيدته التي حوت سبع وعشرين بيتاً من المديح وذكر فيه كل صفات القضاة ومحاسن أخلاقهم وسنذكر منها عدة أبيات وقد قال فيها:-

حتى بدا الصبح يحكي وجه سيدنا   قاضي القضاة إذا استجداه زائره
لله صبح تجلي للشريعة عن   ذاك الجلال لقد جلت مأثرة

بدأ الشاعر ممدوحه وشبهه بالصبح في مطلعة حين شروق الشمس وتجليها في السماء بالشوق ولقد أتي بذلك للدالة علي إشراق وجهه وأنه إنسان صبوح ويمتاز وجه بالطلاقة والبشر حين يأتي إليه زائره أو زواره فهو غير عابس مبتسم مشرق الوجه يستقبل زواره بالبشر والترحاب.

ثم أنتقل الشاعر لصفة أخرى وأيضاً استخدم فيها لفظ الصبح ولكن المعني في هذه المرة يختلف عن السابق فشبه ممدوحه بالوضوح والتجلي في حكمه بالشريعة وتطبيق قوانينها السمحة بالعدل ربما أمر الله في شرعه ووضح أثر ذلك بالعيان في حكمه ولمن سمع عنه[١].

وقال فيه:-

حيث المقاصد في أبوابه زمراً   فليس للدهر ذنب وهو غافره
فاستجل طلعة ذي بشر وذي كرم   كالغيث بارقة الساري فماطره
تصبو لحبر فتاويه لواحظنا   فما عيون المها إلا محابرة

ثم تحدث الشاعر عن ممدوحه بأنه رجل فاضل وكريم وصاحب مروه وكل من يأتي إليه في حاجة يقضيها إليه وأن الذين يقصدونه لا عد لهم ولا حصر وقال

(١) ديوان ابن نباته المصري ص (١٩٨-١٩٩) .

أنهم زمراً وقد يدل علي الكثرة وأنه يأتون إليه جماعات كثيرة وبالرغم من ذلك فهو يقضيها إليهم دون كلل وملل.

وتحدث أيضاً بأنه إنسان مسامح عطوف حليم يغفر واستخدم مع الشاعر كلمة يغفر وهو يقصد المسامحة فأنه لا يغفر الذنوب إلا الله وهذه صيغة مبالغة.

وذكر الشاعر ممدوحه بالجمال في طلعته وهيئته وتعرض للبشر والبشاشة لديه وكذلك وصفه بالكرم الفياض وشبهه بالمطر الغزير الذي بسبقه البرق المضيء الشديد الصوت فهو بصحبه المطر الغزير الذي يروي كل المناطق ومنه ينمو الزرع وينتج خير كثير فهو مثله.

ثم أنتقل الشاعر لوصف ممدوحه بصفة أخرى تختلف عن الصفات السابقة فهو رجل عالم فقيه صاحب لباقة وفصاحة والناس تشتاق وتتطلع لسماع فتاويه ووعظه ورمز لمحبوبته أو الدواية التي يكتب منها فمهما أو مدخل القلم بعيون المها في شدة سوادها مع البياض وشكلها الخارجي فهو إنسان كاتب بالإضافة إلي فقه وعلمه وأديب صاحب قلم جهور وبليغ[1].

وقال فيه:-

وينفذ الأمر كالسهم القويم فما	تحيد عن غرض التقوى أو امره
لا شئ أحسن من مرآه مقتبلاً	إلا محاسن ما ضمت سرائره
تجلو المهابة ناديه رونقها	فما نكاد بنجوانا نجاهره

وتحدث الشاعر عن القاضي جلال الدين بأنه صاحب رأي نافذ وقوى وقويم كالسهم الذي يرمي بالهدف في اتجاه صائب لا يخطو ولا يتراجع عن هدفه فهو كذلك وكذلك أو أمره لا تخرج عن غرض التقوا فهو تغي يعمل بأوامر الله وسميت موهبته في حكمة وعدله.

وكذلك وصفة بالحسن والبهاء والجمال في مطلعة وحيث يقبل ونفي إلا شئ أحسن من قبوله حيث يأتي إلي سرائره وهو بذلك أخذ شئ من الدعاء الذي يقال (اللهم أجعل سريرتي خير من علا نيتي) فهو جعل الممدوح كذلك إلا شئ أحسن من هيئة ومطلعة إلي سريرته.

---

(١) الديوان ص (١٩٨-١٩٩) .

وأيضاً وصف ممدوحه بالمهابة والشخصية القوية العظيمة التي يخافها الناس ويجعلون لها حساب وتقدير حيث يكون معهم في مجلسهم وإجتماعاتهم وحتى إذا انطلقوا بشيء أمامه من رأي أو تعبير فهم لا يستطيعون قول ذلك الرأي أمامهم لقوة شخصيته ولا ينطقون بذلك أمامهم إلا سراً في صدورهم.

وقال فيه في ختام القصيدة[١]:

ويفهم السر من حاجات أنفسنا فما نطيق علي أمر نساتره
يا حاكماً صان سوح[٢] الدين عاضده وفاز بالشرف المأثور ظافره
وليت بالعلم لا بالحظ مرتبة فاحكم بعلمك فيما أنت ناظره

وقال عنه أن بفهم أسرارهم وحاجاتهم التي يطلوبنها وهم ينصبون إذا حاولوا أن يخفوا عنه أمر في أنفسهم وهذا يدل علي قوة البديهية والذكاء والفطنة وحسن معاملته لرعيته ومن هم حوله.

ويخاطب ممدوحه بأنه حاكم لناحية وساحة الدين من الضياع والضلال إلي الصراط القويم والمستقيم وهو حفظه بمعني أنه التزم بما جاء فيه من أحكام وأوامر وطاعات وكان العضد والسند القوى للشريعة والحكم بما فيها من أحكام وقوانين.

وهو الفائز بالشرف والأخلاق الحميدة السمحة والفاضلة وهي معهودة ومأثورة فيه وكان له فيها نيل بالفوز والظفر والنجاح الباهر.

ثم أنتقل لنيله للولاية والقضاء وأنه نال ذلك بالعلم والكفاءة لا بالحظ أو مجرد صدفة وهو كذلك حاكم بعلمه وخبرته ونجاحه وتفوقه وله الحق فيما يراه صحيح أو صائب وأن نظرته ذات وقع ومكانة رفيعة لما يمتاز به من علم وذكاء ولا رأى بعد رأيه أو قولاً في حكمه فهو الأمر والناهي.

---

(١) الديوان ص (١٩٨-١٩٩) .

(٢) سوح: أصلهاً ساح الجمع ساح ويسوح وساحت: الناحية يقصد بها : بين دور الحلي لابناء ولا سقف المنجد في اللغة ص (٣٦) .

المبحث الثالث
القصيدة الثامنة

وقال في قاضي القضاة محمد :

كف الملامة عن حشا المتوجع   وأترك مضرته إذا لم تنفع[1]
أتخال أني للملامة سامــع   لا الذي قد سد عنها مسمعي
والنازعات فأنها من مهجتي   والمرسلات فأنها من أدمعي

أستهل الشاعر قصيدته بالنسيب وعددها عشر أبيات وقد ذكر منها بعض أسماء سور القرآن مثل سورة (النازعات) وسورة (المرسلات) وهذا النموذج لبعض أبياته في النسيب ولقد أستمر الشاعر علي هذا النهج إلي أن تخلص مادحاً ممدوحه القاضي محمد في قصيدته التي بلغ عدد أبياتها عشرين بيتاً نختار منها بعض الأبيات وهي في قوله:-

وغدا مقرك بالفضائل واللهي[2]   ماضي الشريعة مستفاض المشرع
زاهي علي غرر البلاد وأهلها   بأغروضــاح الخـلائق أروع
أضحت معرضة كرائم ما له   فلو أنتجاها [3] ســارق لم يقطع

تحدث الشاعر كعادته في ذكر أوصاف ممدوحه من المدائح الأخوانية بذكر صفات مشتركة في كل قاضي وهي صفة الأخلاق الفاضلة والكرم الفياض وتمسكه بالشريعة في كل أحكامه وأوامره صغيرها وكبيرها وعدم تراجعه عن نهجه المستقيم وقوة شخصته.

وكذلك تكرر المعني في وصف الممدوح بأنه جميل الصورة حسن الهيئة بشوش مستبشر لضيوفه وأهل برده وأنه وضاح المطلع وكذلك أخلاقه رفيعة صاحب مروه وشهامة في قضاء حوائج من يحتاج إليه.

وأيضاً تحدث عن ماله وكثرة أنفاقه لرعيته وأنه كثير الكرم والجود به لكل من هم حوله لدرجة مبالغ فيها حتى أنه لو سرق أو تطاول أحد بالسرقة لم يصدر الحكم عليه بالقصاص بقطع يده وذلك لأنه لا توجد الحاجة الماسة لكي يسرق وهي عدم الحوجه لذلك وإنما تكون مرض نفسي أو مبلغ بسيط لا يستحق الحكم فيه وهذا

---

(١) ديوان بن نياته ص (٢٩٩-٣٠٠) .

(٢) اللهي: جمعها الهوتي والفعل منها اللها: أي العطية أو أفضل العطايا وأجزلها المنجد في اللغة ص (٧٣٧) .

(٣) انتجاها: سرقها وأخذها المنجد في اللغة ص ٦٥.

أن دل إنما يدل علي الأنفاق الفياض علي كل أفراد شعبه وعدم ترك ضعيف ينعم لمال أو محتاج فيهم.

وقال فيه:-

نعم الملاذ لطالبيه فطالــب   علماً وطالب نائل متــبرع

ما البحر إلا علمه ونوالــه   لو كان طافي الدر حلو المكرع

وما زال الشاعر يتحدث عن كرم ممدوحه في كل شئ حتى الذي يطلب منه شيئاً فهو يشعر معه بالمتعة والاستلطاف سواء كان طالب مال فهو معه بكل ما عنده وفي كل شئ نبا له وبلقاة يدون غناء أو تردد من صاحبه فهو مثل الذي يتبرع له وكذلك العلم فأنه ممدوحه عالم وصاحب علم غزير وكتاب مفتوح لكل من يطلب أن يقرأ فيه أو يستعير منه معلومة فهو يعطيه لهم بكل ما قاله الشاعر عن ممدوحه في البيت التالي ووصفه علمه بالبحر لاتساعه لكل العلوم وتفقه في العلوم كلها وكذلك كرم وعطاء وجعلها مثل الدر الغالي النفيس في هيئة ماء يشرب منه الناس ويروي وهذا تشبيه جميل ورصين من الشاعر في وصفه ممدوحه بالعلم الغزير والكرم الفياض(١).وقال فيه:-

لو تنطق الشهباء قال مقامـها   قل يا محمد كل فــخر يسمع

يا قدوة العلماء عش مترقيا   وأخفض بآمرك ما تحاول وارفع

وكذلك استمر الشاعر في وصف ممدوحه بالكرم والجود وجعل النجوم والكواكب تنطق لكي تحدث عن قاضي القضاة محمد ومقامه الرفيع العالي وتفخر به وجعله كأنما تسمع وترد عليه بذلك.

وخاطبه بالقدوة في العلماء في كل شئ وتمني له العيشة الراقية والهناء والرقي وكذلك له الأمر والتصرف كما يشاء في الخفض أو الرفع في الأسعار والسلع وربما يقصد بالتقرب لمن هم حوله في الوظائف والرتب أي الترقية أو العكس.

وقال أيضاَ :

قسماً لقد رجعَتْ بي الدنياَ إلي   مغناكَ بعد النِاي أحسنُ مرجعُ

(١) الديوان ص (٢٩٩-٣٠٠) .

أقسم الشاعر في شعره بأن الممدوح قد رجع به في الدنيا إلي مغناه وعرشه بعد فرقة وبعد عاشها الشاعر وعاني فيها ما عاني من شدة وفقر وضيق وكان له بمثابة الحديقة الغناء المثمرة التي يرتاح ويرتفع فيها.

وقال فيه:-

لله كم لكَ من يدٍ مأثورةٍ عندي كلِّ من ندي متسرعُ[١]

وختم الشاعر قصيدته بذكر مآثر وفضائل ممدوحه حيث الكرم والجود والندي والعطاء الصفة الغالية عليه ويذكرها مواريا في أبياته مدحه وأنه نداه دائماً متسرع وسابق في كل شئ ولطالما تكرمه وتفضله به عليه وهو لا ينسي له ذلك الفضل والندي الفياض.

---

(١) الديوان ص (١٩٩-٣٠٠) .

المبحث الثالث
القصيدة التاسعة

وقال في ابن حجله[١] عند قدومه من الحجاز :

تذكَر جرعـاءَ الحمي فتجرعَـا كؤسُ الأسيَ بالدمِع راحاً مشعشعاً
وفارقَ جيرانُ الغضَـا غير أنَهُ به أودع القلبِ الشـجيَ ودعاً

أستهل الشاعر قصيدته بالنسيب وهذا ديدينه في كما رأينا في كل قصائده وبداءه بالفرقة والنوى والشوق والحنين لمحبوبته وذكر المكان والأطلال والوداع لمحبوبته وأستمر علي هذا النهج والقول في اللقاء والبعاد في سبع أبيات إلي أن تخلص مادحاً ومهنئاً ممدوحه أبن حجله في قصيدته التي بلغ عدد أبياتها أربعة عشر بيتاً في المديح نأخذ منها عدة أبيات وذلك في قوله[٢] :

أمامُ الهديَ والعلمُ هنْئتَ مقصداً سعيداً وعوداً بالقبولِ ومرجـعاَ
يطوفُ ويسعَ ي للأِطم الذي سعيَ وطاف بذياكِ الحمي وتمـتعاَ
تكاد ستُور البين تجذب بـردَ هُ لعرفِا محمودِ الشمائلِ أروعاَ

يتحدث ابن نباته عن الشاعر ابن حجله ويصفه بأنه أمام للهدي والصلاح والتقوى لمن هم معه وحوله وكذلك العلم فهو صاحب علم غزير وعقل راجح مزين بالعلوم والفقه ثم يهنئه بالحج وهو مقصد وقبله كل المسلمين ويتمنون أن يصلوه ويقصدونه بالصلاة مثل المغفرة والتوبة ويتمني له السعادة والقبول من عند الله تعالي والرجعة إليه مرة أخرى لذلك المكان يطوف ويسعى فيه أمام الهدي الذي طاف ويسعى بهذا المكان المشرف والمكرم وتمتع وعاد حاجاً تاباً وشاكراً لوصول بيت الله الحرام.

وقد بالغ الشاعر في وصف ممدوحه حين وصل ستور البيت العتيق وطاف وذلك بأن الستور والأقمشة جذبت بردته وملابسه طلباً وعرفاناً منه لأنه صاحب صفات وشمائل محمودة وأخلاق كريمة ويمتاز بالورع والتقوى.

وقال فيه [٣]:

(١) ابن حجلة: هو شهاب الدين بن حجلة المغربي من مؤلفاته ديوان الصبابة له علاقة مع السلطان ناصر بن حسن في تأليف كتابه سكردان السلطان كاتب بارع توفى سنة ٧٤٠ عصر سلاطين المماليك جـ ٢ ص ٣٩٨ جـ ٤ ص ١٢٤ محمود سليم.

(٢) ديوان ابن نباته المصري ص (٣٠٤) .

(٣) الديوان ص (٣٤) .

لعمريَّ لقد سْوا لمقامُ وأهلْه   بزورةَ أو   في الزائرينَ واروعاَ

فأن ملأ الإحسان كْمِ مجاورٍ   فقد ملأ الحجُ رالمحامد والدعـاَ

وهنئ أفق الشامِ رجعةَ نيـرٍ   ملئ با سعِاد   الرعيةِوالرعــاَ

وأقسم الشاعر بعمره بأن المقام المعظم العتيق لقد سر وكذلك أصله بزيارة ابن حجله ووصفه بأن أوفي الزائرين وأروعهم في الأخلاق والطباع والهيئة.

وأيضاً قال عنه إنسان محسن وصاحب إحسان في أعماله ورجل بر وإحسان ولا غرابة في ذلك فأن الحجر الأسود ملأ وكثرت حوله المحامد والحمد لله والدعاء بالمغفرة والتوبة والخير الأمة المسلمة فهو صاحب وجار محسن حتى للحجر الأصم.

ثم أنتقل الشاعر للحديث عن عودة ابن حجلة إلي بلاده الشام وأن الأفق هنيئة علي قدومه إليها ورجوعه وكم كان له الفضل في إسعاد رعيتها في حكمه ونواله والدعاء لهم بالخير والسعادة.

وقال عنه:–

تحييه   أغصانُ   البلاِد   كأنــمَا   هَوتْ سجداً نحَو الأمِلِ وركعاَ

وتلثمَ حتى مبسَم الغيثِفي الثريَ   بدورُ   لآِثر الركائبَ مطلـعاَ

وجعل الشاعر الأغصان مثل الإنسان في صفاته وحركاته وسكناته في السجود والركوع وكل هذا تعبيراً عن الفرح برجوع الأمام الجليل المكرم لدي كل الناس ابن حجله وكذلك جعل الأشجار تتلثم من التبسم والغبطة والسرور بقدومه إليها خوفاً من أن يوي أثر حركة أقدامه عليها وهذا كله إنما يدل علي عظمة مكانته ورفعة الأمام الجليل والشاعر والعالم الموقر ابن حجله.

القصيدة العاشرة

وقال في جلال الدين القزويني :

أستهل الشاعر قصيدته بالنسيب وأدخل فيها العبارات الرمزية التي تدل علي الحرب والثغور وشبه سيلان الدمع من مقلتيه بالدم تعبيراً علي فراق محبوبته وشده شوقه إليها وعبر عن ذلك في قصيد طويلة عدد أبياتها ثمانية عشر بيتاً من الشعر سنذكر منها بعض الأبيات وقال في مطلعها(١):-

يا بروقاً علي ربي بيـرين أي بيض بيـن بيـن جفـوني
نحرت نصلك الكري فلهـذا سال من مقلتي دم من شجـوني
وحكت رونق الثغور إلي أن ضحكت بالبكا ثغور العـيون

وأستمر الشاعر علي هذا النهج من النسيب إلي أن تخلص مادحاً العالم والكاتب القدير جلال الدين القزويني(٢) في قصيدة طويلة سنذكر منها عدة أبيات وذلك في قوله:-

بحر فقه وأن نشأ فأبن بحر في ضروب البيان والتبين
وخطيب يكفي الخطوب بلفظ يستميل الصخور بالتليين
ساجع بورق المنابر ميساً فتلذ الأسجاع فوق الغصون

بدأ الشاعر وصف ممدوحه وخاطبه بأنه بحر بكل معانيه ولكن بحر في ماذا ؟؟ بحر في الفقه والعلم وهو نشأ وتربي وترعرع علي هذا العلم والنبوغ والتطلع وأتي بصفة بحر وقال أنه أبن بحر في شئ أخر هو أنواع وضروب البيان والبلاغة الواضحة فهي علم وأسع في مختلف ضروب اللغة العربية ففي المرة الأولي شبه ببحر الفقه كاهلاً ولكن في البيان أقل منها فهو ابن لها أي مأخذ جزء منها وهذا تلاعب بالألفاظ عند الشاعر.

وما زال الشاعر يعدد بصفات صديقه العالم والفقيه وقال أنه خطيب في المساجد وبليغ في خطبه وألفاظه مقنعة وفصيحة لمستمعية وفي أسلوب جزل وعبارات رصينة تفتح وتلين الصخور وتحركها وهذا يدل علي تميزه بالباقة والفصاحة في الأسلوب وسبل الإقناع.

---

(١) الديوان ص (٤٩٥-٤٩٧) .

(٢) جلال الدين القزويني: هو محمد بن عبد الرحمن بن عمر ويلقب بجلال الدين. ولد سنة ٦٦٦م من بلا قزوين ناب في الحكم عن القاضي نجم الدين قاضي قضاة دمشق عصر سلاطين المماليك محمود رزق سليم جـ ٢ ص ٩٩ - ١٠٠.

وأيضاً قال عنه ساجع وشبه بالحمام الذي يسجع وتعدد ويغني في الصفوف ولجمال صوته ووضوح ألفاظ وأسلوبه الرصين المنظوم الرقيق الذي يخلب العقول وتلذ ويتمتع المستمعين حين سماع ألفاظ وشبه كما قلنا بالحمامة التي تغني وتغرد في الغصون وحولها الطيور وكأنما هو يتمايل وينتقل بين الغصون وتمتع معه الطيور بهذا السجع الجميل.

وقال فيه:-

وأمام المحراب يشهد علـم حازه أنه إمـام الفنون[١]

وسري ضاهى الهلال ارتفاعاً وضياء بعزمه المستبين

وما زال شاعراً يعدد من صفات ممدوحة ووصف بأنه أمام المحراب لا منافس له وذلك لغزارة علمه منصوراً للفتوى مشتغلاً بشئون كثيرة وفنون مختلفة وكذلك مؤلفات عديدة لذلك أطلق عليه أمام الفنون لكثرة علمه وتنوعه عنده.

وقال عنه سري وسار في العلم والرقي والتطور حتى نافس الهلال في ارتفاعه وعلوه وكذلك ضياءه نافسه بالعزم القوى والثبات علي بلوغ المقاصد وتحقيق أحلامه في الوصول للمكانة السامية الرفيعة بالعلم والتطلع لبلوغ مقاصده ومختلف العلوم الدينية واللغة.

وقال فيه:-

إن نظم المديح فرض علينا كل يوم لعزمه المسنون

شبه الناس جوده بالغوادي كاشتباه الهلال بالعرجون

هكذا يفخر المحاول فخرا ليس حسن الوجوه كالتحسين

وما زال الشاعر يمدح جلال الدين العالم الفقيه وقال أن نظم المديح فيه بعد فرضنا عليه وذلك لكثرة مأثره وعلمه الغزير ونبوغه في كل الفنون وأن المديح كل يوم وذلك لعزمه الذي صار كالسنة المسنونة لكل الناس وهذا أن دل إنما يدل علي عظمة مكانة الممدوح لدي الشاعر وحبه له وكذلك علو شأنه وأذاع صيطه بين الناس ومن هم حوله ومن بعده عنهم.

---

(١) الديوان ص (٤٩٥-٤٩٧) .

ثم أنتقل الشاعر لصفة أخلاقه لدي ممدوحه وهي اتصافه بالجود والكرم الفياض بحالة الهلال وهو في آخر أيامه وصار صغيراً مثل البلح الصغيرة في نهايته ولكن حلو المذاق ودائماً الناس في حالة شوق له ويتمنون أن لا يفارقهم.

ويعقب هذه الأبيات بمثل وحكمة ويقول لمن يفخر ويباهي للحكم علي حسن طلعته ومظهره بأنه ليس كافيا للحكم علي حسن الإنسان وإنما الحسن والشكر يكون بالفعل والعمل والفضيلة أي كامن في الدواخل وليس الحكم بالمظهر كافياً للدالة علي الجمال أو الحسن فهذا هو الحال لدي الممدوح فأنه حسن بأفعاله وأقواله وهي يائنة في خطبه وألفاظه الرصينة المنظومة كالدرر.

وقال فيه:-

شرف في تواضع واحتمال	في اقتدار وهيبة في سكون [1]
لجأ الفضل من علاه لطود	مشخمر سامي المنال ركين

وأستمر الشاعر يمدح في ممدوحة ووصفه بالتواضع والشرف الرفيع والحلم علي المكاره ورغم أنه قادر علي التصرف بكل قواه ولكن لطيب أخلاقه وحلمه وقوة صبره وجلده علي تحمل الأذى وكذلك فأنه ممدوحة يمتاز بالهيبة والعظمة وطبعه هادئ ساكن.

وذكر شاعرنا جلال الدين بأنه صاحب فضل وكريم في خصائله عالي المكانة لعلمه وتواضعه ارتفع حتى نافس طود السماء بكل شموخ وعظمة وهو ما زال منا له سامي وثابت لا يتحول ولا يتراجع عن مكانته وهي العلو والرفعة اللتان لازمته في كل حياته وسبلها دون منافس في كل شئ.

---

(١) ديوان ابن نباته المصري ص (٤٩٥) .

الخلاصة :

امتازت قصائد الإخوانيات في هذا الجانب بمدح القضاة والعلماء وسائر إخوانه من الشعراء والكتاب والموقعين واستهلها كعادته بالنسيب تخلص مادحا ممدوحه وذكر صفاته من كرم وشجاعة وإنما تعمدها ليستثير حماسة العطاء ونلاحظ أن عاطفته لم تكن صادقة في كل إخوانياته ولا يعني ذلك أن العاطفة معدومة تماما بل كانت قوية في قليل منها معتدلة في بعضها الآخر ومضى عمره بمدح ولكنه ليس براض عن هذه الحال.

الفصل الثا لث
المبحث الأول
الخصائص الفنية لشعرالمديح عند ابن نباته المصري

مفهوم الصورة الفنية :

تستعمل الصورة الفنية بمعني النوع والصفة والشكل أي أن للصورة في اللغة ثلاث دلالات الشكل والنوع والصفة ومن شواهد ذلك في القرآن الكريم قوله تعالي: (هو الله الخالق البارئ المصور).[١]

ومما سبق نفهم أن الصورة قد تطلق علي الشيء المشابه لغيره وأن تلك الصورة قد تكون رسماً بالأصباغ أو تشكيلاً وتجسيما بالأحجار أو الأخشاب أو العاج ونحوها[٢] .

وفي الشعر العربي القديم تقرأ لزهير بن أبي سلمي قوله :

لسان الفتي نصف ونصف فؤاده   فلم يبق إلا صورة اللحم والدم

حيث جعل الصورة تدل علي الشكل المجرد عن القمة وفي بيت زهير توضح الصورة عن العرض الذي لا قيمة له دون الجوهر.

وأيضاً تدل معاني الصورة علي الشكل والهيئة والصفة المحسوسة التي يكون عليها الشيء وغيره[٣] .

ويقول الجاحظ في مفهوم معني الصورة: (المعاني مطروحة في الطريق يعرفها العجمي والعربي والبدوي والقروي وإنما الشأن في إقامة الوزن وتخير اللفظ وضرب من النسخ وجنس من التصوير).

وبناء علي ذلك فإن المعني لا يرجع إلي فضل قائله وفضل الكلام ليس من فضل معناه وإنما التفضيل يرجع إلي صياغة الكلام وتشكيله والتصرف في ألفاظه وتراكيبه التعبير هو الذي يظهر براعة قائلة لأن الشعر نوع من التصوير[٤] .

---

(١) سورة الحشر الآية (٢٣)

(٢) القاموس المحيط جـ(٥) تأليف د. إبراهيم أنس د. عبد الحليم منتصر ص ١٤.

(٣) الصورة الفنية: عبد الرحمن غنيم ص (٥-١٠) .

(٤) البيان والتبيين للجاحظ ج (١) ص (٦٥-٦٨-٦٩) ص(٦٥-٦٩)

إن الصورة الفنية سمة بارزة من سمات العمل الأدبي وإحدى المكونات الأصلية لبناء العقيدة ولا يخلو عمل شعري من التصوير وقد اتسع مفهوم الصورة ليحوي ما هو أبعد من الوسائل البلاغية المعروفة فكان في كل تعبير أدبي تصوير فني ينبعث من مقدرة الشاعر علي تركيب عباراته وتنسيق كلماته وعلي قدرته في استنباط الإيحاء الفني الكامل من باطن الألفاظ وفي علاقاتها بعضها مع البعض فيكون التعبير جمالاً فنياً[١].

وتعرف الصورة أيضاً بأنها (القوة السحرية المؤلفة التي تطلق روح الإنسان جميعها إلي النشاط الحي وجوهرها توازن الصفات المتنافرة إشاعة الانسجام بينها ففيها تنسيق فائق للعادة وعمادها الترتيب اللفظي للكلمات حتى تزكي العواطف وتأثر في المشاعر وتخلق عاطفة تعلو علي العواطف التي تثيرها إيقاعات الأبيات..... يتركز نشاطها في إدخال الحيوية المؤثرة علي الجملة التقديرية المسطحة وهي دائماً بطريق مباشر كي لا يكون حسياً جسمانياً)[٢].

ولعل أقرب التعريفات الفنية للصورة ما ذهب إلي أن (الشكل الفني الذي تتخذه الألفاظ والعبارات بعد أن ينظمها الشاعر في سياق بيان خاص ليعبر عن جانب من جوانب التجربة الشعرية الكاملة في القصيدة مستخدماً طاقات اللغة وإمكانياتها في الدلالة والتركيب والإيقاع والحقيقة والمجاز والترادف والتضاد والمقابلة والتجانس وغيرها من وسائل التعبير الفني... والألفاظ والعبارات هي مادة الشاعر الأولي التي يصوغ منها الشكل الفني أو يرسم بها الصورة الشعرية ولذلك يتصل الحديث عن الصورة الشعرية ببناء العبارة وببعض ما عرف من المعجم الشعري وإذا تناولت دراسة الصوره دراسة متكاملة غير مفردة.

---

(١) الصورة الفنية في شعر خزاعه تأليف علي إبراهيم أبو زيد ص (٢٤ – ٢٦).

(٢) الاتجاه الوجداني في الشعر المعاصر تأليف د. عبد القادر محمد ،ط الأولي بتاريخ ١٩٧٨ ص (٤٣٥)

المطلب الأول
الأسلوب

اختلفت الآراء في فهم معني الأسلوب وأن هذا يعني وجود عدة معان للأسلوب فهي معان مرتبة قبل أن تكون ألفاظاً منسقة وأيضاً يتكون قبل أن ينطق به اللسان أو يجري به القلم فهذا الوجه الأول[١].

أما الوجه الثاني: إن كلمة الأسلوب صارت هذه الأيام حقاً مشتركاً بين البيئات المختلفة يستعملها العلماء ليدلوا علي منهج من مناهج البحث العلمي ويستعملها الأدباء في الفن الأدبي قصصاً أو جدلاً أو تقريراً للدالة على منطق اللفظ سهلاً أو معقداً وفي إيراد الأفكار منطقيا وكذلك الموسيقيون يتخذونها دليلاً علي طرق التلحين وتأليف الأنغام للتعبير عما يحسون ومثلهم الرسامون وغيرهم من ألوان والفنانين وهكذا حتى أصبحت هذه الكلمة (الأسلوب) تكاد ترادف كلمة الشخصية في المعني.

فما هو الأسلوب ؟

فإن الإجابة علي ذلك ما جاء في لسان العرب ويقال للسطر من النخيل أسلوب وكل طريق ممتد فهو أسلوب والأسلوب: هو الطريق والوجه والمذهب.

ويقال أنتم في أسلوب سوء ويجمع علي أساليب والأسلوب الفن ويقال أخذ فلان أساليب من القول (أي أفانين منه).

وإذا جمعنا كل هذه المعاني نستخلص أن الأسلوب معني أوسع إذ تجاوز العنصر اللفظي فيشمل الفن الأدبي الذي يتخذه الأديب وسيلة للاقناع أو التأثير.

أما صياغة الأسلوب الجميل فهي فن يعتمد علي الطبع والممارسة بالكلام البليغ وتكون من الجمل والعبارات والصور البيانية.

وإذا رجعنا إلي تعريف الأسلوب من ناحية أدبية منذ القدم و إلي يومنا هذا فهو طريقة الكتابة أو طريقة الإنشاء أو طريقة اختيار الألفاظ وتأليفها للتعبير بها عن المعاني لقصد الإيضاح والتأثير والقرب من النظم وطرقه.

---

(١) الأسلوب تأليف أحمد الشايب ص (٤٠-٥٣) .

والمراد من الأسلوب في سائر الفنون فهو تفكير وتصوير وتعبير.

عناصر الأسلوب من ناحية أدبية أو كل قسم خواصه المترتبة علي ما فيه من أفكار وانفعالات داخليه وإذا وضعنا الجانب اللفظي فإن العناصر هي:

الكلمة الجملة والصور تتكون الصورة من التشبيه والاستعارة والكناية... الخ والنقد والعبارة ولكل منها خصائصه التي بها عن غيره[١].

أنواع الأساليب :

١/ الأسلوب العلمي :

وقوامه الحقائق والمعلومات والتجارب ونتيجة لذلك نجد الكاتب يعرض عرضاً منظماً متماسكاً تتدرج فيه الأفكار من الأسباب والنتائج وتتصل الأشباه والنظائر وتسير المعاني كالركب في صفوف منظمة ومجموعات مؤتلفة وعلي قدر وضوح الأفكار يكون وضوح الأسلوب.

٢/ الأسلوب الأدبي :

في هذا الأسلوب يكون للحقائق والمعاني شأن ترجح فيه جانب العاطفة والوجدان ولكن يظل جانب الوجدان موضع عناية وأن الأسراف في تغلب جانب الحقائق وإرهاف العبارات يبعد الأدب عن الناحية الأدبية الرفيعة وإن كان الرفيع لا يخلو من الحقائق والأفكار[٢].

والملاحظ أن هذه الظاهره بدأت في المطارحات والمراسلات الإخوانية والمعارضات والمساءلات والمناقضات والسرقات والتوشيحات والمقطوعات الوصفية والغزل والمجون وغيرها أكثر مما بدأت في سواها.

وقد توخي شعراء مصر في تلك الحقبة التي تؤرخ شعرهم السهولة في أكثر الالفاظ السهلة العذبة الرقيقة والأساليب المستساغة واختاروا في تاريخهم الشعر السهل في الفاظه والتراكيب السمحة وابتعدوا عن الألفاظ الغربية والجمل والعبارات القوية التي تجذب السمع بحلاوته ورنينه وصلابة حروفها مما يتسم بالجزالة الصوتية

---

(١) الأسلوب تأليف أحمد الشايب ص (٤٠-٥٣) .

(٢) الأصول الفنية في الأدب عبد الحميد حسن ص (٢٠٥-٢٠٩) .

قبل أن يؤدي معني من المعاني ويتصف بالفحولة قبل أن يعبر عن فكرة من الأفكار.

ورغم القيود والقواعد الفنية والدعائم الأسلوبية في أساليب كتاب وشعراء هذا العصر وهي السهولة والوضوح البيئة علي عباراتهم وبدأت أساليبهم سهلة اللفظ واضحة التراكيب بارزة المعاني ساخرة الفكرة مما يدل علي ذوق سمع ونظرة مؤاتية وخاطر لطيف ونفس مطبوعة علي الأدب وأن هذه الصيغة الغالية علي كتاباتهم سواء كانت النثرية أو الشعرية وهي سمة السهولة والوضوح[1].

ومن أمثلة ذلك قول ابن نباته في مدح الملك إسماعيل المؤيد صاحب حماه في قصيدة قالها فيه وهي :

ملك باهر المكارم يــروي   وجه لقياه عن عطاء وبشر[2]

زرت أبوابه فقرب شخص   ومحاعسرتي ونوه ذكـري

وضح الشاعر في هذه الأبيات أن هذا الملك مكارمه كثيرة ونفيسة ومبذولة بغير تكلف ومبالغة فهي باهرة ولقاؤه يؤذن بالعطاء والبشر والكرم.

براعة الاستهلال في النظم :

من شروط براعة الاستهلال أن يكون مطلع القصيدة دالاً علي ما بنيت عليه مشعراً بغرض الناظم من غير تصريح بل اشارة لطيفة تؤثر حلاوتها في الذوق السليم ويستدل بها علي القصيدة من عتب أو عذر أو مدح أو هجاء فإذا اجمع الناظم بين حسن الابتداء وبراعة الإستهلال كان من فرسان هذا الميدان.

وسمي هذا ببراعة الاستهلال لأن المتكلم يفهم غرضه من كلامه عند ابتداء رفع صوته به ورفع الصوت في اللغة هو الإستهلال ويقال استهل المولود صارخاً إذا رفع صوته عند الولادة وكذلك عند الحجيج إذا رفعوا أصواتهم بالتلبية ومثل الهلال وسمي هلالاً لأن الناس يرفعون أصواتهم عند رؤيته[3].

---

(١) عصر سلاطين المماليك جـ(٧) تأليف محمود سليم رزق ص (٣٠ –٣٥).

(٢) خزانة الأدب لابن حجه الحمويص (٤٢٧) .

(٣) خزانة الأدب وغاية الأرب المؤلف : الحمودي (٣٠-٣٥)

وممن ساروا على نهج الإستهلال في براعة ابن نباته المصري في قصيدته التي رثا فيها الملك المؤيد مدح فيها ابنه الملك الأفضل فإنها من عجائب الدهر حيث جمع فيها بين نقيضين هما المدح والرثاء في كل بيت وبراعته في قوله:

هناء محــاذاك العــزاء المقدما
فما عبس المحــزون حتى تبســما
ثغور ابتسام في ثغــور مدامــع
شبيهان لا يمتاز ذو الســبق منـهما
يرد مجاري الدمع والبشــر واضح
كوابل غيث في ضحي الشمس قد همي

المطلب الثاني
حسن الابتداء

ومن أجزاء الأسلوب حسن الابتداء :

(وقول ابن حجة في هذا الباب مشهور والذي أقوله: إن الشيخ جمال الدين ابن نباته نبات هذا البستان وقلادة العقيان ومن مطالعة التي أبهج من مطالع الشمس قوله في هذا الباب). [١]

في الريق سكر وفي الأصداغ تجعيد
هذا المدام وهاتيك العناقيد

حيث تحدث فيه الشاعر عن ممدوحه الملك المؤيد وقد أبدع ووصف حديث وتشبيه له بالسكر والمدام وعناقيد العنق ولقد جمع كل صفات الحلاوة في الطعم.

ثم نلاحظ حسن بدايته وذلك في قول آخر:

سلبت عقلي بأحداق وأقداح يا ساجي الطرف بل يا ساقي الراح

وقوله أيضاً في مدح المؤيد :

إنسان عيني تعجل السهاد بلي عمري لقد خلق الإنسان من عجل

وقوله أيضاً في مدحه :

قام يرنو بمقلة كحلاء علمتني الجنون بالسوداء

وتظهر لنا براعة الشاعر وحسن بدايته في قصيدته الرائية التي مدح فيها الرسول (صلي الله عليه وسلم) ويظهر سلوك الأدب في قول النسيب وهي قوله[٢]:

وذكر قوله بعده:

وذكر جبين المالكية إذا بدأ هلال الدجي والشيء بالشيء يذكر
سقي الله اكناف القضا سائل الحيا وأن كنت اسقي مهاً تتحدر

في البيت الأول أحياناً ذكرت في بعض الكتب البابلية وكذلك ذكرت في ديوان الشاعر وتوصي للقارئ بآية أو أكثر من آيات القرآن الكريم.

---

(٢)ياقوت الحموي: خزانة الأدب وغاية الأرب ج١ ص(٢٧) (٣٧)

(٢) الديوان : ابن نباته ص (١٥٢) ص(١-٣)

المطلب الثالث
السهولة والوضوح

رغم القيود والقواعد الفنية والدعائم الأسلوبية في أساليب كتاب هذا العصر نري خصوصية بارزة للعيان يشهد بها الذوق السليم وهي السهولة والوضوح الباديان علي عباراتهم وبدأت أساليبهم سهلة اللفظ واضحة التركيب بارزة المعاني ساخرة الفكرة مما يدل علي ذوق سمح ونظرة مواتية وخاطر لطيف ونفس مطبوعة علي الأدب وأن هذه الصيغة الغالية علي كتاباتهم هي السهولة والوضوح ولقد ساعد علي ذلك عدة عوامل تتمثل في سهولة البنية ووضوح أجزائها وقلة تعقيد تضاريسها وجوها بالإضافة إلي لون الثقافة التي تقفوا بها كانت بعيدة عن الغوص وراء المغيبات[١] .

ومما عاونهم علي بلوغ غايتهم في السهولة والوضوح أن ألوانهم البديعية صرفها أكثر مما صرفها في خدمة المعاني وإيضاحها ومداعية الأزمان بها بالإضافة إلي ذلك عدم إكثارهم من التقديم والتأخير إلا بمقدار يسير علي طاقة ما تساق سجعه أو يتسق مع الجناس ولم يغرموا بالكنايات ولا سيما الغريب البعيد منها.

وفي ميدان السهولة والوضوح درجات وطبقات فمثلاً تري الشهاب الحلبي وابن عبد الظاهر وابن فضل الله وابن نباته شاعرنا الجليل أجزل عبارة وأجمل تراكيب وألطف ألفاظاً علي الرغم من دقتها وقوتها ومن أمثالهم ابن حجه والصفدي وغيرهم.

ولم تصل سهولة الشعر المملوكي إلي مستوي سهولة بعض الشعر في جيلنا الحاضر فقد كانت سهولة مقبولة في جملتها وتعد وسيلة إلي تأدية المعاني جليلة يستطيع الطالب استيعابها بيسر وسرعة.

وهذا الأسلوب هو أسلوب النثر الفني والنصيب الأوفى فيه يكون للخيال ولجمال البصاره ورونقها وقوتها وما يتطلبه من حسن الإبانة من تشبيه وتمثيل ومجاز [٢].

---

(١) عصر المماليك ج٦ تأليف محمود سليم رزق (٣٢٤-٣٢٥)-(٣٨٢)

(٢) الأصول الفنية والأدبية :تأليف عبدالحميد حسن محمود رزق سليم ص ١١٢

المطلب الرابع
الأسلوب الشعري

ويكون جانب العاطفة فيه بارزاً ومتغلباً وهدف الأديب فيه هو أن يملك زمام الوجدان ويثير ألواناً من العواطف ويوقظ في نفس القارئ مثل ما في نفسه من مشاعر وخواطر وعماده في ذلك هو الحس المرهف ورائده هو ميوله ومقدرته في توجيه النفس.

أما تعريف الأسلوب في مصطلحات البلاغة والنقد فقد وردت للأسلوب عدة تعريفات منها ما قاله عبد القاهر الجرجاني (أنه الضرب من النظم والطريقة فيه) أي أن هنالك ضروباً وطرقاً لنظم الجملة في الأدب وكل ضرب يطلق عليه أسلوب وهذا مفهوم واسع يحوي دلالات عديدة فيمكن أن نسمي طريقة الكاتب أو الشاعر في تقديم الألفاظ وتأخيرها أسلوباً كذا في التأكيد أو عدمه وما يتعلق باختيار الألفاظ وتنسيق الجمل ومراعاة الأوزان وأضافه المحسنات[١].

وإذا تمعنا في الألفاظ وتركيبها فإننا نجدها تتكون من الوحدات التي تتركب منها العبارات عندما يضم بعضها إلي بعض والأدباء عناية باختيار الألفاظ في كلامهم المنثور والمنظوم وتؤثر اللفظة الواحدة في الكلام بعامه من جهة وموافقتها لقواعد كلام العرب ولغتها ومن وجهة دلالتها علي المراد ومستوي أدبيتها وطولها وقصرها وجزالتها ورقتها وألفتها وغرابتها وإيحاءاتها ونحو ذلك[٢].

ويمتاز بطيب اللقاء والفرح ليس في نفسه زيف ونلاحظ في لفظي (عطاء وبشر) حينما قالها في ممدوحه كأنه من رجال الحديث فمهد لذلك بكلمة روى وفي كل ذلك مع وضوح المعاني وكثرتها وإجازة التعبير عنها لإشارات فكرية ومعاني أخرى[٣].

---

(١) الصورة الفنية في الشعر العربي تأليف/ إبراهيم عبد الرحمن الغنيم ص (١٨٧-١٨٩) .

(٢) عصر سلاطين المماليك ج(٧) ص ٣٨٢ - ٤١١.

(٣) خزانة الأدب بن حجه الحموي ص (٤٢٧).

المطلب الخامس
العاطفة عند الشاعر

أما الحديث عن عاطفة الشاعر فإن ابن نباته نهج الأقدمين في الحديث عن الديار والأطلال والذوق والنسائم والصبابات وغيرها إلا أنه كان يخرج عن التقليد الشعري القديم حينما وأتضح ذلك عندما يتحدث عن حياته ومشيبه ويتضمن بذكره ويتفنن بذكر الكميت كأنه يخب عليها ومن يقرأ خمرياته يظن أن روح أبي نواس قد حلت بها وهو بالنسبة إليه يفر منها ويعف عنها وعن النساء والفساد بحكم مشيخته كرجل من رجال الدين الذين ينظر إليهم نظرة ملؤها التقدير والاجلال(١).

وقد ورد ذكر النسيب والغزل في معظم قصائده حتى المدائح النبوية لم يخلُ منها النسيب ومنه تخلص مادحاً الرسول صلي الله عليه وسلم ومثل ذلك قوله في مدح الرسول عليه أفضل الصلاة والتسليم(٢):-

يا دار جيرتنا بسفح الأجرع ذكرتك أفواه الغيوث الهمع
وكستك أنواء الربيع مطارقاً موشية بسنا البروق اللمع

وذكر في وصف حي لديار المحبوبة استهل الشاعر بها إحدى نبوياته وتحدث عن هذه الأنواء التي وشيت بلمعان البروق وقد صور فيها صورة جميلة معبرة عن الديار لتي كانت مرتعاً أواني صباه وكذلك الحال في بقية قصائده للمدائح النبوية الخمس بدأ مطلعها بالنسيب وكذلك المدائح المؤيدية فإنه استهلها بالنسيب والتغزل بالمحبوبة وديارها وفي بعض قصائده مزج بين الاثنين النسيب والخمر وكذلك الحال في المدائح الإخوانية فأنه ابتدأها بالنسيب وللشاعر نوع آخر من العاطفة يتمثل في عاطفته وحنينه لموطن أهله وأحبابه ويتمني دوما أن يعود إليه وقد أطال الشاعر حديثه عن مصر وتمني لو روي بسام البروق الذي لاح من آفاق حديث جودة فجري نيل مدامعه لذكر المقياس والنيل ويتضح ذلك في قوله:

ابرق له بالشام نيل مدامع بحرية ذكر منازل المقياس
سقيا لمصر منازلاً معمورة بنجوم آفق أو ظباء كناس
وفدي لها من بلده كم نثره فيها لا سراب الدموع أقاسي

---

(١) ابن نباته المصري تأليف موسي باشا ص (٢٦٣-٢٦٥) .

(٢) الديوان ص (٢٩٠) .

نلاحظ لوعة الشاعر وشوقه إلي وطنه وقد شابت لمته وهو بعيد ويتمني لو حمل إليه وأن لم يكن له ذلك فلا أمل من أن يرده هذا البرق المصري حديث شوقه لمنازله المعمورة وذلك في قوله[١]:-

وطني له سهري وشابت لمتي ونعم علي عيني هواه ورأسي

ومن المقطوعات الغزلية في شعره نجدها في ديوانه ما يزيد علي ثلثه وتضم المثاني والثلاثيات والرباعيات والخماسيات والسداسيات وغيرها وقد أعجب الأقدمون بها حتى قال ابن حجة: (إنه في المقطوعات أجود منه من القصائد).

أما موضوعها فيشمل تقريباً كل مواضيع الشعر ومعانيه التي طرقها الشاعر وللغزل منها أقر نصيب وهي تقوم علي الأخذ بالمذهب الرمزي النباتي. وتضمين بعض أبياتها شطراً من شعر الآخرين أو أقوالهم المأثورة منها قوله:-

لا غرو إن جئت النسيب بمدحه من غير ما غزل وغير نسيب [٢]
هزت رؤوس السامعين بوصفه طرباً فلم تحتج إلي لشبيب

ويضاف إلي هذه المقطوعات مقطوعات أخرى تميز بها شاعرنا فهي تدور حول الفكاهة والتهاني في الأعياد والأعراس أو ذكر المأكل أو ايراد بعض الألغاز وغيرها من الأغراض والمناسبات.

(١) ابن نباته المصري عمر موسي باشا ص (٢٧٣-٢٧٤) .

(٢) الديوان ص (٥٦)

المطلب السادس
علم البيان (التشبيه)

علم البيان هو: علم يعرف به إيراد المعني بطرق مختلفة في وضوح للدالة علي معني التشبيه.

أولاً: في اللغة :

إن التشبيه في اللغة هو المثل ويجمع علي أشباه وشابهه وأشبهه: ماثله وشبهه إياه وبه تشبيهاً مثله (التشبيه: للدالة علي مشاركة أمر الأخر في معني)[1].

وعند علماء البيان: هو إلحاق أمر بأمر في معني اداة ففي قول الشاعر: جمال الدين بن نباته.

أغراض التشبيه :

من الأغراض الأصلية في التشبيه البيان والإيضاح فإنه يخرج المبهم إلي الواضح والملتبس إلي المبين ويكون كل منهما صله الظهور ويعد الخفاء والأصل في حسن التشبيه أن يمثل الغائب الخفي الذي لا يعتاد بالظاهر المحسوس المعتاد[2].

التشبيه المقلوب :

الأصل في التشبيه أن يشبه الشيء بما هو ابين منه وأوضح أو بما هو أحسن أو أقبح وكذلك يشبه الأقل بالأكثر والأدنى بالأعلى ولكن الأدباء قد يجنح بهم الخيال فيعمدون إلي مبالغة أقوى فيجعلون المشبه مشبهاً به مدعين أنه أتم وأقوى في الوجه حتى صار أصلاً تقاس عليه ويشبه به وهذا موضع من علم البيان حسن الموقع لطيف المأخذ والفائدة فيه عائدة إلي المشبه به الذي كان بحسب الوضع الطبيعي مشبهاً.

التشبيه ودوره في تشكيل الصورة الفنية في شعر ابن نباته المصري :

---

(١) أسرار البيان: علي محمد حسن ص (٢٣-٤٤) .

(٢) دلائل الأعجاز في علم المعاني تأليف عبد القاهر الجرجاني ص (٣٣٩) .

تعلق أدباء عصر المماليك بالتشبيه وكان يمثل دعامة من أهم دعائم الخيال عندهم ولانكاد نستثني منهم أحداً فهم في ذلك سواء وإن أدباء العصر والكتاب ينهجون نهج القاضي الفاضل ويصعب التميز بينهم إلا بخصائص فردية(١).

إن التشبيه كان إحدى دعائم الأسلوب الفاضلي ولتفعيل لذاته وإنما لزيادة إيضاح المعني إيجازاً دون عقد التشبيه يصعب تفصيله في التشبيهات في شعر ابن نباته المصري الذي يشكل أكثرها في شعره وهو بالتشبيه المرسل المجمل والمرسل المفصل وسنوضح كل منهما علي حدا نبدأ أولاً التشبيه المرسل المجمل: وهو ما ذكرت فيه أداة التشبيه وحذف فيه وجه الشبه علي صورة من الصورتين وهو علي ضربان :

١/ يأتي ظاهر جلي ويستوي في إدراك وجهة العامه والخاصة.

٢/ وقد يكون خفيفاً في حد ذاته ولا يتوفر لكل إنسان إدراكه بل لا ينعطف إليه إلا الألباب.

ومثل ذلك قول الشاعر:

من معيني علي رشا صرن من ماء دموعي عليه مثل الرشاء(٢)

التشبيه في قوله (دموعي عليه عمل الرشاء حيث شبه دموعه عليه مثل الرشاء الصغير الضعيف الذي فقد أمه وقارن بين الحالتين حالته وهو شديد الحزن وآلم وبكاء وحالته وقد فارق محبوبته وحالة الغزل الصغير الضعيف الذي لا يقدر. وبعض وشابه جمع بين حالتين الغزال الضعيف الذي بعد وفارق ابنه ولا يستطيع أن يصل إليه.

(١)أسرار البيان تأليف/ علي محمد حسن العماري الطبعة الأول (١٣٨٥هـ-١٩٦٥م) ص (٩٥-١٠٠)

(٢)الديوان ص (١٤) .

تشبيه مرسل مفصل :

هو ما ذكرت فيه إداة التشبيه ووجه الشبه منصوباً علي التميز أو مجرور يعني ومن أمثلة ذلك قول ابن نباته المصري:- [1]

يتثني كقامة الغصن اللدن   ويعطو [2]كالظبية الأدماء

شبه الشاعر ممدوحه في تمايله وحركة مشيه مثل الظبية الحمراء اللون وهذا وجه الشبه والأداة مذكورة وهي الكاف وهذا نوع من المدح في صورة غزل.

ثم نذكر نوعاً آخر من التشبيه وهو (التشبيه المؤكد) هو ما حذفت منه اداة التشبيه وذلك لقول شاعرنا:-

ما يمسك الهدب دمعي حين اذكرهم   إلا كما يمسك الماء الغرابيل

شبه عيونه بالغربال الذي لا يمسك الماء حين يصيب قلبه وجعل عيونه وهي المشبه مثل هذا الغربال وأن دموعه تنزل ويتصبب منها الدمع مثل هذا الماء لا يثبت علي الغربال.

التشبيه البليغ :

هو التشبيه البعيد الغريب وقد شاع أن التشبيه المحذوف الأداة ووجه الشبة هو التشبيه البليغ ونلاحظ أنه ليس بكثير في شعرا بن نباته المصري وذلك مثل قوله: جائر الحكم قلبه لي صخر   وبكائي له بكي الخنساء

تشبيه التمثيل :

وهو الذي يكون وجه الشبه فيه مركباً سواء كان حسياً أو عقلياً ومن هنا يتضح أن التشبيه أعم وأشمل والتمثيل أحض فكل تمثيل تشبيه وليس كل تشبيه تمثيل.

ومن أمثلة ذلك قول شاعرنا:

له احاديث تغني كل مجدبة   عن الحياء تجلي كل أحلاك

ما بين خيط الدجي والفجر واضحةً   كأنها من بين أسلاك [3]

شبه صورة أحاديثه وهي تخرج قوية فصيحة تحل كل معضلة في وقت م بين الليل والفجر في صورة الدر المنظومة الجميلة من بين الأسلاك.

---

(١)الديوان ص ٤

(٢) يعطو: يميل ويجري – المنجد فى اللغة العربية ص ٤٥

(٣)الديوان ص٣٦

المطلب السابع
الاستعارة

الاستعارة ودورها في شعر ابن نباته المصري :

ومن أمثلة الاستعارة في قول الشاعر[1]:

١/ أحبابنا كل عضو في محبتكم كليم ومجد فعل لوصل ميقات

استعار صفة أحكام للعضو من شدة المحبة وهي القرينة تشبهاً بالإنسان وأتي بشيء من لوازمه وهي صفة التكلم علي سبيل (الاستعارة المكنية).

وفي قوله :

٢/ وجاوزت يد ذاك البحر فابتسمت هنالك الكلمات الجوهريات

استعار لفظ البحر للممدوح وذكره لكثرة كرمه وعطائه والقرينة جهل البحر يبتسم وأتي بالمشبه به وهو البحر والمشبه الممدوح علي سبيل (الاستعارة التصريحية).

وفي قوله:-

٣/ كأن دمعي هواك لحيناً فاحالته نار قلبي نضاراً

استعار النار للقلب وليس للقلب نار والقرينة إثبات النار للقلب والمستعار له الممدوح وإثبات النضار والنار له والقرينة جعل للقلب ناراً ونضاراً علي سبيل (الاستعارة المكنية).

قال الشاعر :

٤/ ملكوا رأية البيان وجعلوا عنق الدهر بالكلام الثمين

استعار إثبات الرايه للعلم وهو يقصد تشبيه علم ممدوحه وشعره وبلاغته بأنها وأضحة قلبه لكل إنسان والقرينة امتلاك البيان الرايه والمستعار له العلم والبلاغة وذلك علي سبيل (الاستعارة المكنية)[2].

وتوجد استعارة أخرى في عجز البيت حيث شبه كلامه بالدر الثمين النفيس الغالي وأيضاً علي سبيل (الاستعارة المكنية).

---

(١) ديوان ابن نباته المصري ص (٧٦) و(أخوانيات).

(٢) الديوان ص ٦٩ ١٩٨ ٤٩٦ المدائح المؤيدية

المطلب الثامن
علم البيان

صور الكناية في شعر ابن نباته :

أولاً: تعريف الكناية :

في اللغة: يقال كنيت عن كذا اتكني إذا تركت التصريح به وتكملت بما يستدل به عليه ويقال أيضاً كنوت تكنو[١].

وفي الاصطلاح :لفظ أطلق وأريد به لازم معناه مع قرينه مانعه من إرادة اللازم مع الملزوم.

أقسام الكناية باعتبار المكني عنه ثلاثة أقسام :

كناية عن صفة :وضابطها أن يصرح بالموصوف وبالنسبة إليه ولا يصرح بالصفة المرادة ولكن بذكر صفة تستلزمها.

كنايـة عن موصوف :وضـابطها: أن يكون المكنـي عنـه فيهـا ذاتـاً ملازمـة للمعنـي المفهوم من الكلام وقد يكون لفظ الكناية (ذاتا) وقد يكون صفة[٢]. كناية عن نسبة: كناية عن تخصيص صفة بالموصوف وهي أيضاً تتفاوت في التطبق فتارة تكون لطبيعة وأخرى تكون كناية عن موصوف .

ومن أمثلة ذلك في قول الشاعر :

يهوي الرماح خدوراً ذات منعطف   والمرهفات خدوداً ذات توريد[٣]

كناية عن موصوف وهو الملك المؤيد في حبه خدوداً ذات توريد للضرب والرماح وجعله لأدوات الحرب مثل المرأة الحسناء التي يهوها ويحبها. كناية عن صفة: ذلك في قول:

مذال الغني لو حاولت يد سارق   خزائنه ما كان في الشرع يقطع

كني عن صفة الغني بأن سرق أحد خزانة ليس بسبب الفقر أو الحوجه ولا تقطع يده.

---

(١) أسرار البيان : على محمد حسن العماري ص (١٣٢-١٣٣) .

(٢) الصورة البيانية بين النظرية والتطبيق / حنفي محمد شرف ص (٣٧٩) .

(٣) ديوان ابن نباته المصري ص (٢٩٥).

المبحث الثالث
البديع ودوره في شعر المديح عند ابن نباته المصري

إن البديع من أهم خصائص الأسلوب الفنية في هذا العصر سواء كان في شعره أم نثره وقد بلغ البديع في الشعر أعلي يد أصحاب البديعيات الغاية التي بلغها في الفقر علي يد الحريري وأضرابه من متكلفي البديع[١].

ويشهد لذلك أيضاً ما نراه في أساليب الجاهلين من توفي ألوان من البديع كثيرة حتى الأسلوب القرأني لقد جري علي اصطناع ألوان منها عدة. علي أن الظاهرة التي تزيد تسجيلها هي ولوع أكثر أدباء عصر المماليك بالبديع وتقد يسهم له إلي حد أنهم سلكوا في عقده كل ضروب البلاغة ومنهم أصحاب البديعيات هذا عدا ما ابتكروه من ألوان جديدة ويتضح ذلك في خزانة ابن حجة الحموي التي شرح فيها بديعيته وما يحتويه من ألوان البديع ومن جملتها التشبيه والاستعارة ولا عجب في ذلك فإن العصر عصر الحلية في كثير من ضروب حياته في الحفل وفي الموكب وفي الملبس في السلاح وغير ذلك حتى في الأخلاق وبلغت ألوان البديع في بديعيته ابن حجه مثلاً نحو مائة وخمسين لوناً تقريباً وأن جميع ما كان يحيط بعصر الن حجة كان يدعو إلي رعاية الزخرف في القول والبهرج في اللفظ وإلي إرسال العبارات محلاة مزدانة لتجانس مع الأساليب وكانت الثقافة دينية في جملتها ولم يعجز أدباء البديع عن أن يجدوا نماذج أخرى لها في القرآن الكريم وآياته المتعددة

لذلك نري أن النهج الغالب علي ابن حجة هو النهج البديعي في جملته بل هو متعصب له وأضصهم لديه القاضي الفاضل جمال الدين ابن نباته المصري شاعرنا الجليل ولتوافق منهجية مع منهجهما في الشعر والنشر وكثيراً ما مدحهم ونقصهم بأحسن ما يستحقان.

---

(١) عصر سلاطين المماليك :/ محمود رزق سليم، ج (٥) ص (٣٥٦-٣٥٧).

الفصل الثالث
المطلب الأول

الجناس ودوره في شعر المديح عند ابن نباته المصري :

تعريف الجناس :

الجناس: هو تشابه لفظين في النطق واختلافهما في المعني وهو ينقسم إلي نوعين هما لفظي ومعنوي[١].

أنواع الجناس اللفظية :

وهو ما اتفق فيه اللفظان المتجانسان في أربعة أشياء وهي نوع الحروف وعددها وهيئاتها الحاصلة من الحركات والسكنات وترتيبها مع اختلاف المعني.

الجناس غير التام :

وهو ما اختلف فيه اللفظان في واحد من الأمور الأربعة المتقدمة.

جناس القلب :

ويسمي الجناس المقلوب أو الجناس المخالف والمعكوس وجناس العكس.

وحده : إن يتفق الركنان في نوع الحروف وعددها وهيئتها (شكلها) ويختلفا في الترتيب فقط وهما قسمان :

أن تكون المخالفة في جميع الحروف بأن يقع الحرف الأخير من الكلمة الأولي لا من الكلمة الثانية والذي قبله ثانياً وهكذا ووجه التسمية فيه ظاهر لانعكاس ترتيب الحروف كلها[٢].

قلب البعض:

وهو أن يكون التقديم والتأخير في بعض حروف الكلمة دون بعض وسمه بذلك لوقوع التبديل في بعض حروف اللفظين.

ومن أمثلة الجناس التام قول الشاعر :

وحبذا سنته في الحج زاهرة ... سنت كما قيل فيها الخير والخير[٣]

الجناس في كلمتي (الخير والخير) في عدد الحروف وشكلها ونوعها.

---

(١) فن الجناس تأليف علي الجندي ص (١٠١-١٠٥) .

(٢) جواهر البلاغة تأليف أحمد الهاشمي ص (٣٩٦-٣٩٧) .

(٣) ديوان ابن نباته ، ص (١٠١)

جناس غير تام :

في قول ابن نباتة يمدح الرسول (صلي الله عليه وسلم):

بحيث الأفق يشرق مطلعاه وحيث سنا النبوة والسناء[١]

الجناس بين كلمتي (سنا والسناء) في نوع الحروف وعددها حيث زيدت الهمزة.

وقوله أيضاً :

وباب محمد المرجو يروي لقاصده نجاح أو نجاء

الجناس بين كلمتي (نجاح ونجاء) اختلفتا في نوع الحروف بين الحاء والهمزة.

جناس القلب أو العكس :

وذلك في قول ابن نباته :

يامثري الخد بالمحمر من ذهب دارك ضرورة محتاج ومجتاح

وهذا سمي جناس البعص وهو بعض الحروف بين كلمتي (محتاج ومجتاح) في الوسط والأخر حصل تقديم بين الجيم والماء.

---

(١) ديوان ابن نباته المصري ص ١ ١٠٥ .

المطلب الثاني
السجع ودوره في شعر المديح عند ابن نباتة المصري

تعريفه السجع في اللغة :

يعرف السجع بأنه الكلام المقفي أو موالاة الكلام علي روي واحد أو حدود واحده وجمعه أسجاع وأساجيع وسجع الرجل كلامه من باب قطع ونفع وسجعه وسجع فيه بالتشديد كما يقال نظمه إذا جعل له فواصل كقوافي الشهر ولم يكون موزون فهو سجاع وسجاعة وساجع وكلام مسجوع ومسجع واشتقاقه من سجع الناقة والحمامة وهو ترديد صوتها علي وجه وأحد وإنما شبه بذلك لتقارب فواصله[1].

فمقاطع الفواصل تأتي علي ألفاظ متوازنة متعادلة وكلمات متوازنة متماثلة فأشبه ذلك علي الترجيع.

وعرف في الاصطلاح: علي أنه تؤطو الفاصلتين من النثر علي حرف واحد وهذا معني قول السكاكي: الأسجاع في النثر كالقوافي في الشعر وهو ثلاثة أضرب: معطوف ومتوازن وترصيع.

السجع المعطوف :

هو اختلاف الفاصلتين في الوزن وذلك مثل قوله تعالي: (مالكم لا ترجون وقاراً وقد خلقكم أطواراً)[2] أي وأن لم يختلفا في الوزن أي وإن لم يكن جميع ما في القرينة ولا أكثر ما فيها مثل ما يقابله من الأخرى.

بأن يكون جميع ما في القرينتين من المتقابلات أو أكثر ما فيها أو نصفه مخالفاً يقابله من القرينة الأخرى في الوزن والتقفية معاً أو في إحداهما وهذا الاختلاف بالنظر لما عدا الفاصلة لأن التوافق في الحرف الأخير منها يعتبر في مطلق السجع[3].

---

(١) فن الأسجاع: تأليف علي الجندي الجزء الأول ص (٢٣) .

(٢)سورة نوح الآية (١٢-١٤).

(٣) علوم البلاغة للخطيب القزويني تحقيق محمد عبد المنعم ص (١٠٧) .

وذكر ذلك في قوله الإمام مالك [١]بن أنس وأحمد بن حنبل[٢] وذكرهما مرة أخرى بعد الأشارة إلي الشافعي [٣]في قوله :

ما مسري النعمي التي قد أصبحت سنداً لمن يشكو الزمان ومسندا[٤]
أحسن بجامك شافعي يا مالكاً أروي بجود يديه مسند أحمد

قرن الثلاثة معاً: الشافعي ومالكاً وأحمد وقدم عليهم من هو علي مذهبه إذ هو شافعي المذهب لكن الشاعر قد يستخدم اسم أحدهم ويشتق له من أسمه كما في قوله :

واستأنس الناس جدوى كفه فرووا عن مالك خير العلياء عن أنس

إن ابن نباتة استخدم المصطلحات المذكورة علي أوسع نطاق لكنه أخرجها من خيرها القاعدي الضعيف إلي آفاقها الرمزية الواسعة.

وأغلب ما ينطبق علي فن البديع عنده التورية والجناس وأن كثر في شعره ولم يجعل اهتمام كذلك نجد الطباق والسجع مما شكل نسجا موسيقي ذا طابع فني وترابط أدبي علي قصائده.

٣/ التوازي أي توافق الفاصلتين وزناً وتقفية دون رعاية غيرها.

شروط حسن السجع :

هو اختلاف قرينته في المعني كما مر لا كقول ابن عباد في مهزومين (طاروا واقين بظهورهم صدورهم وباصلابهم نحورهم) وقيل أحسن السجع وقيل إنه لا يقال في القرآن أسجاع وإنما يقال فواصل.

---

(١) الإمام مالك هو أبو عبد الله مالك بن أنس ولد سنة ٩٣هـ وتوفي سنة ١٣٩هـ من مؤلفاته المدونة الأعلام جـ٥ ص ٢٥٧.

(٢) أحمد بن حنبل : هو أحمد بن حنبل ولد سنة (١٦٤هـ – ٢٤١هـ) أحد الأئمة الأربعة .الأعلم للزركلي ،ج٢،ص ٧٧

(٣) الشافعي : هو الإمام أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن شافع عالم وفقيه وشاعر وله ديوان شعر الأعلام جـ٦ ص ٢٦.

(٤)الديوان ص (١٤٥) ص(٢٦٣).

وأنواع السجع :

التشطير :

وهو أن يجعل كلا من شطري البيت سجعة مخالفة لاختها في ذلك كقول ابن نباتة :

الجود ملء مطامع والعلم ملء   مسامع والعز ملء قلوب

فإنه توجد ثلاث فواصل بين البيتين الأولين تشابه والثانية تختلف عنهما.

ومن أنواعه أيضاً التصريح: وهو جعل العروض مقفاه تقفية الضرب[1]. ومن أمثلة السجع عند ابن نباته المصري قوله :

علي البراق لوجه البرق من خجل ورجل مسعاه (تلوين وتشكيل)

لسدرة المنتهي يا منتهي طلبي   ما مثله يا ختام الرسل تحويل

يوجد سجع تشطير في هذين البيتان بين كلمتي تلوين وتشكيل وكذلك في القافية موحده وحرف اللام (تشكيل وتحويل) وهذا يعتبر من مطلق السجع.

ونلاحظ سجع آخر من قوله يمدح الأثير:

يا مليحاً صدغاه قبلة حسن   سجدتي نحوها وجوه الملاح[2]

لك شعر وقامة إن يكونا   رأيه وهي رأيه الأفراح

نوع السجع متوازي متوافق الفاصلتين وزناً وتقفية والقصيدة كلها علي هذا الوزن من التوافق.

---

(١) الايضاح في البلاغة لخطيب القزويني تحقيق محمد علد المنعم ص (١٠٧) .

(٢) الديوان ص (١-٣) ص (٢٠) ص (١٠٧-١٠٨).

المطلب الثالث
التضمين

معني التضمين في اللغة :

ضمنت ضمناً وضمانه: أصابته أو لزمته عله وعلي أهله ونحوهم وصار كلاً عالة عليهم والرجل ونحوه ضماناً: كعله أو التزم أن يؤدي عنه ما قد يقصر في أدائه واحتواه (ضمنه) الله أو غيره جعله ضمناً له أو في حمايته[١].

وضمن الشئ ونحوه: جعله فيه وأودعه إياه.

التضامن: التزام القوى أو الغني معاونة الضعيف أو الفقير.

والتضمين :

عند علماء العربية يحتوي علي عدة معان منها أيقاع لفظ موقع غيره ومعاملته لتضمنه معناه واشتماله عليه ومنها أن يكون ما بعد الفاصلة متعلقاً بها وفي علم القوافي: هو أن تنطلق قافية بما بعده علي وجه يستقل بالآفادة.

وفي البديع: هو أن يأخذ الشاعر أو التأثير بآية أو حديثاً أو حكمة أو مثلاً أو شطراً أدبياً من شعر وغيره بلفظةً ومعناه[٢].

أنواع التضمين :

أ/ التضمين الكلي: هو أن تذكر الآية والخبر بجملتها.

ب/ التضمين الجزئي: فهو أن تدرج بعض الآية أو الخبر في ضمن الكلام فيكون جزاءاً منه كالذي أدردته في بعض الآيات والأخبار وقد قبل أنه لا يجوز درج آيات القرآن الكريم في غضون الكلام من غير تبين كلي لا يشتبه وهذا القول لا أقول به فأن القرآن الكريم أبين من أن يحتاج لي بيان وكيف يخفي وهو المعجز الذي لو أجتمعت الأنس علي أن يأتو بمثله لا يأتون بمثله

---

(١) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر تأليف أبي الفتح ضياء الدين نصر الله محمد بن محمد بن عبد الكريم المعروف بابن الأثير الموصلي تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ج (٢) ص (٣٢٣-٣٢٤).

(٢) المعجم الوسيط ج (٢) ص (٥٤٤) الطبعة الثانية تأليف: د. إبراهيم أنس د. عبد الحليم منتصر عطية الضو محمد خلف الله أحمد .

وأما المعيب من التضمين عند قوم فهو تضمين الإسناد وذلك يقع في بيت من الشعر أو فصلتين من الكلام المنشور علي أن يكون الأول بنفسه وزلا يتم معناه إلا بالثاني .

ويعد التضمين في نظر البعض حسن يكتسب به الكلام طلاوة وبين الذين يعيبونه قبيح وهو عندهم معدود من عيوب الشعر ولكل من هذين القيمتين مقام.

ومن أمثلة التضمين في شعر ابن نباته المصري قوله:-

تحدثك الانفاس فيها عن اللمى ويأتيك بالأخبار من ما لم تزودا[1]
أمن ازديارك في الدجى الرقباء إذ حيث كنت من الظلام ضياء

تضمن هذا البيت من قول الشاعر :

وهو جاء في عجز البيت:

ومن التضمين أيضاً قول ابن نباته :

إن ارجوزتي بدار حديث الـ شام يملي عوالي الا مداح[2]
وكتاب الصحاح أوتي فما يت قك يروي عنكم كتاب الصحاح
لم يضع عبر نشرها إنما نما بت وعادت للباب ذا مفتاح

فأن أبياته تضمنت بعض أسماء الكتاب فمنها كتاب الفجاج للجوهرى وكتاب مفتاح العلوم للسكاكي.

ومن تضمينه أيضاً في قوله في المدائح الإخوانية:

أمن ازديارك في الدجي الرقباء إذ حيث كنت من الظلام ضياء

---

(١)ديوان ابن نباته ص ١٠٢-١٢٩.

(٢)ديوان المتنبي ج٣ ص٣٥٤.

المطلب الرابع
الطباق ودوره في تشكيل الصورة الفنية في شعر المديح عند ابن نباته

تعريف الطباق :

هو الجمع بين لفظين متقابلين في المعنى وقد يكونا اسمين أو فصلين أو حرفين أو مختلفين فيكون تقابل للمعنيين وتخالفهما مما يزيد الكلام حسنا وطرافة مثل الجمع بين السواد والبياض والليل النهار وخالفهم قدامة بن جعفر فقال : المطابقة إيراد لفظين متشابهين في النباء والصيغة مختلفين في المعنى(١).

والطباق في اللغة : الجمع بين الشيئين يقولون طابق فلان ثوبين ثم استعمل في غير ذلك طابق البعير في سيره إذا وضع رجله موضع يده وهو راجع إلى الجمع بين الشيئين.

وقد ورد في القرآن الكريم هذا المعنى في قوله تعالى : (سبع سموات طباقا)(٢) أي بعضهن فوق بعض كأنه شبه بالطبق ما يجعل فوق الاناء.

ينقسم الطباق إلى قسمين هما :

١/طباق الايجاب : وهو ما لم يختلف فيه الضدان ايجاباً وسلباً.

٢/طباق السلب : وهو ما اختلف فيه الضدان ايجابا وسلبا.

ومن أمثلة الطباق عند ابن نباته في قوله (٣):

كأن الحب دائرة بقلبي فحيث الابتداء الانتهاء

طباق ايجاب في لفظين (الابتداء والانتهاء)

وفي قوله ايضا :

بروحي جيرة رحلوا بقلب حب احسنوا فيما اساؤا(٤)

الطباق (احسنوا واساؤا) وهو طباق ايجاب أو طباق تام.

---

(١) جواهر البلاغة أحمد الهاشمي ص(٣٩٦-٣٩٧) نقلا عن نقد الشعر لقدامي بن جعفر

(٢)سورة الملك الآية (٣)

(٣)الصناعتين لأبي هلال العسكري ص ٣٠٧.

(٤)ديوان ابن نباته المصري ص(١)-(٨-١٠)

طباق السلب :

وذلك في قول ابن نباته مثل :

أفديك من زهرة بالحسن مشرقةً بليت مـن عـاذلي فيها بعـواء[١]

ويح العذول يرى ليلي ويسمع من لا يسمع العذل فيها قول فحشاء

الطباق بين كلمتي (يسمع ولا يسمع)

ومنه أيضاً قوله :

كلما جال لحظها ترك الناس سكارى وما هم بسكارى

الطباق بين كلمتي (سكارى وما هم بسكارى)[٢]

---

(١)ديوان ابن نباته ، ص (٨-١٠)

(٢) سورة الحج الآية (٢)

المطلب الخامس
التورية ودورها في شعر المديح عند ابن نباته المصري

التورية : لغة مصدر وريت الخبر تورية إذا سترته واظهرت غيره.

اصطلاحاً : هي أن يذكر المتكلم لفظاً مفرداً له معنيان احداهما قريب غير مقصود ودلالة اللفظ عليه ظاهرة والآخر بعيد مقصود ودلالة اللفظ عليه خفية فيتوهم السامع انه يريد المعنى القريب.

وهنالك تعريف آخر للتورية :

أن يطلق لفظ له معنيان : احداهما قريب غير مراد والآخر بعيد وهو المراد ويدل عليه تقريبه يغلب أن تكون خفية لا يدركها إلا الظن.

كانت التورية احدى دعائم الاسلوب عند ابن نباته المصري في شعره ونثره بل هو الذي تزعم طريقها وحمل رايتها بعد القاضي الفاضل ويرجع ذلك فيما يعتقد عكوفه على قراءة آثار الفاضل وتشبع مزاجه منها حتى إنه جمع من كلامه كتابا سماه "الفاضل من انشاء الفاضل"[١]

وكان ابن نباته شعبي النشأة والثقافة فأثر لذلك شعبي. الشعور ومن هنا نهضت أساليب العامة في شعره ونثره في فكاهة ونكتة وتورية وقد نبأ به مزاجه معن الأعراف في الجناس لأه ردى أو محسن لفظ الا يتصل بتحسين المعنى كما يقول ابن حجة وربما كانت حياة الحرمان المتواصلة التي ابتلت بها جموع الشعب في عصورها المتعافية وفي هذا العصر سبباً لطول شكايتها حتى صات الشكوى احد الأصباغ اللامعة التي ظهرت في الأدب المصري العربي وهذا ابن نباته أديب عصره امتلأ شعره بالشكوى ونبا به المقام في بلده مصر وطرح به طلب العيش إلى ركف رحمة وهكذا وجدت التورية الفكاهة والنكتة اسسها في الأدب العربي في عصر المماليك.[٢]

---

(١) جواهر البلاغة تأليف أحمد الهاشمي (في المعاني والبيان والبديع) الطبعة الحادية عشرة ص ٣١٢ – ٢٩٣.

(٢) عصر سلاطين المماليك محمد سليم رزق ج(٧) ص ٢٩٣.

نماذج التورية في شعر ابن نباته المصري وذلك في قوله :

محرر اللفظ لكن غرا نعمه قد صيرتني من بعض الارقاء [(١)]

التورية في قوله (الارقاء) المعنى القريب يقصد به الارقاء وهم العبيد المماليك لدى الحاكم أو الملك وهو غير مقصود والمعنى الثاني بعيد وهو المقصود ويقصد بكلمة ارقاء كثرة عطاء ماله وانعمه الكثيرة صار مديناً له أو كالرقيق في تنفيذ أوامره أو مدين له لفيض عطائه وبذله عليه بالمال وهو المقصود.

وفي قوله أيضاً :

كأنه بيت شعر في عروض جوى وارت عليه بلا ذنب دوائره

توجد تورية في قوله كأنه بيت شعر في عروض حوى المعنى القريب يقصد به علم العروض والضمير الراجع إليه في قوله دارت عليه بلا ذنب في كلمة عروض يقصد بها بيت مكة وهو المعنى البعيد وهو المقصود.

---

(١) ديوان ابن نباته المصري ص٦ ص١٢٩.

المطلب السادس
تأكيد المدح بما يشبه الذم

أنواعه : نوعان هما :

الأول : أن يستثنى من صفة ذم منفية عن الشئ صفة مدح بتقدير دخولها فيها.

الثاني : أن يثبت لشئ صفة مدح أخرى ثم يؤتي بعدها بأداة استثناء تليها صفة مدح أخرى والنوع الأول أبلغ[1].

نماذج لذلك النوع في شعر ابن نباته المصري :

منها قوله في الملك المؤيد مادحا اياه :

لا عيب فيه أدام الله دولته   الا عزائم مجد عندهن شره

هذا مدح بما يشبه الذم من النوع الثاني وهو إثبات صفة مدح وهي لا عيب له وأضاف إليها صفة مدح أخرى وهي إثبات عزائم المجد له[2].

ومنه قول الشاعر في كمال الدين الذملكاني :

لا عيب فيه سوى علياء معجزة   فيها العلى الصلب قدما نكايات

هذا مدح نفي عنه صفه العيوب واتى بصفة ذم صفة مدح وهذا يعد من النوع الأول من أنواع تأكيد المدح بما يشبه الذم.

وقال الشاعر مادحا :

ولا عيب فيه غير اسراف جوده   وان مدى علياه غير محدد[3]

وقد اكد الشاعر لممدوحه صفة مدح اخرى وهذا ابلغ حيث اثبت له الجود والاسراف فيه وبعد الاسراف فيما سواءه عيب وكذلك مدحه واثبت له صفة العلو والمكانة الرفيعة بلا حدود أي موجودة في كل اخلاقه وصفاته السمحة.

---

(١) صور البديع تأليف علي الجندي ص ٢٩٢ – ٢٩٣.

(٢) جواهر البلاغة أحمد الهاشمي ص ٣٨١.

(٣) الديوان ص ١٩٢–ص١٢٩

المطلب السابع
الاستخدام ودوره في شعر المديح عند ابن نباته المصري

الاستخدام : هو اطلاق لفظ مشترك بين معنيين فتريد بذلك أحد المعنيين ثم تعيد عليه ضميرا تريد به المعنى الثاني أو بعيد عليه ضميرين تريد باحدهما احد المعنيين وبالآخر المعنى الآخر والفرق بين الاستخدام والتورية أن المقصود فيه استخدام المعنيين[١] أما التورية فيراد منها معناها البعيد.

ومن أمثلة المذهب الأول في الاستخدام عند ابن نباته في قوله [٢]:

إذا لم تقض عيني العقيق فلا رأت   منازله بالقرب (تبهي تبهر)
وان لم تواصل عادة السفح مقلتي   فلا عادها عيش بمغناه اخضر

استخدم الشاعر هنا لفظ العين التي رأت العقيق ويقصد ممدوحه الذي شبه بالذهب وتوجد علاقة هنا بين كلمتي (تبهي وتبهر) فهي جناس غير تام ولقد ذكر في البيت الثاني العين ولكن ذكر الضمير الذي يدل عليها وهو في كلمة (عادها الهاء) وكذلك الهاء في كلمة بمعناه حيث اراد بها الممدوح الذي شبهه بالعقيق في البيت الأول وهذا يعد من النوع الأول من الاستخدام.

(١) عصر سلاطين المماليك ج(٦) المؤلف د/ محمود رزق سليم ، ص ٥٥.

(٢) الديوان ص ٢٩٣.

المطلب الثامن
الاقتباس

الاقتباس في اللغة : مصدر اقتبس وذلك المأخوذ من قبس : قبسا أو قدها وطلبها اقتبس العلم استفادة والرجل اقتبس علماً أو نوراً : أفاده إياه فهو قابس والجمع اقباس ويقال جئت لاقتبس من أنوارك وفي التنزيل العزيز في قوله تعالى :
(أنظرونا نقتبس من نوركم) [(١)].

القوابس : الذين يقبسون الناس الخبراء يعلمون واقتبس منه العلم بمعنى قبس منه العلم واستفاد.

اصطلاحاً :

هو تضمين النظم والنثر بعض القرآن الكريم لأعلى أنه منه "والصحيح ان المقبس ليس عن معناه الأصلي ويتغيير يسير".

والشاعر أو الكاتب : ضمن كلامه آية دينية أو حديثاً أو قاعدة من بعض العلوم ومنه الاقتباس عند البديعين.

فالشعراء المسلمون تأثروا بالفاظ القرآن الكريم وتعابيره والأفكار والمعاني الإسلامية كانت أكثر تأثرا في تفكيرهم ومخيلتهم غير أن أخذهم من القرآن الكريم لم يكن يجري بنسق واحد بل ورد بأنواع متعددة يمكن تقسيمها إلى الآتي [(٢)]

١/ النوع الأول : اقتباس الآيات مع ادخال تحوير بسيط في تركيب الجمل وترتيبها مع مراعاة ما يتطلبه الوزن والقافية.

٢/ النوع الثاني : يتحدد في اقتباس المعنى والفكرة التي ترد في آيات الذكر الحكيم.

٣/ النوع الثالث : هو أن يكتفي الشاعر باقتباس اشارة توحي للقارئ بآية أو أكثر من آيات القرآن الكريم.

٤/ النوع الرابع : هو أن يقتبس الشاعر الآية نفسها دون تغيير أو تبديل وهو قليل لصعوبة انسجامه مع متطلبات الوزن والقافية[(٣)].

---

(١)سورة الحديد الآية (١٢)

(٢)أنوار الربيع في أنواع البديع على صدر الدين معصوم ج٢ ص٩٩

(٣)المعجم الوسيط قام باخراج هذه الطبعة الدكتور إبراهيم انيس د/عبدالحليم منتصر مطبعة السراكي محمد خلف الله أحمد

الاقتباس ودوره في شعر المديح :

الاقتباس : هو أن يقتبس الشاعر الآية نفسها دون تغير أو تبديل وهو قليل لصعوبة انسجامه مع متطلبات الوزن والقافية[1].

فكان لنا من أسلوبه خير مثال يحتذى به وخير شعر خرج للناس يدلنا على أنه كان حافظاً للقرآن يستخدم أسلوبه وألفاظه كلما سنحت له الفرصة بالإضافة إلى هذا التضمين الجميل الذي استخدمه في مذهبه الرمزي الخاص . وقد وضح تأثره بالقرآن وذلك لاستخدامه بعض أسماء السور كما لاحظ ذلك في النسب الذي استقل به أحدى مؤيد بأنه وذلك في قوله[2] :-

عنده سناه والغدار وريقه مما قداني في (النور أوالنمل والنحل)[3]

فقد ذكر الشاعر أسماء ثلاث سور وردت في القرآن وهي سورة النور وسورة النمل وسورة النحل.

كما أنه كان يعوذ حبيبته ذات الثغر الباسم بسور الشمس والليل والفجر وهي متتالية أيضاً في القرآن الكريم.

ولكن التأثير الحقيقي ظهر في أسلوبه الشعبي فلم يقتصر علي استحدام أسماء السور القرآنية بل تعداها إلي الآيات فاستخدم منها لكلمات وفقدان وجمل فأدخلها بنصها الصريح أو بتغير الطيف كما تتلاءم مع الوزن والشطر والشعر ومن ذلك قوله:

ماذا عسي اليوم مادحه من بعد ما مدحت (حم) تنزيل

ذكر الشاعر بأنه لا يوجد من يذكر ويمدح الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام وذكر اسم سورة (حم) وهي سورة الدخان. ومن قوله أيضاً :

سادر الفرقدين عنه إلي أن (أسلماه وتله للجبين)

الاقتباس من قوله تعالي (فلما أسلماه وتله للجبين) [4].

---

(١) أنوار الربيع في أنواع البديع تأليف/ علي صدر الدين معصوم مطبعة النعمان ج (٢) ص (٩٩).

(٢) ابن نباته المصري تأليف عمر موسي باشا ص (٢٧٨-٢٨٠) .

(٣)ديوان ابن نباته المصري ص (٣٧٧-٤٥٥) ص (٣٧٣) ص (٤٩٦).

(٤)سورة الصافات الآية (١٠٣).

لا بأس علينا أن نستزيد من الشواهد المبذولة بكثرة غريبة فنتحدث عن اصحاب الاخدود والنار ذات الوقود وذلك في قول الشاعر :

يا مليحـــا طـــرفي به نعيم وفؤادي ف يالنار ذات الوقود [١]
لا تسل عن مسيل دمعي بخدي قتل الدمع صاحب الاخدود

نلاحظ أن الشاعر يورد النص كاملا في (النار ذات الوقد) وقد يحرف هذا ليطابق المعنى المقصود كما في صاحب الاخدود ونصها المعروف (أصحاب الاخدود)[٢].

وهكذا كان ابن نباته يضفي على قصائده هذه النغمة من الرقة والجمال من أسلوب القرآن في مذهبه الرمزي ويكفي أن نشير إلى حديثه عن الشأنى الابتد وانسان عينه الذي هو في خسر وعن العرجون وغير ذلك مما يطوي بنا ذكره.

إما من ناحية تأثره بالحديث الشريف والسيرة النبوية نجد الشاعر استخدم بعض معانيه ففي المدائح النبوية ذكر وتأثر بالارهاصات التي سبقت البعثة ولم يقتصر الأمر عليها وإنما تجاوزتها إلى الاغراض الاخرى المعروفة كما رأينا ذلك في قوله :

لا تخش بيتك أن يلوي الزمان به فإن للبيت ربا سوف يحميه

وردت هذه الحادثة في قصة اصحاب الفيل في السيرة النبوية عندما اراد ابراهة ان يهدم البيت ورد له عبد المطلب "بأن للبيت ربا يحميه" أو يحميه.[٣]

ان ابن نباته محدث مشهور كما عرفناه من قبل عرفنا اباه من قبل وانه اميز من اشهر المحدثين سماعا وحضورا فلا تستغرب إن رأيناه كما في القرآن الكريم يستخدم مصطلحات الحديث ويكرر ذكر الافداد من رجاله ليؤدي الغرض الذي توفاه من هذا الاستخدام ولا نعرف بين الشعراء من يمثل هذه الصفة المميزة فتحدث كثيرا عن اقطاب المحدثين من اصحاب المذاهب الاربعة في أماكن كثيرة في شعره ونثره ونذكر منها بعض.

---

(١)الديوان ص١٥٣.

(٢)سورة البروج الآية (٥)

(٣)تهذيب سيرة ابن هشام – تأليف عبدالسلام هارون ص٢٤-٢٦

المطلب التاسع
الموسيقية الخارجية

إن الإنسان بفطرته وبما وهبه الله من كمال ميال إلى الإحساس بالجمال وحبه وبقولية العلامة ان بخلدون عن ذلك الموضوع : "ولما كان أنسب الأشياء إلى الإنسان وأقربها إلى أن يدرك الكمال ... وهو شكله الإنساني في تخاطبه وأصواته ... التي هي أقرب إلى فطرته وتتنهج كل إنسان بالحسن من المرئي أو المسموع بمقتضى الفطرة والحسن في المسموع أن تكون الأصوات متناسبة لا متنافرة [١].

وقد ارتبط الشعر في نشأته الأولى بالغناء وثيقا ولا غرابة في ذلك لأنهما معا يصدران عن العاطفة ويعبران عنها فبواعث الغناء هي بواعث الشعر ففي الغناء موسيقا النعمات والألحان وفي الشعر موسيقا الألفاظ والأوزان.

ثم تنوعت البحور وفق الموضوع ووفق الحالة النفسية للقائل لأن الموسيقى الشعرية المعبرة هي التي تسامر موضوع القصيدة وشوائم التجربة الشعرية ويقول سنس : "إن خير الموسيقى ما تتمشى مع الأفكار وتتساوى مع المعاني وتتجاوب نغماتها ونبراتها مع حالات النفس فالشاعر في غصنه وغبطه يكون تغييره الموسيقي عالي النغمة وفي حزنه يكون مخفضا وفي تعجبه وفرحه وهدوئه واطمئنانه تكون مسافاته الصوتية طويلة وهكذا تساير النغمات حالات النفس كما تسامر موضوع القصيدة وفكرتها".[٢]

فالشعر منذ العصر الجاهلي تسيطر عليه الموسيقى وأبيات مقسمة إلى مقاطع متوالية متناسقة وقوافيه مستقرة في مكانها محوطة بسياج من الشروط تركها لنا العرضيون جوهرها أن تكون متحدة في القصيدة كلها من حيث الحركات والسكنات[٣].

والروى ينبغي الا يتبدل مهما طالت القصيدة والذي يصل إليه الباحث من هذا كله أن الشعر العربي يهتم بارضاء الأذن فلا يلفت إليها إلا ما تستريح إليه فإذا

---

(١)الأصول الفنية للشعر الجاهلي تأليف د/سعد إسماعيل شبلي ص(١١١-١٣١).

(٢)مقدمة ابن خلدون ص٤٢٥ تأليف عبدالرحمن بن خلدون.

(٣)الأصول الفنية للشعر الجاهلي ص(١١٧-١٢٥).

تهاون الشاعر فأخل بالوزن أو تهاون فلم يعط القافية حقها لم يغفر له السامعين تهاونه هذا وإذا لم يكن الوزن مؤتلفا مع اللفظ أو إذا كان متأخرا للمعنى بحيث لا تتوافق الموسيقى الداخلية أو ما يمكن أن نطلق عليه الموسيقى النفسية اعتبروا ذلك من عيوبه وحذروا من التورط فيه[١].

تعريف كلمة موسيقى :

الموسيقى تذكر وتؤنث : وهو لفظ يطلق على فنون العزف وعلى آلات الطرب وعلم الموسيقى هو علم يبحث فيه عن أصول النغم من حيث تأتلف أو تتنافر وأحوال الأزمنة المتخللة بينها ليعلم كيف يؤلف اللحن مع الموسيقى المنسوب إلى الموسيقى.[٢]

أما تعريفا الموسيقى اصطلاحاً :

فإنها تعني أوزان الشعر وقوافيه وايقاعاته (الوزن أعظم أركان حد الشعر وأولها به خصوصية). والقافية شريكة الوزن في الاختصاص بالشعر أما الايقاع فهو : فن إحداث واحساس مستحب بالافادة م جرس الألفاظ وتناغم العبارات واستعمال الاسجاع وسواها من الوسائل الموسيقية الغنائية [٣].

وقد وضع البلاغيون شروطا لاختيار الفاظ الشعر وطريقة نظمها في الجمل وجعلوا من ذلك تلاؤم حروف اللفظ وسلاسة اصواتها وانسجامها مع اخوانها في الجملة لتخرج الكلام خفيفا على اللسان لذيذ إلى السمع [٤].

---

(١)الأصول الفنية للشعر الجاهلي تأليف د/سعد إسماعيل شلبي ص(١١٧-١٢٢)

(٢)المعجم الوسيط ج١ ص٣٩

(٣)الصورة الفنية عبدالرحمن غنيم ص(٢٢٧-٢٢٨).

(٤)العمدة لابن رشيق القيرواني ج١ ص(٩٩-١٠٠).

تعريف العروض

العروض "علم يبحث فيه عن أحوال الأوزان المعبرة" أو "هو ميزان الشعر به يعرف مكسوره من موزونه كما أن النحو معيار الكلام به يعرف معربه من ملحونه" ويرجع الفضل في نشأة علم العروف إلى خليل بن أحمد أحد ائمة اللغة والأدب في القرن الثاني الهجري ويذكر ابن خلكان "أن الخليل كان اماما في علم النحو وأنه هو الذي استنبط علم العروض واخرجه إلى الوجود وحصر اقسامه في خمس دوائر يستخرج منها خمسة عشر بحرا ثم زاد الأخفش بحرا واحدا وسماه الخبب ويذكر أن الخليل كانت له معرفة بالإيقاع والنغم وتلك المعرفة أحدثت العروض [١].

"ويحدثنا ياقوت عن الخليل بن أحمد بأنه أول من استخرج العروض وضبط اللغة وحصر أشعار العرب وبه تم بناء ألحان القراء على موقعها وميزانها وهي التي احدثت له علم العروض"[٢]

وكذلك يحدثنا القفطي عن الخليل بأنه سيد الأدباء في علمه وزهده وأنه نحوي لغوي وعرضي واستنبط من العروض وعلله ما لم يستخرجه أحد ولم يسبقه إلى علمه سابق من العلماء كلهم [٣].

ومن ذلك ير أن الخليل هو أول مبتكر لعلم العروض وحصر كل أشعار العرب في بحوره.

اختلفت الآراء بالنسبة إلى الباعث الذي دعا الخليل إلى التفكير في علم العروض وكذلك اختلفت بالنسبة إلى تسمية هذا العلم بالعروض.[٤]

فمن قائل : إن معاني العروض مكة لاعتراضها وسط البلاد ومن ثم اطلق على علم ميزان الشعر الذي اخترعه اسم المكان الذي الم فيه قواعده واصوله[٥].

---

(١)علم العروض والثقافة للدكتور /عبدالعزيز عتيق دار النهضة العربية للطباعة والنشر بيروت ص٧ نقلا (كتاب كشف الظنون) ج٢ ص ١١٣.

(٢)كتاب الإقناع فى العروض وتخرج القوافي لابن القاسم بن عباد ص٣

(٣)وفيات الأعيان ابن خلكان ج١ص ٣٤٢.

(٤)كتاب معجم الأدب لياقوت الحموي ج١١ص٧٣.

(٥) علم العروض والقافية للدكتور عبد العزيز عنيف ص ١١.

الحاجة إلى علم العروض :

يعتبر من الناحية هو الجانب التطبيقي لقواعد العروض واصوله ونظرياته فإنه قبل ذلك فن كسائر الفنون مصدرة الموهبة والاستعداد.

وقد يستطيع الشاعر الموهوب بما له من أذن موسيقية وحس وذوق مرهفين أن يقول الشعر دون علم بالعروض وحاجة إلى قوانينه ولكنه مع ذلك يظل بحاجة إلى دراسة علم العروض والإلمام بأصوله.

وجعل الشاعر الموهوب باوزان الشعر وبحوره المختلفة من تامة ومجزوءة ومشطورة ومنهوكة قد يحصل شعره في بعض أوزان خاصة وبذلك يحرم نفسه من الغرق على أوتار شتى تجعل شعره منوع الانغام والألحان ومن ذلك تتجلى أهمية دراسة الشاعر للعروض والإلمام بقوانينه وأصوله.

وإذا كان العروض إلى هذا القدر لازما للشاعر الملهم الموهوب فإنه يكون أشد لزوماً لغيره فهو أشد لزوماً لطلاب اللغة والتخصص فيها لأنه يضعهم على فهم الشعر العربي وقراءته قراءة صحيحة والتمييز بين سليمة ومختلفة وزناً.

القافية

القافية هي : "الجزء الأخير من البيت المحصور بين آخر ساكنين ومتحرك قبلهما".

ويعرف علماء العروض القافية بأنها : هي المقاطع الصوتية التي تكون في أواخر أبيات القصيدة أي المقاطع التي يلزم تكرار نوعها في كل بيت.

فأول بيت في قصيدة الشعر "الملتزم" يتحكم في بقية القصيدة من حيث الوزن العروضي ومن حيث نوع القافية وإذا تخلفت بعض خصائص القافية نتج عن ذلك عيب من عيوب القافية ومن هذا تتحدد مباحث القافية كعلم قائم بنفسه وهي : حرف القافية وحركات القافية وعيوب القافية [١].

أولا : حروف القافية :

تتكون القافية من حرف أساسي ترتكز عليه يعرف باسم "الروى".

فالروى : هو آخر حرف صحيح في البيت وعليه تبنى القصيدة وإليه تنتسب فيقال: قصيدة ميمية أو نونية أو عينية إذا كان "الروى" فيها ميما أو نونا أو عينا.

"والروى" وحده هو أقل ما تتألف منه القافية وذلك عندما يكون "الروى" ساكنا فإذا زاد الشاعر شيئا آخر فإن لهذه الزيادة اصطلاحات خاصة هي :

الوصل : ويكن باشباع حركة الروى فيتولد من هذا الاشباع حرف مد أو يكون بها بعد الروى.[٢]

الخروج : بفتح الخاء ويكون باشباع هاء الوسل.

الردف : ويكون حرف قبل "الروى" مباشرة أو حرف لين.

التأسيس : وهو حرف مد بينه وبين الروى حرف صحيح.

---

(١) العروض الواضح للدكتور محمود حقي – منشورات دار مكتبة الحياة – بيرت – الطبعة السادس عشر ١٩٨٤م ص ١١٥.

(٢) علم العروض والقوافي عبد العزيز عنيق ص ١٣٤ – ١٣٥.

فالروى اذن عماد القافية ومركزها وما عداه من الوصل والخروج والردف والتأسيس يدور حوله.

عيوب القافية :

لا بد أن يلتزم في القافية حروفا معينة وحركات معينة وإذا أخل بها وقع بين عيب من عيوب القافية وهذه العيوب كثيرة أهمها أربعة نوضحها فيما يلي :

التضمين : وهو ألا يستهل البيت بمعناه بل يكون المعنى مجزءاً بين بيتين وبعبارة أخرى أن يكون البيت الثاني مكملا للبيت الأول في معناه وذلك كأن يرد (المبتدأ) أو الفعل في البيت الأول ثم يأتي الخبر أو الفاعل أو المفعول به أو ما شبهه في البيت الثاني.

الإبطاء : وهو إعادة الروى بلفظها ومعناها بعد بيتين أو ثلاثة إلى سبعة أبيات وهذا يدل على قلة إلمام الشاعر بمفردات اللغة إذ عليه الا يكرر الفاظ القافية. فما يستحث في الشعر الا يكرر الشاعر اللفظ بعينه في مسافة متقاربة وكلما بعدت المسافة كان أفضل [١].

الإقواء : وهو اختلاف المجرى الذي هو حركة الروى المطلق بكسر وضم.

السناد : وهو اختلاف ما يراعى قبل الروى من الحروف والحركات.

فالسناد إذن أنواع تبعا لما قبل الروى ومن حروف القافية والحركات. ومن هذه الأنواع يسند التأسيس وهو يستتد بيت يترك آخر.

وينبغي لسلامة القافية أن تخلو من اختلاف الحركة التي قبل الروى فإذا بدأ الشاعر القصيدة بروى حركة الحرف الذي قبله كسرة مثلا فإنه يحسن أن يلتزم هذه الكسرة قبل الروى ولكن كثيرا من الشعراء لا يلتزمون بذلك.

---

(١) علم العروض والقافية عبد العزيز عتيق ص ١٦٦ – ١٦٩.

الموسيقى الداخلية

إن ابن نباته جعل للممدوح السمو والرفعة روحا وقولا وفعلا بما يحقق الكمال الإنساني ويبدي براعة الشاعر في استيعاب المعاني كما أنه استطاع بحسه الموسيقي يوزع البيت الشعري إلى وحدات متساوية فيتكرر فيها النغم محدثا أيقاعا يشبه القوافي الداخلية فضلا عن قيامه بالمعاني وتوكيدها[١].

ولعل الأداء عند شاعرنا ظل يكشف عن مدقرته العالية على إحداث تجانس بين الألفاظ والمعاني ومن ذلك ما نلمسه في قصيدته الرائية التي أنشأها في المديح النبوي ويقول فيها :

إلا في سبيل الله صوم عن الصبي وقلب على عهد الحسان مفطر[٢]
تذكرت اوطان الوصال فاشهب من الدمع في ميدان خدي أحمر
إذا لم تفض عيني العقيق فلا رأت منازله بالوصل تبهي وتبهر

وقد تميز شاعرنا بحس لغوي أخاذ مرهف ومقدرة فائقة على تكثيف المعاني في نظام واتساق كاملين يرتفعان باللغة إلى درجة من التصوير الفني الرفيع الذي تتحقق مع الأبعاد الجمالية للصناعة الشعرية.

ونلاحظ كذلك بناء داخليا محكما نحسه في تكرار السين بما يحدث توافقاً موسيقيا يؤلف بين كلماتها في تجانس بديع يتجاوز الحرف إلى حركته فترى الكسر في الكلمات يجانس بينهما ويعطينا أبعاد القيم الصوتية التي تنبع من اختيار الشاعر لمفرداته وترتيب وضعها في توافق بديع يوقع في النفس احساسا بالجمال والتجانس.[٣]

وأيضا نلاحظ الطباق الرائع بين كلمتي (صوم مفطر). وأيضاً نذكر فيما دفع بين أدباء عصره وشعرا زمانه ومن غرائب من المخمسات والموشحات توجد في

---

(١) الخصائص للصورة الشعرية ص ١٠٩ . دار فلاح للنشر والتوزيع (ط) أولى ١٩٢٨م.

(٢) ديوان ابن نباته المصري ص ١٨٠.

(٣) تاريخ الأدب العربي برولكمان ترجمة الدكتور عبد الحليم النجار مصر — دار المعارف ج(٢) ص ١٨ .

مكتبة القاهرة مصورة منتخبة من ديوانه بخط الصفدي ويذكر ابن تغري ويروي بعض موشحاته وبالمثل يذكر طائفة منها ابن شاكر في كتابه (فوات الوفيات) و"النواجي" في عقود اللال في الموشحات والازجال ومن أطرافها موشحة موزعة بين النشوة بالخمر وبالحب بجمال الطبيعة استهلها بقوله :

يا ليلة الوصل وكأس العقاد دون استتار علمتني كيف خلع العذار[١]

انتم اللذات قبل الذهاب

وجر أذيال الصبا والشباب

وأشرب فقد طابت كئوس الشراب

ومن طريق موشحاته : موشحة بديعة يقول فيها :

ما سلت الأعين الفواتر من غمد اجفانها السفاح[٢]

إلا سألت دما المحاجر[٣] من غير حرب ولا كفاح

ومن موسيقى الداخلية في المدائح النبوية المدحة اللامية وذلك في قوله :

حاز سهم المعالـــــي حيث كان من قاب قوسين تنويه وتنويل

على البراق لوحة البرق من خجل ورجل مسعاه تلوين وتشكيل

لسدرة المنتهى يا منتهى طلب ما مثله باختتام الرسل تحويل

حيث نلاحظ انسجام الكلمات في القافية وتناسبها مع بعضها البعض في جرس موسيقي مترابط وهو ما يعرف بالسجع (تنويل وتشكيل تحويل) ومن الموسيقى الداخلية في مدائحه الأخوانية حيث يقول في مدح الزملكاني :

الجود ملء مطامع والعلم ملء مســـــامع والغر ملء قلوب

كم مدحة لي صغتها وأثابها فزهت على التفضيض والتذهيب

نلاحظ الجرس الموسيقي بين الكلمات وتكرارها في رقة ولطف برع السامع في كلمة ملء في عرض البيت وضربه وكذلك السجع والترابط في كلماته مطامع ومسامع وأيضا اسجع بين الكلمات في القافي والروى الواحد [٤].

ومن موسيقى الجناس عنده قوله :

من قصدنا له مشاهير فضل فحصلنا على النجا والنجاح

الجناس الغير تام بين كلمتي النجا والنجاح في عدد الحروف وايضا نجد جناس في نفس القصيدة في قوله :

---

(١)خلع العذار : كناية عن الأنهماك فى المجون واللهو المنجد فى اللغة ص٢١٤.

(٢)السفاح : السيوف المنجد فى اللغة ص٣١٢

(٣)معني المحاجر ما استدار حول العلم واراد بها الشاعر العيون نفسها المنجد فى اللغة ص٣٤٨.

(٤)تاريخ الأدب العربي عصر الدول والإمارات تأليف د/شوقي ضيف ص١٨٠

فجلاها في الروع رايات رأي ونضاها صحائفا كالصفاح [1]

الجناس بين كلمتي (صحائف كالصفاح) حيث يوجد جناس غير تام في عدد الحروف مما يشكل جرسا موسيقيا في نسق وترابط تام بين كلماتها في الوزن والقافية وشكلت القصيدة كلها سجع متوازي وكذلك نلاحظ الترابط الموسيقي في قوله يمدح الملك المؤيد قال في مطلعها مبتدأ بالنسيب :

أهلا بطيف على الجرعاء مختلس والفجر في سحر كالثغر في لعس
والنجم في الافق الغربي منحدر كشعلة سقطت في كف مقتبس
يا حبذا زمن الجرعاء من زمن كل الليالي فيه ليلة العرس

في هذه الأبيات الموسيقى في الوزن والقافية في كلماتها ورويها واحد وتناسق تام مما شكل سجع متوازي وكذلك جرس موسيقي في ترتيب ونسق واحد ونلاحظ أن معظم قصائد ابن نباته سار على هذا النهج وصار ذلك طابع يغلب على شعره وقصائده مما جعلها تطرب النفس بنغماتها الخلابة والحانها المبهجة الرفيعة.[2]

---

(١) ديوان ابن نباته ص ١٠٨. ص ٢٦٣ – ٢٦٤

(٢) تاريخ الأدب العربي ، عصر الدول والأمارات : شوقي ضيف ، ص ١٨٠

المطلب التاسع
البحور الشعرية في شعر المديح عند ابن نباته

إن استمرار الأوزان العربية القديمة حتى يومنا هذا لم يكن مجرد مسألة تقليدية أو قصورا من الشعراء عن الإبتكار والتجديد ولكن هذه الأوزان الستة عشر تمثل في الواقع تنوعا موسيقيا واسع المدى يتيح للشعراء أن ينظموا في دائرته كل عواطفهم وخواطرهم وأفكارهم دون أن يجدوا تصنيفا أو حرجا يضطرون معه إلى محاولة الخروج على هذه الأوزان ليلائموا بين مادة شعرهم الجديد وما تضيفه من موسيقى وايقاع خاصين.

يرجع الفضل في نشأة علم العروض إلى الخليل بن أحمد احد أئمة اللغة والأدب في القرن الثاني الهجري كما حدثتنا القطفى عن الخليل بأنه سيد الأدباء في علمه وزهده وأنه نحوي لغوي عروضي واستنبط من العروض وعلله ما لم يستخرجه أحد ولم يسبقه إلى علمه سابق من العلماء كلهم[١].

اختلفت الآراء بالنسبة للباعث الذي دعا الخليل إلى التفكير في علم العروض وكذلك اختلف بالنسبة إلى تسمية هذا العلم بالعروض.

فمن قائل : إن من معاني العروض "مكة" لاعتراضها وسط البلاد ومن ثم أطلق على علم ميزان الشعر الي اخترعه اسم المكان الذي المم فيه قواعده وأصوله.[٢]

جرى الشعراء على النظم من البحور الستة عشر ثم راح في هذا العصر فأكثروا من النظم منه استطرافاً له وكذلك نما الأديب العامي وتمثل في الزجل الذي ذاع وشاع في هذا العصر ومن أشهر الزجالين في مصر خلف الغباري وقد نظم الزجل في جميع أغراض الشعر وكذلك منهم بدر الدين القرضي وأحمد الدرديشي وغيرهم وكان امام الزجل في الشام أحمد الامشاطي المتوفي عام ٧٢٥هـ وايضا

---

(١)اتجاهات الشعر العربي فى القرن الثاني الهجري تأليف د/مصطفي هداره ص٣٣٥ دار المعارف١١١٩ كورنيش النيل القاهرة ج م ع

(٢)علم العروض والقافية للدكتور /عبدالعزيز عتيق دار النهضة العربية للطباعة والنشر بيروت ص١١

نظم الشعراء في الأوزان المستحدثة الأخرى مثل القوما والدوبيت وكان ثان والمواليا.

كما أكثروا من التشطير والتخميس وتناولوا القصائد المشهورة كمعلقة امرئ القيس وبانت ساعد لكعب بن زهير بالتخميس والتشطيروالتخميس وتناولوا القصائد المشهورة كمعلقة امرئ القيس وبانت سعاد لكعب بن زهير بالتخميس والتشطير..

إن معظم البحور التي كتب به الشاعر قصائده تتمثل في البحور التي تمتاز بالخفة السلامة والفردية والرقة ومنها بحر البسيط ووزنه :

مستفعلن فاعلن مستفعلن فعلن مستفعلن فاعلن مستفعلن فعلن[١]

مستفعلن ونجده في المدائح النبوية وقليل من المدائح النبوية وقد بدأ الشاعر معظم قصائد المدح ببحر الطويل الذي يمتاز بالقوة ف الكلمات وترابط الألفاظ أيضا نجد الشاعر قد كتب قصائده في بحر الخفييف الذي أوزانه ستة وهي:

فاعلاتن مستفع لن فاعلاتن فاعلاتن مستفع لن فاعلاتن

ونجده في المدائح النبوية وأكثره في المدائح المؤيدية في مدح المؤيد الذي تميز بالمدح وقصائده وأغلبها حكم وشعر مديح [٢].

كذلك تحدث الشاعر في قصائده واستخدم فيها وزن برح الكامل التي تمثلت في قصائد المدح الأخوانية وجزء من المدائح المؤيدية واجزاءه وهي :

متفاعلن متفاعلن متفاعلن متفاعلن متفاعلن متفاعلن

استخدمها الشاعر في قصائده الأخوانية وجزء من المدائح المؤيدية وقد غلب عليها طابع اللؤم والحزن والرجاء في نسجها وترتيب ألفاظها نجد الشاعر لم يتخلى عن نهج القدماء في الأوزان الموسيقية بل تتبعها وان لم يطرقها كلها ولكن يغلب عليه الطابع المصري الذي يمتاز بالسلاسة والسهولة في اختيار الالفاظ والمعاني تحدث الشاعر عن الموشحات ولا يوجد في الديوان المطبوع إلا أربعة فقط هي الموشح الرابع والخامس والسادس والتاسع موضوعاتها في الغزل والمديح.[٣]

---

(١)الحياة الأدبية فى مصر (العصر المملوكي والعثماني) تأليف محمد عبدالمنعم ص١٠٩ بتاريخ ١٤٠٤هـ -١٩٩٤م

(٢)ابن نباته المصري تأليف عمر موسي باشا ص٣٣٨.

(١) كتاب الكافي فى العروض والقوافي للخطيب التبريزي ص(٥٨)ص(٨٣)

الخاتمة

يمكننا في ختام هذه الرسالة أن نشير إلى أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال دراستي لحياة ابن نباته وشعر المديح عنده وتراثه الشعري عامة ومن هذه النتائج.

١- أوضحت الرسالة إن شاعر قد أبدع في مجالات متنوعة من الفنون مثل الخطابة التي تمثل في رسائله الخطابية ونثره الفني ورسائله الدينية من أحاديث وسيرة إلى جانب ذلك اسهاماته التاريخية واللغوية ويظهر ذلك من خلال المؤلفات العظيمة والهامة التي ألفها ابن نباته والتي تزيد على خمسة وعشرين مؤلفا وكتابا شملت أنواعا من العلوم والثقافات.

٢- إنَّ الرسالة الملكات الذاتية عند ابن نباته وخاصة في مجال المديح فقد وصل أعلى المراتب السياسية وحظي برعاية السلاطين والحكام والملوك والوزراء وخاصة الملك المؤيد إسماعيل أبو الفداء والذي لولاه ما سمت وعلت موهبته الشعرية في الشعر والإبداع الفني ولذلك تميزه في شعر الأخوانيات وتمثل في مدح القضاء والعلماء الأصدقاء مما جعل له معزة ومكانة سامية على شعراء عصره وجيله.

٣- إنَّ ابن نباته يعتبر من فحول الشعراء في فترة الحروب الصليبية وحرب التتار وكذلك في وقت تعرض فيه الأدب لهجوم من النقاد ومحاولة ملابسته واتهامه بعصر الجمود والانحطاط في الشعر والأدب عامة وذلك مقارنة بحالة الأدب في العصور السابقة بدايته من العصر الجاهلي وعصر صدر الإسلام والعصر الأموي والعباسي بمراحله الثلاث والعصر الفاطمي فهذه الرسالة أثبتت أن الأدب خاصة لم يصيبه ضعف أو انحلال بل على النقيض من ذلك بل أثبت الشاعر روعة وبراعة الأدب وذلك يتضح فى شعره وأسلوبه ورقة معانيه

٤- كشفت الرسالة عن إقتداء ابن نباته بكبار شعراء العربية الذين وقفوا من شعرهم موقف التفتح والإجادة والروعة فابن نباته قرأه وتعلم وتأثر بهم حتى

وصل إلى غايته من ذلك فهو قد اجاد ونجح وتفوق على شعراء زمانه وعصره ومن هؤلاء الشعراء أبو تمام والمتنبئ وأبي نواس وعلى رأسهم كعب ابن زهير في شعر المديح النبوي الذي برع فيه وأبدع

٥- أثبت الرسالة ان الشعر لم يكن في يوم من الايام منفصلا عن الحياة بعيدا عن الأحداث فقد فتحت هذه الرسالة أخطر القضايا التي تهم المجتمع وتخص الأدب ونلاحظ ذلك في حياة الشاعر حيث رحل هاجر عن وطنه منه انسانا متعاطفا متشوق إلى وطنه يحن إليه وأثر ذلك عليه فجعله يؤلف القصائد الوطنية في أرض حماه وبلده مصر وكذلك اتضح أثر آخر عندما عاد إلى بلاده وارسل إليه المؤيد فتغيرت حياته بصوره كاملة فابدع وانجز الكثير من القصائد والمؤلفات الشعرية.

٦- ان ابن نباته اقتدي بكبار شعراء العربية الذين وقفوا من شعرهم موقف التنقيح والإجادة والروعة فابن نباته قرأ وتعلم وتأثر بهم حتي وصل الى غايته من ذلك فهو قد أجاد ونجح وتفوق على شعراء زمانه وعصره ومن هؤلاء الشعراء أبو تمام وأبي نواس وعلى رأسهم كعب بن زهير فى شعر المديح النبوي الذي برع فيه وأبدع.

٧- أن ابن نباته يعتبر كان كعبة القضاء من كتاب وشعراء في مصر والشام قاطبة على السواء فحمل بيده مشعل العلم والمعرفة فجعلهم منه أدبه الفياض وينهلون من بحر عليمه ويؤمنون بمعجزات مذهبه الرمزي والذي في عصره حيث انفردت هذه المدرسة النباتية في التورية الابداعية والجمع بين التورية والاستخدام في آن واحد وكذلك انفردت بملحمة الاعراب التي اودعها ابن نباته في شعره ومقطوعاته واراجيزه التي تمثلت في "السبعة السيارة" وهي عبارة عن سبع ابيات مقطوعة اطلق عليها اسم السبعة السيارة وكذلك انفراده بحسن التخلص من الغزل أو النسيب إلى المدح وهو منبع في ذلك طريقة التضمين التي مدح بها قاضي القضاة تقي الدين السبكي وهذا نمط جديد في الشعر الإخواني وايد لنا هذا أن الشعراء اخذوا يتجهون اتجاها جديدا بعيدا عن الاغراض المألوفة والتي أصبحت الأذواق تتمجدها

والأفواه تلفظها وكذلك أدخل الشاعر إضافة جديدة في شعره وأسلوبه تتمثل في المقطوعات الشتوية التي يتبادلها من الإخوان والأصدقاء في فصل الشتاء.

٨- أن ابن نباته تأثر في أسلوبه بالقرآن الكريم وذكر أسماء السور وأسماء العلماء واصل المذاهب والأحاديث في مدائحه النبوية والتي أبدع في نظمها من خلال اختياره للكلمات ووصف حياة الرسول عليه أفضل الصلاة والتسليم والصحابة وكذلك تعرضه لصفاته الخلقية وصفا كاملا وأيضا تضرعه واحتماءه به في كشف الكرب وإزالة الهم عنه في ختام قصائده وذلك بتعبير رقيق وأسلوب رمزي رصين كثر استخدام التورية السجع ومبتدءا مطلعها بالنسيب العفيف وذكر مكان المحبوبة وذلك إتباعا لما سبقوه في نهج المديح النبوي.

ومن خصائص شاعرية ابن نباته في صناعة الشعر توصلنا إلى أنه أبدع وأجاد في شتى ألوان البديع من تورية وطباق ومراعاة النظير وتضمين واستخدام وحسن تعليل وتشبيه واستعارة ومجاز وقد بلغ الغاية في التورية حتى أصبح المعلم المفرد فيها وكان لا يحصل الجناس كثيرا وذلك وجد في شعره وركز شاعرنا على أدب القاضي الفاضل وعلى مذهبه الأدبي وطريقته الفاضلية حتى امتزج فيه بنفسه وتمثل في شعره وأدبه وأصبح ابن نباته إمام الشعراء في هذا المضمار وحامل لواء الشعر في عصره في كل من مصر والشام.

إما من ناحية المعاني والأخيلة فان رحلت الشاعر وأحزانه الكثيرة في الحياة وبعده عن وطنه وكذلك فقده لكثير من أبنائه في عمر صغير جعل منه شاعرا رقيقا وكلماته سهلة جزلة تمتاز بالبساطة واللطافة التي امتاز بها الشعر المصري وكذلك قوة ذكائه وجعل ملكاته في معانيه وأخيلته فقد كان قليل الابتكار للمعاني كثير التكرار لها.

فهو رغم ذلك فقد قال عنه القدماء بأنه حامل لواء شعراء زمانه وله قصائد رائعة وقد برع في عدة علوم وله من الشعر الرقيق والخيال الخصب وكان من فحول المولدين فهو نبات البستان وفارس الميدان فهو شاعر مجيد مبدع في جميع أنواع

النظم لأهل عصره ولمن أتى بعده وديوان شعره كله درر فهو أشعر الشعراء على الإطلاق فيما اعتقد ولا سيما الغزليات والمدائح بأنواعه المختلفة.

أهم التوصيات

أوصي كل الباحثين والمنقبين والدارسين للعلم بضرروة الاهتمام بشعر ابن نباته عامة وبصفة خاصة في دراسة الديوان وتحقيقه وشرح مفرداته.

أوصي بالاهتمام بشعراء العصر المملوكي وإتاحة المجال لكل الباحثين والدراسيين الشعراء والكشف عن ياتهم وآدابهم وأشعارهم لكي تكون معروفة لدى الجميع ويتركون المبدعين في العصور البعيدة دون بحث أو دراسة.

أوصي كذلك بدراسة علم البديع بصوره واسعة ومفصلة من شعر ابن نباته دراسة وافية وفنيه في مجال البلاغة وخاصة أنه من مؤسسي المدرسة الرمزية وتأثر الشعراء من بعده بها حتى العصر الحديث.

أوصي المهتمين بالعلم ونشره من الخيرين وأصحاب التأليف بضرورة طبع المخطوطات التي تطبع بصورة واضحة في كتب موضحة ومتوفرة لدى القراء والمطلعين وكذلك توفر كتابات ومؤلفات إنشاء التي تطبع وتنشر في المكتبات لكي يستفيد منها كل الدارسين وطلاب العلم والأدب.

المصادر والمراجع

١. إبراهيم : إبراهيم أنيس : المعجم الوسيط : عطية الصوالحي لمحمد خلف الله أشراف على الطبع محمد شوقي أمين ط٢ عام ١٩٨٣م.

٢.ابن الأثير : أي أبو الفتح ضياء الدين نصر الدين بن محمد : المثل السائر فى أدب الكاتب المعروف بابن الأثير (المثل السائر) ط ١ عام ١٩٧٢م بتاريخ ١٩٨٣م.

٣. الأصفهاني : لأبو الفرج الأصفهاني : كتاب الأغاني على بن الحسين بن محمد القرشي تحقيق الأنبا ري ط٣ طبعة خاصة تصدرها دار الشعب القاهرة ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.

٤.باشا: عمر موسي باشا : ابن نباته المصري (أمير شعراء المشرق) ط٣ دار المعارف – الناشر : دار المعارف ١١١٩كورنيش النيل القاهرة – ج.م.ع ابريل ١٩٦٠م.

٥.بدوي: عبدالرحمن بدوي – موسوعة المستشرقين ط٢- دار العلم للملايين للترجمة والنشر بيروت – لبنان يناير ١٩٨٩م.

٦.البستاني: صبحي البستاني : خصائص الصورة الفنية ط١-دار فلاح للنشر والتوزيع عام ١٩٢٨م.

٧.الثعالبي : أبي منصور – عبد الملك الثعالبي : يتيمة الدهر فى محاسن أهل العصر ط٢ تحقيق الدكتور محمد قميحة -دار الكتب العلمية – بيروت لبنان ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م.

٨. الجاحظ : أبي عثمان عمرو بن بحر : البيان والتبيين ط٤ شرح عبدالسلام هارون بيروت – لبنان ١٩٧٩م.

٩. الجرجاني : عبدالقاهر الجرجاني من مؤلفاته – أسرار البلاغة ط١ دلائل الأعجاز ط٢ صحح أصله الأستاذ اللغوي محمد محمود التركي – مكتبة العلم بجدة ١٤١٥هـ عام ١٩٩٠م.

١٠. الجندي : على الجندي : فن الجناس – ط١ بيروت لبنان ١٩٧٠م.

١١. أبو حاقة :أحمد أبو حاقة : فن المديح وتطوره فى الشعر ط١ منشورات دار المشرق للنشر والتوزيع ١٩١٢م.
١٢.حسين: عبدالحميد حسين: الأصول الفنية للأدبط٢ مكتبة الأنجلو المصرية مطبعة العلوم ١٨ شارع بور سعيد ملتزم الطبع والنشر ١٩٦٤م.
١٣.حسين: محمد كامل حسين: أدب مصر الفاطمية ط١ الطبع والنشر دار الفكر الصوفي دار الحمامين كنيسة الأرمن ١٩٦١م.
١٤.حقي : ممدوح حقي : العروض الواضح ط٤ – دار مكتبة الحياة ١٩٧٠م.
١٥.الحموي: تقي الدين أبي بكر : خزانة الأدب وغاية الأرب – شرح عصام شفيق – منشورات دار مكتبة الهلال بيروت– لبنان حقوق الطبع محفوظة للناشر ١٩٨٧م.
١٦. ابن خلدون: عبدالرحمن بن أبي بكر خلدون:مقدمة ابن خلدون – دار المعارف للنشر والتوزيع ط١ ب.ت.
١٧.ذرنيعه : د/محمد أحمد ذرنيعه : شعراء المديح النبوي – ط١ دار الهلال للطباعة والنشر بيروت ١٩٦١م.
١٨.الذهبي: أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان بن قاريماز– سير أعلام النبلاء ط١ ١٤٠١هـ –١٩٨١م.
١٩.ابن رشيق القيرواني: العمدة – ط٥– حققه وفصله محمد محي الدين عبد الحميد – دار الجيل للنشر والتوزيع بيروت – لبنان ١٤٠٣هـ – ١٩٨١م.
٢٠.للزركلي: خير الدين بن أحمد بن عبد الكافي : الأعلام – ط١ بيروت دار العلم للملايين عام ١٩٩٢م.
٢١. الزيات: أحمد حسن الزيات: تاريخ الأدب العربي ط١ دار الفكر –بيروت لبنان ١٩٧٠م.
٢٢. أبو زيد : د/على إبراهيم أبو زيد – الصورة الفنية في شعر دعبل الخزاعي ط١ الناشر دار المعارف ١١١٩ كورنيش النيل القاهرة ج.م.ع. عام ١٩٨١م.
٢٣.أبو زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي: جمهرة أشعار العرب شرحه وضبطه وقدمه على فاعور– ط١ –دار الكتب العلمية بيروت – لبنان جميع الحقوق لدار الكتب العلمية ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م.

٢٤. السكاكي: أبي يعقوب يوسف بن أبي بكر محمد بن على السكاكي (مفتاح العلوم لأوزان أشعار العرب) ط١ ضبطه وكتب حواشيه وعلق تميم زرزور – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان ١٤٠٣هـ –١٩٨٣م.
٢٥.سلام : محمد زغلول : الأدب فى عصر المملوكي –ط١– الناشر منشأة المعارف بالإسكندرية – جلال وشركاه ٤٤ شارع سعد زغلول ١٩٧٠م.
٢٦.سليم : محمود رزق: عصر سلاطين المماليك ط١ مطابع دار الكتاب المصري القاهرة – المطبعة النموذجية بالحلمية – الناشر مكتبة الأدب ومطبعتها بالحمامين ١٩٧٥م.
٢٧.شلبي: د/سعد إسماعيل : الأصول الفنية فى الشعر الجاهلي –ط١– الناشر مكتبة عدن ٣ شارع كامل صدقي الفجالة ١٩٧٠م.
٢٨.الشناوي: أحمد إبراهيم زكي خورشيد – دائرة المعارف الإسلامية ط١ ١٣٥٢هـ – ١٩٣٣م.
٢٩. الصباغ : إبراهيم عبد الباقي : البلاغة والأدب ط١ – دار الجيل للنشر والطباعة بيروت – لبنان ١٩٦٥م.
٣٠. الصياصنه – مصطفي عيد الصياصنه – الشعر فى رحاب النبوة –ط١– الطبع والنشر دار الفكر والنشر ١٤١٩هـ – ١٩٩٩م.
٣١.ضيف : أحمد شوقي : تاريخ الأدب العربي والدول الإمارات ط٣ الناشر دار المعارف كورنيش النيل ١٩٩٠م. فصول فى الشعر ونقد – ط٢– دار المعارف للطباعة والنشر ١١١٩ – عام ١٩٧١م.
٣٢. ابن طباطبا : محمد أحمد بن إبراهيم العلوي : عيار الشعر ط١– دار الكتب العلمية شارع لنفاس لكما سنتر ب.ت.
٣٣. عاشور : د/ سعيد عبد الفتاح : العصر المماليكي فى مصر والشام ط١ ملتزم الطبع دار النهضة العربية للطباعة والنشر– بيروت ١٩٦٥م.
٣٤. ابن عبد ربه : الإمام الفاضل شهاب الدين أحمد بن عبد ربه (العقد الفريد) ط١ طبع بالمطبعة الأزهرية بمصر شارع رقيعة القمح رقم ٦– الأزهر الشريف – ١٣٤٦هـ – ١٩٨٥م.

٣٥. عتيق : عبد العزيز : علم العروض والقافية ط٢- دار النهضة العربية للطباعة والنشر بيروت ١٩٧٥م.
٣٦.العسكري : أبي هلال : كتاب الصناعتين - ط٢ عيسي الحلبي - وزارة لدار المعارف بمصر ١٩٥٢م.
٣٧. العماري : على محمد حسن : أسرار البيان ط١ حقوق الطبع محفوظة للمؤلف ١٦ شارع النزهة ١٣٨٥هـ -١٩١٥م.
٣٨. أبي الفداء الملك المؤيد عماد الدين إسماعيل : المختصر فى أخبار البشر ط١ إصدار دار البحار لصاحبها أديب عارف ١٣٨٠هـ - ١٩٦٠م.
٣٩. فرج محمد فرج أحمد : فنون البديع ط١ طبع ونشر دار الخدمات العلمية ٧٣ شارع مصر والسودان حدائق القبة ١٩٩٧م.
٤٠. أبو الفلاح : عبد الحي بن العماد : شذرات الذهب فى أخبار من ذهب - دار النهضة العربية للثقافة والنشر ط٣ ١٩٩٢م.
٤١.القزويني - الخطيب : الإيضاح فى علوم البلاغة - ط١ دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
٤٢. قليقيله : عبد العزيز: خط سير الأدب - ط١- ملتزم الطبع والنشر مكتبة الأنجلو المصرية - ١٩٧٧م.
٤٣. القيروان - أبي رشيق : العمدة ط٥ حققه وفصله محمد محي الدين عبد الحميد - دار الجيل للنشر والتوزيع بيروت - لبنان ١٤٠٣هـ -١٩٨١م.
٤٤. الكتبي : محمد بن شاكر (فوات الوفيات) ذيل وفيات الأعيان لأبن خلكان ط٢ حققه وضبطه وعلق على حواشيه محمد محي الدين ١٩٩٢م.
٤٥. محمد : د/ عبد القادر محمد : الاتجاه الوجداني فى الشعر المعاصر ط١ دار الفكر للطباعة والنشر - مكتبة الشباب ١٩٧٨م.
٤٦. معصوم على صدر الدين : أنوار الربيع فى أنواع البديع ط١ ب.ت.
٤٧. أبن منظور : جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي: لسان العرب ط١ دار الكتب العلمية لبنان- بيروت ب.ت.

٤٨. الهاشمي :السيد أحمد الهاشمي : جواهر الأدب فى أدبيات وإنشاء لغة العرب ط١ دار مكتبة دار المعارف ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م.
٤٩. هدارة : مصطفي هدارة : اتجاهات الشعر العربي فى القرن الثاني الهجري دار المعارف ١١١٩ كورنيش النيل ج.م.ع دار المعارف– ب.ت.
٥٠. ابن هشام : محمد بن عبد الملك : السيرة النبوية ط١ تحقيق د/ محمد فهمي السرحان حقوق الطبع محفوظه للناشر ب.ت.

الـــدواوين

١.الأعشى : ديوان الأعشي تحقيق لجنة الدراسات فى دار الكتاب اللبناني بأشراف كامل سليمان ط١ ب.ت.

٢.امرئ القيس: ديوان امرئ القيس تحقيق تبويب وشرح وضبط حنّا الفاخوري ط١ دار الجيل بيروت ١٤٠٤هـ –١٩٨٩م.

٣.البحتري : ديوان البحتري شرح وتقديم حنا الفاخوري المجلد الأول دار الجيل بيروت ١٤١٥هـ –١٩٩٥م.

٤.أبو تمام : ديوان أبي تمام مراجعة د/ محمد عزت نصر الله ط٣ دار الجيل بيروت لبنان ١٤١٢هـ –١٩٩٢م.

٥.جرير : ديوان جرير شرح د/ يوسف عيد دار الجيل بيروت ط٨ ١٤٠٩هـ – ١٩٨٩م.

٦.حسان بن ثابت : ديوان حسان ط٣ دار الكتاب اللبناني بيروت لبنان ١٤١٥هـ – ١٩٩٥م.

٧.دعبل بن على الخزاعي جمع وتقديم وتحقيق عبد الصاحب عمران ط٣ دار الكتاب اللبناني بيروت ١٩٨٩م.

٨.صفي الدين الحلي ط١ دار بيروت للطباعة والنشر ١٤٠٣هـ –١٩٨٣م.

٩.عمر بن أبي ربيعة شرح د/ يوسف بكر فرحات ط١ دار الجيل بيروت لبنان ١٤٠٨هـ –١٩٨٠م.

١٠. عنترة بن شداد : ديوان عنترة ط١ دار بيروت للطباعة والنشر ١٤٠٤هـ – ١٩٨٤م.

١١. كعب بن زهير :ديوان كعب بن زهير الإمام أبي سعيد الحسن بن الحسين بن عبدالله السكري دار الكتب(نسخة مصورة) الناشر الدار القومية للطباعة والنشر ١٣١٩هـ –١٩٥٠م.

١٢. لبيد بن ربيعة العامري : ديوان لبيد دار صادر – بيروت ب.ت.

١٣. المتنبئ ديوان المتنبئ – وضع عبد الرحمن البرقوقي ط٢ دار الكتاب العربي بيروت – لبنان ١٤٠٠هـ – ١٩٨٠م.
١٤. ابن نباته المصري : ديوان ابن نباته ط١– مطبعة التمدن بعابدين ١٣٢٣هـ –١٩٥٠م.
١٥. النابغة الذبياني: ديوان النابغة – شرح وتقديم عباس عبد الساتر ط١ دار الكتب العلمية بيروت – لبنان – ١٤٠٥هـ –١٩٨٤م.
١٦. أبو نواس : ديوان أبي نواس – نشر أحمد عبد المجيد الغزالي مطبعة مصر – القاهرة – ١٩٥٦م.